بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة

إن الحمد لله، نحمده ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا، من يهد الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له.

وأشهد ألا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدًا عبد الله ورسوله:

أما بعد..

فإن القرآن أنزل على نبينا محمد -صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- منذ ألف وأربعمائة وأربعة عشر عامًا. ولم يزل بعناية الله محفوظًا من التحريف والتبديل إلى عصرنا هذا، ثابتًا كالطود الشامخ، يرد بغى الباغين، وكيد الكائدين.

وكلما مرت عليه الأحقاب والسنون، ازدادت على طول الزمن جِدَّته وتمثلت لقارئيه قوته، وتجلت للناس عظمته، ولن يزال كذلك بإذن الله حتى تقوم الساعة. ﴿**إِنَّا نَحۡنُ نَزَّلۡنَا ٱلذِّكۡرَ وَإِنَّا لَهُۥ لَحَٰفِظُونَ**﴾ (١).

هكذا تكفل المولى -عَزَّوَجَلَّ- بحفظ كتابه الخالد على عكس غيره من الكتب الإلهية السابقة التي حرفها أتباعها، وأسقطوا منها ما شاءوا، وكتبوا بأيديهم فيها ما شاءوا وقالوا: هذا من عند الله ليشتروا به ثمنًا قليلًا من أتباعهم ومقلديهم وقد حكى الله -سُبْحَانَهُۥوَتَعَالَىٰ- عملهم هذا في القرآن في غير موضع مع تقبيح أعمالهم والتشنيع على أفعالهم.

فقال تعالى: ﴿**وَإِنَّ مِنۡهُمۡ لَفَرِيقٗا يَلۡوُۥنَ أَلۡسِنَتَهُم بِٱلۡكِتَٰبِ لِتَحۡسَبُوهُ مِنَ ٱلۡكِتَٰبِ وَمَا هُوَ مِنَ ٱلۡكِتَٰبِ وَيَقُولُونَ هُوَ مِنۡ عِندِ ٱللَّهِ وَمَا هُوَ مِنۡ عِندِ ٱللَّهِ وَيَقُولُونَ عَلَى ٱللَّهِ**

---

(١) سورة الحجر: ٩.

ٱلۡكَذِبَ وَهُمۡ يَعۡلَمُونَ﴾ (1)

وقال عز من قائل: ﴿فَوَيۡلٞ لِّلَّذِينَ يَكۡتُبُونَ ٱلۡكِتَٰبَ بِأَيۡدِيهِمۡ ثُمَّ يَقُولُونَ هَٰذَا مِنۡ عِندِ ٱللَّهِ لِيَشۡتَرُواْ بِهِۦ ثَمَنٗا قَلِيلٗاۖ فَوَيۡلٞ لَّهُم مِّمَّا كَتَبَتۡ أَيۡدِيهِمۡ وَوَيۡلٞ لَّهُم مِّمَّا يَكۡسِبُونَ﴾(2)

وبالرغم مما حكاه القرآن من حال أهل الكتاب وتحريفهم لما في أيديهم من التوراة والإنجيل رأينا من توسع في الأخذ عنهم تفاصيل ما أجمله القرآن، وأشار إليه من أحداث يهودية أو نصرانية، وأفرطوا في ذلك إلى درجة جعلتهم لا يردون قولًا، ولا يحجمون عن أن يلصقوا بالقرآن كل ما يروى لهم وإن كان لا يتصوره العقل. وقد استمر هذا الشغف بالإسرائيليات، والولع بنقل هذه الأخبار التي أصبح الكثير منها نوعًا من الخرافة إلى أن جاء دور التدوين للتفسير، فوجد من المفسرين من حشوا كتبهم بهذا القصص الإسرائيلي، وشرحوا به كتاب الله تعالى، مما كان له أثر سيئ في التفسير.

ولما كان كل ما ارتكبته الأمم الماضية من الأفعال الردية بنفسه أو بنظيره في هذه الأمة أمرًا مقدرًا كما أخبر به النبي -صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيۡهِ وَسَلَّمَ-: «**لتركبن سنن من كان قبلكم شبرًا بشبر، وذراعًا بذراع**» الحديث (3).

توجهت ملاحدة هذه الأمة إلى أمرين، وتفرقوا شيعتين، فمنهم من توجه إلى التحريف المعنوي في الكلام الإلهي حين عجزوا عن التحريف اللفظي،

---

(1) سورة آل عمران: ٧٨.

(2) سورة البقرة: ٧٩.

(3) أخرجه البخاري كتاب الاعتصام باب قول النبي -صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيۡهِ وَسَلَّمَ-، لتتبعن سنن من كان قبلكم، ورواه مسلم كتاب العلم، باب " اتباع سنن اليهود والنصارى " واللفظ لهما، وابن ماجة كتاب الفتن رقم (٣٩٩٤).

ففسروا القرآن بآرائهم، ونسبوا ما ظنوا إلى ربهم، غافلين عن قوله -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-: «من قال في القرآن بغير علم فليتبوأ مقعده من النار» [1].

وفي رواية: «من قال في القرآن بغير ما يعلم جاء يوم القيامة ملجمًا بلجام من نار» [2]، ففسروا القرآن بآراء فاسدة، وتأويلات باطلة تقشعر منها جلود الذين يخشون ربهم، وتنفر عنها الصدور الزكية الطاهرة. وفي رواية: «من تكلم في القرآن برأيه فأصاب فقد أخطأ» [3]

ومنهم من توجهوا إلى الافتراء على النبي -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- الذي ما نطق بالهوى: ﴿إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَىٰ﴾[4]، وحرفوا في كلماته الشريفة بالزيادة والنقصان، ونسبوا إليه ما اخترعته خواطرهم تشكيكًا وتخليطًا وإفسادًا في أهل الإيمان.

وقد وفق الله تعالى خدام حديث نبيه وحملت ألوية شرعه بإبطال خبائثهم، وإظهار مكائدهم، فميزوا بين الأحاديث النبوية. وبين الأخبار

---

(١) أخرجه الترمذي كتاب تفسير القرآن رقم (٢٩٥٠، ٢٩٥١، ٢٩٥٢) وحسنه ورواه أحمد في المسند (١/٢٣٣) رقم ٢٠٦٩ و٣٠٢٥، والطبري في تفسيره رقم ٧٣ و٧٤ و٧٥، وانظر جامع الأصول (٢/٦)، وفيض القدير (٦/١٩٠). ومعنى فليتبوأ: أي فليتخذ له مباءة، يعني منزلًا.

(٢) رواه أبو يعلى والطبراني في الكبير، وقال الهيثمي في الزوائد (١/١٦٣): "رجال أبى يعلى رجال الصحيح" ونقله المنذري في الترغيب (١/٧٥) وقال: رواته ثقات محتج بهم في الصحيح ورواه الطبراني في الكبير والأوسط. وقال الترمذي: هذا حديث حسن صحيح.

(٣) رواه الترمذي رقم (٢٩٥٣) في التفسير، باب ما جاء في الذي يفسر القرآن برأيه، وأبو داود رقم (٣٦٥٢) في العلم باب الكلام في كتاب الله بغير علم، وأخرجه الطبري في جامع البيان رقم (٨٠)، وانظر جامع الأصول (٢/٣)، وفيض القدير (٦/١٩٠).

(٤) سورة النجم: ٤.

الاختراعية فلله درهم ودر من سلك مسلكهم.

ومن ثم... كان لزامًا على علماء المسلمين لاسيما المتخصصين، أن يتتبعوا الدخيل في كتب التفسير، وأن يزيحوا عن تفسير كتاب الله تعالى هذا الركام من الموضوعات والإسرائيليات، والأباطيل، التي كادت أن تطغى على التفسير الصحيح لكتاب الله تعالى، وتخفي الكثير من جلاله وجماله، وهدايته التي هي أقوم الهدايات: ﴿إِنَّ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ يَهْدِي لِلَّتِي هِيَ أَقْوَمُ﴾ [1] وعقائده التي هي أسمى العقائد وأحقها بالقبول، وأقربها إلى العقول، وأليقها بالفطر البشرية، كما أن تلك الموضوعات والأباطيل تظهر الإسلام أمام الباحثين بمظهر الدين الذي يشتمل على الخرافات والترهات. فمن الواجب علينا تجاه كتاب الله -عَزَّوَجَلَّ- أن نميط اللثام عما علق بتفسيره من روايات دخيلة، وتأويلات فاسدة قررها أهل البدع والأهواء نصرة لمذهبهم، وانتصارًا لعقيدتهم!!

وهذا ما حدا بنا إلى تناول هذا الموضوع لمشاركة السابقين من السلف والخلف بهذا الجهد المتواضع. دفاعًا عن كتاب الله تعالى، وذبًا عن ساحته.

وقد حرصت اللجنة المكونة بقرار لجنة التراث في الجامعة لإعداد هذا الكتاب المقرر على قطاع كليات أصول الدين والكليات المناظرة لها، والمقرر على الفرقة الثالثة قسم التفسير وعلوم القرآن للفصل الدراسي الأول، وعلى الفرقة الرابعة قسم الحديث وعلومه للفصل الدراسي الثاني.

ليتضمن مفردات هذا الكتاب -بحسب التوصيف المقرر للمادة بتوصيفات

---

(١) سورة الإسراء: ٩.

مقررات قطاع أصول الدين والكليات المناظرة لها- ما يلي:

الفصل الأول: وهو عن مفهوم الدخيل وأسباب انتشاره وأثره في كتب التفسير.

الفصل الثاني: وهو عن أقسام الدخيل وألوانه، ويشتمل على ما يلي:

أولًا: أقسام الدخيل وأشكاله في كتب التفسير وأشهر المؤلفات فيه.

ثانيًا: الإسرائيليات في كتب التفسير، ويشتمل الحديث فيه على تعريف الإسرائيليات، وعلاقتها بالدخيل، وأقسامه، وحكم روايته، ومسئولية المفسرين الذين دونوه في كتبهم واعتذار العلماء عنهم. ثم بيان ما يجب على المفسر الالتزام به حين يقبل على تفسير كتاب الله تعالى. واخيرًا نماذج من الإسرائيليات في كتب التفاسير.

ثالثًا: الأحاديث الموضوعة في التفسير، ويشتمل الحديث فيه على تعريف الحديث الموضوع، وتأريخ بداية الوضع، وأسبابه، وأمارات الوضع، والآثار السيئة للوضع، وجهود العلماء في مقاومة الوضع، ثم نماذج من الأحاديث الموضوعة في التفسير وأسباب النزول والقراءات الموضوعة في التفسير.

وبعد،،، فهذا الجهد المتواضع في خدمة كتاب الله عسى الله تعالى أن ينفع به، وأن يتقبله ابتغاء مرضاته، وأن يجعله في ميزان حسناتنا ووالديّنا وشيوخنا، إنه سبحانه نعم المولى ونعم الوكيل.

والحمد لله رب العالمين

وصلى الله تعالى وبارك على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلّم

الفصل الأول

مفهوم الدخيل ونشأته وأقسامه

تعريف الدخيل في اللغة:

الدخل: -بالتحريك- العيب والغش والفساد، يقال: دخل فلان فهو مدخول. كناية عن بله في عقله، وفساد في أصله. ويقال: هذا الأمر فيه دخل ودغل بمعنى، وقوله تعالى: ﴿وَلَا تَتَّخِذُوٓاْ أَيۡمَٰنَكُمۡ دَخَلَۢا بَيۡنَكُمۡ﴾ [١] يعني: دغلًا وخديعة ومكرًا. وكل ما دخله عيب فهو مدخول وفيه دخل.

والدخل: الداء الداخل في أعماق البدن.

والدخيل: من دخل في قوم وانتسب إليهم وليس منهم. وكل كلمة أدخلت في كلام العرب وليست منه. ومنه قيل: هذا الفرع دخيل في الباب. ومعناه: أنه ذكر استطرادًا ومناسبة ولا يشتمل عليه عقد الباب. أ.هـ [٢].

وبالتأمل فيما سبق من كلام أهل اللغة في معنى كلمة الدخيل، يلاحظ أن هذه الكلمة تدور حول معنى واحد وهو العيب والفساد الداخلي، سواء كان هذا العيب والفساد من حيث الغرابة، بإدخال المختلف بين المؤتلف كالكلمة غير العربية تدخل في كلام العرب، وكالرجل ينتسب إلى قوم وليس منهم، أم كان من أية حيثية أخرى كالداء والمكر والخديعة والريبة، وما إلى ذلك من العيوب الحسية والمعنوية [٣].

ويقول الدكتور عبد الوهاب فايد: "الدخيل في اللغة: هو الذي تسلّل من

---

(١) سورة النحل: ٩٤.

(٢) راجع مادة (دخل) في لسان العرب، والمفردات للراغب، والمصباح المنير، والمعجم الوسيط.

(٣) راجع القاموس المحيط للفيروز أبادى.

الخارج وليس له أصل في المحيط الذي تسلل إليه، ويستعمل في الأشخاص والألفاظ والمعاني، وما أشبه ذلك." (١)

ومن ثم.. يمكن تعريف الدخيل في التفسير لغة: بأنه عيب وفساد اجتهد صاحبه في دس حقيقته وإخفاء أمره في ثنايا الأصيل من تفسير القرآن الكريم بحيث يحتاج في إدراكه وكشف غواره إلى بذل شيء من التأمل.

الدخيل في اصطلاح علماء التفسير:

هو التفسير الذي لا أصل له في الدين، على معنى أنه تسلّل إلي كتب التفسير على حين غرة، وفي غفلة من الزمن، بفعل مؤثرات معيّنة، بعد وفاة النبيّ -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- أو هو: ما ينقل من التفسير ولم يثبت نقله، أو ثبت ولكن على خلاف المقبول، أو كان من قبيل الرأي الفاسد. (٢)

و"**أو**" هنا في هذا التعريف – كما يقول الدكتور إبراهيم خليفة-: "للتنويع لا للشك بمعنى: أن دخيل التفسير في الجملة نوعان: أحدهما: دخيل في المنقول، والآخر: دخيل في الرأي." (٣)

والدخيل يقابله (الأصيل من التفسير)، قال علماء اللغة: رجل أصيل له أصل. ورأى أصيل له أصل، ورجل أصيل: ثابت الرأي عاقل.

وأصل الشيء أسفله وأساس الحائط: أصله واستأصل الشيء: ثبت أصله وقوى ثم كثر حتى قيل: أصل كل شيء. ما يستند وجود ذلك الشيء إليه،

---

(١) الدخيل في تفسير القرآن الكريم أ٠د٠عبد الوهاب فايد (١٣/١) ط حسان بالقاهرة- الأولى- ١٣٩٨هـ- ١٩٧٨م.

(٢) الدخيل في تفسير القرآن الكريم أ٠د٠عبد الوهاب فايد (١٤/١)، الدخيل في التفسير أ٠د/ إبراهيم عبد الرحمن خليفة (ص ١٤).

(٣) الدخيل في التفسير أ٠د.إبراهيم خليفة (ص ١٤).

فالأب أصل للولد والجمع (أصول). وأصل النسب بالضم أصله شرف وهو أصيل مثل كريم. [١]

إذًا: الأصيل في اللغة: هو ما له أصل ثابت.

أما الأصيل في اصطلاحًا: هو التفسير الذي له أصل في الدين. أو بتعبير آخر: هو التفسير الذي يستمد روحه، ومقوماته من كتاب الله تعالى، أو من سنة رسول الله -صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ- أو من أقوال الصحابة والتابعين [٢].

فهذا النوع وإن كان جامعًا لأحد نوعي الأصيل. وهو المأثور الثابت. إلا أنه لا يشتمل على النوع الآخر وهو أصيل الرأي، ولكي يكون التعريف جامعًا مانعًا.

نقول: الأصيل في التفسير: هو ما نقل من التفسير مستندًا إلى كتاب الله تعالى، أو الثابت من سنة رسول الله -صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ- أو الصالح للحجية من أقوال الصحابة أو التابعين أو كان من قبيل الرأي السليم بعد تحصيل العلوم وتوافر الملكات اللازمة للاجتهاد. [٣]

---

(١) لسان العرب مادة (أصل) والمصباح المنير.

(٢) الدخيل في تفسير القرآن للدكتور /عبد الوهاب فايد (١٣، ١٤).

(٣) الدخيل في تفسير الخازن رسالة دكتوراه للدكتور /أحمد سويلم (ص ٨٣) نقلًا عن رسالة ماجستير للباحثة/ نوال عبد المجيد تمام بعنوان. الدخيل في تفسير الدر المنثور من سورة المؤمنون إلى سورة الزمر (ص ٤٢).

أسباب وجود الدخيل وانتشاره في كتب التفسير

يمكن لنا أن نجمل العوامل المؤثرة التي أدت إلى تسلل الدخيل وانتشاره في كتب التفسير فيما يلي:

١. عدم التمييز بين الصحيح والضعيف، والموضوع، وبين المقبول، والمردود وعدم التفرقة بين الجيد والرديء، والاكتفاء بذكر الأسانيد من غير نقد للرواه، كما فعل الطبري، وابن أبى حاتم، وعبد بن حميد وغيرهم من أصحاب التفسير المأثور.

٢. حذف الأسانيد، ونقل الأقوال من غير عزوها إلى قائلها، ولا بيان مم إستقيت، كان له أبلغ الأثر في شيوع الدخيل من الروايات الموضوعة، والأخبار المصنوعة في كتب التفسير.

فبعد عصر الأولين الذين ألفوا في التفسير بالمأثور، والتزموا ذكر السند بجملته جاء قوم صنفوا في التفسير، واختصروا الأسانيد، ولم ينسبوا الأقوال لقائليها، كما صنع أبو الليث السمرقندي المتوفي سنة ٣٧٣هـ في تفسيره "**بحر العلوم**" فلا تكاد تقع فيه على إسناد إلا نادرًا وبذلك التبس الحق بالباطل. والصحيح بالسقيم، وصار الناظر في تلك الكتب يظنها كلها صحيحة بينما هي مفعمة بالموضوعات والإسرائيليات على وجه لا تمييز فيه كأنها كلها حقائق. ومن هنا استهدفت رواياتهم للتجريح والطعن ويشير السيوطي إلى هذا المعنى فيقول: "ثم ألف في التفسير خلائق، فاختصروا الأسانيد، ونقلوا الأقوال تتري فدخل من هنا الدخيل، والتبس الصحيح بالعليل، ثم صار كل من يسنح له قول يورده، ومن يخطر بباله شيء يعتمده، ثم ينقل ذلك عنه من يجئ بعده، ظانًا أن له أصلًا، غير ملتف إلى

تحرير ما ورد عن السلف الصالح ومن يرجع إليهم في التفسير." أ.هـ [١].

٣. أعداء الإسلام من اليهود والنصارى ومن على شاكلتهم من الزنادقة الذين دخلوا في الإسلام للكيد له. وكذا الذين لم يدخلوا فيه، فهؤلاء وأولئك نشروا الخرافات والأباطيل بقصد إفساد الشريعة والتلاعب بالدين وإيقاع الشك في نفوس المسلمين تجاه دينهم وعقيدتهم. وقصد اليهود وأمثالهم من وراء ذلك أيضًا، صد اليهود عن الإسلام بما يروونه في تفسير المسلمين للقرآن الكريم مخالفًا لما هو متفق عليه عندهم، وعند غيرهم من المؤرخين في وقائع عملية وأمور حسية.

٤. الإكثار من النقل عن أهل الكتاب الذين أسلموا. وفيه الكثير من الإسرائيليات والخرافات والأباطيل التي لا يشهد لها نص من المنقول ولا تستسيغها العقول.

٥. تنزيل اللفظ القرآني على غير ما أريد منه. وإلصاق ذلك بالقرآن الكريم لصقًا، من غير أن يكون في اللفظ دلالة عليه، بحيث لا يشهد له سياق، ولا سباق. وقد نتج ذلك من ظهور الفرق والمذاهب. والتي كان لظهورها أثره على تفسير كتاب الله -عَزَّوَجَلَّ-؛ حيث تناولت كل طائفة كتاب الله تفسره بما ارتضته لنفسها من اعتدال أو تطرف فتفاسير المعتزلة تظهر فيها عقيدة الاعتزال، والشيعة تظهر في تفاسيرهم عقيدة التشيع، وهلم، وهلم فالمبتدعة ليس لهم قصد إلا تحريف الآيات وتسويتها على مذاهبهم الفاسدة فجاءت تأويلاتهم بعيدة عن الحق، مجافية للصواب.

ويوضح هذه الصورة وغيرها الشيخ/ شلتوت في مقدمة تفسيره فيقول: "لما

---

(١) الإتقان (٢/١٩٠)

حدثت بدعة الفرق والتطاحن المذهبي، والتشاحن الطائفي وأخذ أرباب المذاهب، وحاملو رايات الفرق المختلقة، يتنافسون في العصبيات المذهبية والسياسية امتدت أيديهم إلى القرآن الكريم، فأخذوا يوجهون القول في فهمه وجهات تتفق وما يريدون وبذلك تعددت وجهات النظر في القرآن الكريم واختلفت مسالك الناس في فهمه وتفسيره، وظهرت في أثناء ذلك ظاهرة خطيرة هي تفسير القرآن الكريم بالروايات الغريبة والإسرائيليات الموضوعة التي تلقفها الرواة من أهل الكتاب وجعلوها بيانًا لمجمل القرآن الكريم وتفصيلًا لآياته. ومنهم من عنى بتنزيل القرآن الكريم على مذهبه أو عقيدته الخاصة وبذلك وجدت تحكمات الفقهاء والمتكلمين وغلاة الصوفية وغيرهم ممن يروجون لمذهبهم، ويستبيحون في سبيل تأييدها والدعاية لها أن يقتحموا حمى القرآن الكريم، فأصبحنا نرى من يؤول الآيات لتوافق مذهب فلان، ومن يخرجها عن بيانها الواضح وعرضها المسوق له لكي لا تصلح لمذهب فلان وبهذا أصبح القرآن الكريم تابعًا بعد أن كان متبوعًا، ومحكومًا عليه بعد أن كان حاكمًا!!

وهناك طائفة أخرى ظهرت في زمننا المعاصر، وهي طائفة المثقفين الذين أخذوا بطرف من العلم الحديث وتلقنوا شيئًا من النظريات العلمية والفلسفية، والصحية، وغيرها أخذوا يستندون إلى ثقافتهم الحديثة. ويفسرون آيات القرآن الكريم، على مقتضاها. نظروا في القرآن على هذا الأساس فأفسد ذلك عليهم أمر علاقتهم بالقرآن الكريم، وأفضى بهم إلى صور من التفكير لا يريدها القرآن الكريم، ولا تتفق مع الغرض الذي من أجله أنزله الله تعالى. أ.هـ.[1]

(١) تفسير القرآن الكريم للشيخ محمود شلتوت (ص ٩) وما بعدها بتصرف وتلخيص.

أسئلة تدريبية

س١ عرف الدخيل في اللغة وفي اصطلاح علماء التفسير.

س٢ عرف الأصيل في اللغة وفي الاصطلاح.

س٣ أكمل العبارات الآتية بما يناسبها:

١. يُعرف الدخيل بأنه .... ويتنوع إلى .... و ....

٢. يمكن تعريف الدخيل في التفسير لغة ....

٣. من العوامل المؤثرة التي أدت إلى تسلل الدخيل وانتشاره في كتب التفسير............ و .... و ....

٤. يعتبر تفسير .... للإمام أبي الليث .... من التفاسير التي اختصرت فيه ذكر الأسانيد ولم ينسب الأقوال لقائليها، وبذلك التبس ....

٥. الأصيل في التفسير هو ....

[illegible] بدعة الفرق والنحل [illegible]

[illegible]

[illegible] وما يريدون وبذلك [illegible]

[illegible] الناس في فهمه وتفسيره [illegible]

[illegible] القرآن الكريم بالروايات [illegible]

[illegible] فلان وبهذا أصبح القرآن الكريم تابعًا بعد أن كان متبوعًا، ومحكومًا بعد أن كان حاكمًا!!

وهناك طائفة أخرى ظهرت في زمننا المعاصر، وهي طائفة [illegible] أخذوا طرفًا من العلم الحديث وتلقفوا شيئًا من النظريات العلمية والفلسفية والصحية، وغيرها [illegible] يمتدون إلى ثقافتهم الحديثة، ويفسرون القرآن الكريم على مقتضاها. نظروا في القرآن على هذا الأساس [illegible] أمر علاقتهم بالقرآن الكريم، وانتهى بهم إلى صور من التفكير لا يرضاها القرآن الكريم، ولا تتفق مع الغرض الذي من أجله أنزله الله تعالى. أ.هـ(١)

---

(١) تفسير القرآن الكريم للشيخ محمود شلتوت (ص ٩) وما بعدها بتصرف [illegible]

الفصل الثاني

أقسام الدخيل

(الدخيل) كلمة عامة لا يقتصر إطلاقها على الإسرائيليات فحسب، بل يدخل في نطاقها ومدلولها كل من:

أولًا: الإسرائيليات والأباطيل التي دخل معظمه إلى كتب التفسير عن طريق أعداء الإسلام الذين قصدوا تشويه جماله، والحط من كماله، والذي تناقله عنهم بسلامة نية، وعدم روية، المشتغلين بالتفسير والحديث.

ثانيًا: الأحاديث الواهية التي وردت معلولة الإسناد، أو ركيكة المعنى، ومن أكثرها ضررًا، وأشدها خطورة، الأحاديث الموضوعة عن النبي -صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- أي المختلق المصنوع، وهو شر الضعيف وأقبحه.

ثالثًا: كل تفسير غريب يخرج بالآية القرآنية عن معناها الحقيقي سواء أكان ذلك من ناحية القراءة والمعنى اللغوي، أو من ناحية التأويل كتأويلات الباطنية في التفسير(١)، وتحريفات أهل البدع والأهواء كالبهائية(٢)

---

(١) الباطنية فرقة فاسدة من تدبير جماعة من المجوس ظهرت في عهد الخليفة المأمون العباسي، وسموا بذلك لأنهم يدعون أن لظواهر القرآن والأحاديث بواطن تجرى من الظواهر مجرى اللب من القشر. ومن ارتقى إلى علم الباطن انحط عنه التكليف واستراح من أعبائه قالوا: وهم المرادون بقوله تعالى: ﴿وَيَضَعُ عَنْهُمْ إِصْرَهُمْ وَٱلْأَغْلَٰلَ ٱلَّتِي كَانَتْ عَلَيْهِمْ﴾ سورة الاعراف: ومرادهم أن ينزعوا من العقائد موجب الظواهر ليقدروا بالتحكم بدعوى الباطن على إبطال الشرائع أ.هـ. راجع الفرق بين الفرق (ص ١٦٩)، تلبيس إبليس (ص ١٠٢).

(٢) البهائية: فرقة ضالة منحرفة، ظهرت في القرن التاسع عشر الميلادي في بلاد فارس إيران ومؤسس هذه النحلة رجل يدعى الميرزا حسين على الملقب بالباب. ولما تم إعدامه عام ١٨٥٠م تولى الزعامة صديقه الميرزا حسين الملقب ببهاء الله وعرف أتباعه باسم البهائين. وقد ادعى النبوة والرسالة ثم الألوهية وزعم أن الله حل فيه -تعالى الله عن ذلك علواً كبيراً-؛ =

والقاديانية[1] في التفسير، وكشطحات بعض المتصوفة في التفسير[2]، وكشطحات بعض المفسرين العصريين في تفسير القرآن الكريم، وهم غير ملتزمين بالمنهج العلمي الصحيح للتفسير، مما ينتج عنه الخروج بالآية

وتقطن الغالبية العظمى من البهائيين في إيران وقليل منهم في العراق وسوريا ولبنان وفلسطين المحتلة وغير ذلك. البهائية: فرقة شاذة منحرفة منسوبة إلى البهاء، أ.هـ. ينظر: البهائية وسائل وغايات، د/ طه الدسوقي (ص ٥٣)، الموسوعة الميسرة (ص ٤٠٩ - ٤١٥).

(١) القاديانية: حركة نشأت سنة ١٩٠٠م بتخطيط من الاستعمار الإنجليزي في القارة الهندية بهدف إبعاد المسلمين عن دينهم وعن فريضة الجهاد بشكل خاص حتى لا يواجهوا المستعمر باسم الإسلام وكان لسان حال هذه الحركة هو مجلة الأديان التي تصدر باللغة الإنجليزية. انظر: الموسوعة الميسرة ص ٣٨٩، ويقول الدكتور غالب عواجي: القاديانية هي إحدى الفرق الباطنية الخبيثة ... وتسمى في الهند وباكستان بالقاديانية، وسموا أنفسهم في إفريقيا وغيرها من البلاد التي غزوها بالأحمدية تمويها على المسلمين أنهم ينتسبون إلى الرسول -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-. انظر: فرق معاصرة ٤٨٧/٢، وفى الحقيقة هم ينتسبون إلى ميرزا غلام أحمد القادياني (١٨٣٩ - ١٩٠٨م) أداة التنفيذ الأساسية لإيجاد القاديانية. وكان ينتمي إلى أسرة اشتهرت بخيانة الدين والوطن. ومن مؤلفاته "إعجاز أحمدي"، "براهين أحمدية"، "تجليات الهية" وغير ذلك. انظر: الموسوعة الميسرة (ص ٣٨٩)، "والقاديانية ثورة على النبوة المحمدية على صاحبها أفضل الصلاة والسلام، وثورة على الإسلام ومؤامرة دينية وسياسية كما يذكر الندوي" القادياني والقاديانية (ص ٥)، وللاستزادة وانظر: فرق معاصرة تنتسب إلى الإسلام (٤٨٧/٢ - ٥٧٣)، والفكر الإسلامي الحديث وصلته بالاستعمار للدكتور محمد البهى (ص ٣٨-٤٢)، والقاديانية لفضيلة الشيخ الخضر حسين (ص٣٠-٨٧)، والقاديانية ومصيرها في التاريخ لفضيلة الأستاذ الدكتور طه حبيشى (ص٦-١٩٤)

(٢) ظهرت جماعة المتصوفة بعد عصر الصحابة والتابعين، وذلك أنه لما نشأت الفرق الإسلامية ادعى كل فريق أن فيهم زهادًا وعبادًا، وهنا انفرد خواص أهل السنة المقبلون على العبادة باسم الصوفية أو المتصوفة، واشتهر هذا الاسم قبل المائتين من الهجرة، وكان لبعضهم شطحات في تفسير القرآن الكريم سببه الرأي والاجتهاد الخاطئ في خضم من الرموز والألغاز. التصوف الإسلامي منهجًا وسلوكًا د/ عبد الرحمن أبو عميرة (ص: ٧).

القرآنية عن معناها الصحيح إلى غير ذلك مما يدخل تحت معاني الدخيل المذموم.

ولا ريب أن هذه التأويلات العقلية جرت في إطار قواعد اللغة العربية أو عُرف العرب في الاستعمال، وكانت تعبر عن حركة تطور داخلي في الصراع السياسي والفكري في المجتمع الإسلامي، إذ من المعلوم أن المجتمع الإسلامي بعد الفتوحات ودخول أقوام ذات حضارات سابقة فيه وسقوط الخلافة الراشدة وقيام الدولة الأموية وتطور الأحداث الداخلية منذ الفتنة في زمن عثمان بن عفان -رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ- وما تلاه من أحداث القتال بين علي ومعاوية ابن أبي سفيان -رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ- وما انتهى إليه من ظهور الأحزاب السياسية... قد مر بتغيير اجتماعي وفكري داخلي محض، حاول كل طرف فيه أن يستخرج أدلة ما عنده من الأفكار والمقالات من القرآن الكريم باعتباره القاعدة العقيدية والحضارية التي كان منطلق كل صاحب سياسة أو مقالة منها.[1]

(١) تطور القرآن قراءة جديدة د/ محسن عبد الحميد (ص: ٩٩)، بحث منشور في جامعة بغداد (١٤٠٨هـ).

ومن هنا يمكن القول بأن الدخيل ينقسم في مجمله إلى قسمين رئيسين:

القسم الأول: دخيل النقل أو دخيل المأثور، وهو قسمان:

الأول: الإسرائيليات.

الثاني: الأحاديث الموضوعة والواهية.

القسم الثاني: دخيل الرأي وهو التفسير المبني على القول بالهوى ويُعرف ببدع التفاسير أو التفاسير المنحرفة. (١)

---

(١) سيكون الحديث عن القسم الأول من أقسام الدخيل وهو "دخيل النقل" أو "دخيل المأثور" وأثره في التفسير، وذلك لتعلقه بالتوصيف الدراسي للفرقة الثالثة. أما القسم الثاني من أقسام الدخيل وهو "دخيل الرأي" فهو مقرر على طلاب الفرقة الرابعة تفسير.

المصنفات في الدخيل

ومما ينبغي ذكره أن الدخيل موجود قديمًا في تضاعيف كتب التفسير إما مرويات إسرائيلية، أو مرويات موضوعة وواهية، وإما آراء منحرفة وأقوال فاسدة تبعًا لهوى صاحبها؛ لكنها لم تُفرَد بالتأليف إلا في الآونة الأخيرة.

ولقد اتخذ التأليف في الدخيل أشكالًا متعددة؛ حيث كان الحديث عن الدخيل بمفهومه المحصور في جانب المرويات الإسرائيلية والأحاديث الموضوعة والواهية، فألف في ذلك قديمًا:

- "**تنزيه الشريعة المرفوعة عن الأخبار الشنيعة الموضوعة**" لابن عراق الدمشقي.
- "**تدريب الراوي على شرح تقريب النواوي**" للإمام السيوطي.
- "**تحذير الخواص من أكاذيب القصاص**" للسيوطي وغير ذلك من المؤلفات على ما سيأتي بيانه في الحديث عن الإسرائيليات والموضوعات في كتب التفسير.

وأيضًا في العصر الحديث ألف فيه:

- "**الإسرائيليات في التفسير والحديث**" للدكتور محمد حسين الذهبي
- "**الاتجاهات المنحرفة في تفسير القران الكريم، دوافعها ودفعها**" للدكتور محمد حسين الذهبي.
- "**الإسرائيليات والموضوعات**" للدكتور محمد محمد أبو شهبة.
- "**بدع التفاسير**" لعبد الله محمد الصديق الغماري.

وفي الأعصار المتأخرة ظهر مصطلح الدخيل ليعم كل ما دخل في كتب

التفسير مما ليس منه، فألف فيه:

- "**الدخيل في التفسير**" للدكتور/ عبد الوهاب فايد.
- "**الدخيل في التفسير**" للدكتور/ إبراهيم خليفة.
- "**الدخيل في التفسير**" للدكتور/ عبد الرحيم أبو علبة.
- "**أصول الدخيل في تفسير آي التنزيل**" للدكتور/ جمال مصطفى عبد الحميد عبد الوهاب النجار
- "**الدخيل والإسرائيليات**" للدكتور/ سمير شليوة.
- "**الدخيل في التفسير أصوله وضوابطه**" للدكتور عماد يعقوب حمتو.
- "**أثر الدخيل في التفسير على التراث العلمي والواقع العملي للأمة الإسلامية**" للدكتور/ محمد السيد محمد يوسف.
- "**الدخيل في التفسير**" أ. د. ثناء علي مخيمر الشيخ.

القسم الأول

الإسرائيليات وأثرها في التفسير

التعريف بالإسرائيليات

الإسرائيليات: جمع مؤنث، مفرده إسرائيلية نسبة إلى بنى إسرائيل.

وإسرائيل: هو يعقوب بن اسحق بن إبراهيم الخليل -عَلَيْهِمُ السَّلَامُ- وكان يعقوب يدعى: إسرائيل، بمعنى: عبد الله وصفوته من خلقه: "**إيل**" هو الله، و "**إسر**" هو العبد.

وقيل: إسرائيل لقب نبي الله يعقوب -عَلَيْهِ السَّلَامُ- ومعناه الأمير المجاهد مع الله. ثم أطلق على جميع ذريته كما هو شائع في كتب القوم من الأسفار المنسوبة إلى موسى فما دونها.[1] أ.هـ

وإليه ينسب اليهود، فيقال: بنو إسرائيل. وقد ورد ذكرهم في القرآن منسوبين إليه في مواضع كثيرة، منها قوله تعالى: **﴿وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَٰقَ بَنِيٓ إِسْرَٰٓءِيلَ لَا تَعْبُدُونَ إِلَّا ٱللَّهَ وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَانًا﴾**[2]، وقوله تعالى: **﴿فَـَٔامَنَت طَّآئِفَةٌ مِّنۢ بَنِيٓ إِسْرَٰٓءِيلَ وَكَفَرَت طَّآئِفَةٌ﴾**[3]، وقوله تعالى: **﴿لُعِنَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِنۢ بَنِيٓ إِسْرَٰٓءِيلَ عَلَىٰ لِسَانِ دَاوُۥدَ وَعِيسَى ٱبْنِ مَرْيَمَ﴾**[4]

ولفظ الإسرائيليات – وإن كان يدل بظاهره على القصص الذي يُروى

---

(١) انظر القرطبي (١/١٨٢) والطبري (١/٥٥٣) تحقيق الشيخ شاكر، وتفسير المنار (٥/٤) ودائرة معارف القرن العشرين (١/٢٨٠).

(٢) سورة البقرة: ٨٣.

(٣) سورة الصف: ١٤.

(٤) سورة المائدة: ٧٨.

أصلًا عن مصادر يهودية يستعمله علماء التفسير والحديث ويطلقونه على ما هو أوسع وأشمل من القصص اليهودية، فهو في اصطلاحهم يدل على كل ما تطرق إلى التفسير والحديث من أساطير قديمة منسوبة في أصل روايتها إلى مصدر يهودي أو نصراني أو غيرهما، يقول فان فلوتن: "يطلق علماء المسلمين كلمة (إسرائيليات) على جميع العقائد غير الإسلامية، ولاسيما تلك العقائد والأساطير التي دسها اليهود والنصارى في الدين الإسلامي منذ القرن الأول الهجري." أ.هـ (١)

والحق: أن ما في كتب التفسير من المسيحيات أو من النصرانيات هو شيء قليل بالنسبة إلى ما فيها من الإسرائيليات، ولا يكاد يذكر بجانبها، وليس لها من الآثار السيئة ما للإسرائيليات إذ معظمها في الأخلاق، والمواعظ، وتهذيب النفوس، وترقيق القلوب (٢).

وقد كان من مقاصد اليهود وأمثالهم من وراء نشر الأباطيل والخرافات الإسرائيلية، صد اليهود عن الإسلام بما يرونه في تفسير المسلمين للقرآن مخالفًا لما هو متفق عليه عندهم وعند غيرهم من المؤرخين في وقائع عملية وأمور حسية. وقصدوا من وراء ذلك أيضًا – تشويه جمال الإسلام، فتظاهر كثير منهم بالإسلام وأبطنوا الكفر وتلفعوا بالتشييع لآل البيت إمعانًا في المكر والخداع، ليعيثوا بين المسلمين فسادًا وفي عقائدهم ومقدساتهم إفسادًا.

ومن ثم كان لهم النصيب الأوفر من هذا الهشيم المركوم من

---

(١) انظر السيادة العربية والشيعة والإسرائيليات في عهد بنى أمية لفان فولتن (ص ١٠٩) ترجمة الدكتور / حسن إبراهيم.

(٢) الإسرائيليات والموضوعات في التفسير لأبى شهبه (ص ٢٣-٢٤).

الإسرائيليات الدخيلة على تفسير كتاب الله وسنة رسوله -صَلَّىٰللَّهُعَلَيۡهِوَسَلَّمَ-!! لاسيما وأن اليهود كانوا أكثر أهل الكتاب صلة بالمسلمين، وثقافتهم كانت أوسع من ثقافات غيرهم، ومن أجل هذا كله غلب اللون اليهودي على غيره من ألوان الدخيل في التفسير، فأطلق عليه كلمة لفظ الإسرائيليات.

العلاقة بين الدخيل والإسرائيليات:

الإسرائيليات: هي أقاويل بني إسرائيل التي تلقوها عن علمائهم وكتبهم، وما ذكروه في "تَلْمُودِهِمْ"[1] وقد تُوِسّعَ فيها فأصبحت تطلق على كل ما دخل الحديث من معارف أهل الكتاب، ومن العلماء من يفرق بين الإسرائيليات والمسيحيات.

إن الإسرائيليات جزء من الدخيل، فالدخيل أعم من الإسرائيليات؛ لأن لفظ الدخيل كلمة واسعة تتناول القسمين، الدخيل المأثور، ودخيل الرأي، بينما الإسرائيليات هي جزء فقط من أنواع الدخيل في النقل والمأثور.

وكلاهما الإسرائيليات والدخيل أمر مرفوض؛ لأنه يجيء بما لا يتفق مع القرآن الكريم شرحًا صحيحًا، وإن كنا سنقول: إن من الإسرائيليات ما يتفق مع القرآن أو ما لا يتعارض معه، وهذا سيكون مقبولًا إن شاء الله.

أما الدخيل يتناول في لفظه ومعناه أنواعًا كثيرةً: الإسرائيليات في

---

(١) التلمود: هو روايات شفوية تناقلها الحاخامات حتى جمعها الحاخام يوضاس سنة ١٥٠م في كتاب أسماه المشنا أي الشريعة المكررة لها في توراة موسى كالإيضاح والتفسير، وقد أتم الراباي يهوذا سنة ٢١٦م تدوين زيادات وروايات شفوية. وقد تم شرح هذه المشنا في كتاب سمي جمارا، ومن المشنا والجمارا يتكون التلمود، ويحتل التلمود عند اليهود منزلة مهمة جدًا تزيد على منزلة التوراة. الموسوعة الميسرة في الأديان والمذاهب والأحزاب المعاصرة (٥٠١/١).

التفسير، والأحاديث الضعيفة والموضوعة في القرآن الكريم، كما يتناول تأويلات الباطنية في التفسير، كما يتناول شطحات المتصوفة في التفسير، كما يتناول بدع التفاسير اللغوية والإعرابية، كما يتناول تحريفات الفرق الضالة: البهائية والقاديانية ونحوها.

كما يتناول أيضًا هذا الشطط، وهذا التكلف الذي مال إليه العصريون في النظريات العلمية، كل هذا يعتبر من الدخيل، ويعتبر خارجًا عن معاني الآيات المعاني الصحيحة، وقطعًا للآيات عن السباق واللحاق، وعن سياق الآيات، والاستدلال بالآيات في غير ما تحتمله.

فمن هنا يتضح لنا أن العلاقة بين الدخيل والإسرائيليات هي علاقة العموم والخصوص المطلق، فكل الإسرائيليات دخيل، وليس كل الدخيل إسرائيليات.(١)

---

(١) الدخيل في التفسير

أقسام الإسرائيليات

تنقسم الإسرائيليات إلى أقسام متعددة باعتبارات مختلفة، فتنقسم من ناحية الرواية والدراية إلى:

١. صحيح من ناحية سنده ومتنه.

٢. ضعيف من ناحية سنده أو متنه أو بهما معًا.

وتنقسم باعتبار موضوعها إلى:

١. ما يتعلق بالعقائد.

٢. ما يتعلق بالأحكام.

٣. ما يتعلق بالمواعظ والقصص مما ليس له صلة بالموضوعين السابقين.

كما تنقسم باعتبار موافقتها لشريعتنا أو مخالفتها إلى:

١. أخبار موافقة لما في شريعتنا.

٢. أخبار مخالفة لما في شريعتنا.

٣. أخبار سُكت عنها في شريعتنا.[١]

---

(١) الإسرائيليات وأثرها في كتب التفسير، للدكتور رمزي نعناعة (ص ٧٦).

أقسام الإسرائيليات باعتبار الرواية والدراية

تنقسم الروايات الإسرائيلية باعتبار الرواية والدراية إلى ثلاثة أقسام:

القسم الأول: ما يعلم صحته: بأن ينقل عن النبي -صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- نقلًا صحيحًا، وذلك كتعيين اسم صاحب موسى -عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ- بأنه الخضر، فقد جاء هذا الاسم صريحًا على لسان رسول الله -صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- كما عند البخاري [1] أو كان له شاهد من الشرع يؤيده، وهذا القسم صحيح مقبول.

القسم الثاني: ما يعلم كذبه بأن يناقض ما عرفناه من شرعنا، ومن ذلك ما ورد عن أهل الكتاب أن سليمان -عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ- دخل الحمام فوضع خاتمه عند امرأة من أوثق نسائه، فأتاها الشيطان، فتمثل لها على صورة سليمان -عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ- فأخذ الخاتم منها... القصة، وفيها: أن الشيطان كان يأتي نساء سليمان، وَهُنَّ حُيَّضٌ» [2]!!

فمثل هذا الخبر يتعارض مع أصل عصمة الله لأنبيائه عن كل ما يمس بمقام النبوة والرسالة، فضلًا عن أن العقل البشرى السليم لا يصدق مثل هذا الخبر في غير الأنبياء، فكيف بهم -عَلَيْهِمُ ٱلسَّلَامُ-؟!

ومن هذا القبيل ما ذكره كثير من المفسرين عند قوله تعالى حكاية عن بنى إسرائيل لنبيهم موسى -عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ- ﴿قَالُواْ يَٰمُوسَىٰٓ إِنَّ فِيهَا قَوْمًا جَبَّارِينَ﴾[3].

فقد نقلوا أخبارًا من وضع بنى إسرائيل، في عظمة خلق هؤلاء الجبارين،

---

(١) صحيح البخاري، كتاب التفسير، باب قوله تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِفَتَىٰهُ﴾ (١٠٠١٦).

(٢) انظر الدر المنثور للسيوطي (٣١٢/١) والقصة رواها النسائي في تفسيره (١٧٦/١) عن ابن عباس موقوفًا ولعله مما تلقاه عن أهل الكتاب كما قال المحقق فضلًا عن أن في رجال الإسناد مقالًا.

(٣) سورة المائدة: ٢٢.

وأنه كان فيهم (عوج بن عنق) وكان طوله ثلاثة آلاف ذراع وثلاثمائة وثلاثون ذراعًا وثلث ذراع!! وهذا شيء يستحى من ذكره كما قال ابن كثير[1]. ثم هو مخالف لما ثبت في الصحيح أن رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: إن الله خلق آدم طوله ستون ذراعًا، ثم لم يزل الخلق ينقص حتى الآن [2].

القسم الثالث: ما هو مسكوت عنه لا من هذا القبيل ولا من ذاك القبيل، فلا نؤمن به ولا نكذبه وتجوز حكايته لما تقدم من قوله - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ -: «لا تصدقوا أهل الكتاب ولا تكذبوهم، ﴿قُولُوٓاْ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيْنَا...﴾.»

ومن ذلك: ذكر أسماء أصحاب الكهف، ولون كلبهم، وعصا موسى من أي الشجر كانت، وأسماء الطيور التي أحياها الله -عَزَّ وَجَلَّ- لإبراهيم - عَلَيْهِ السَّلَامُ - وتعيين بعض البقرة الذي ضُرِبَ به قتيل بنى إسرائيل ونحو ذلك[3].

والذي دعا النبي -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- إلى ذاك القول: «لا تصدقوا أهل الكتاب ولا تكذبوهم» أسبابًا أفصحت عنها الروايات، وكشفت عنها الأخبار، وتناقلها أهل التفسير. وهذه الروايات وتلك الأخبار تدخل في عداد، أسباب ورود الحديث فقد روى البخاري عن أبى هريرة قال: كان أهل الكتاب يقرءون التوراة بالعبرانية، ويفسرونها بالعربية لأهل الإسلام فقال رسول الله -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-: «لا تصدقوا أهل الكتاب ولا تكذبوهم، وقولوا آمنا بالله وما

---

(١) تفسير ابن كثير (٣/٧٠) ط: الشعب.

(٢) صحيح البخاري كتاب الأنبياء (٤/١٦٠،١٥٩).

(٣) انظر هذا التفسير ابن كثير (١/١٤) والتفسير والمفسرون للذهبي (١/١٧٩) ومقدمة أصول التفسير لابن تيميه (ص ١٠٠).

أنزل إلينا. وما أنزل إليكم وإلهنا وإلهكم واحد ونحن له مسلمون»[1].

وهناك سبب آخر رواه الإمام أحمد في مسنده عن أبي نَمْلَة الأنْصَارِيّ[2]: أنه بينما هو جالس عند رسول الله -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- جاءه رجل من اليهود، فقال: يا محمد، هل تتكلم هذه الجنازة؟ قال رسول الله -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-: «الله أعلم». قال اليهودي: أنا أشهد أنها تتكلم فقال رسول الله -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-: «إذا حدثكم أهل الكتاب فلا تصدقوهم ولا تكذبوهم، وقولوا: آمنا بالله ورسله وكتبه، فإن كان حقًا لم تكذبوهم وإن كان باطلًا لم تصدقوهم.»[3]

فهذه الروايات وغيرها تدل على أن ما أخبر به أهل الكتاب مما لم يثبت في شرعنا بخبر صحيح من كتاب أو سنة، ولم يتعارض مع عقيدتنا ويتصادم مع شريعتنا ينبغي التوقف فيه فلا نصدقه ولا نكذبه لاحتمال أن يكون ما أخبر به أهل الكتاب صدقًا فنكذبه بغير حق، أو يكون كذبًا فنسارع في تصديقه فنَضِل ونُضِل.. وليعلم أن أكثر ما يُحدَّث به أهل الكتاب غالبه كذب وبهتان، لأنه قد دخله تحريف وتبديل وتغيير وتأويل وما أقل الصدق فيه، ثم ما أقل فائدة كثير منه لو كان صحيحًا.

---

(١) صحيح البخاري. كتاب التفسير سورة البقرة، وكتاب الاعتصام "قول النبي -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-: "لا تسألوا أهل الكتاب عن شيء"، وكتاب التوحيد، باب: ما يجوز من تفسير التوراة وغيرها من كتب الله بالعربية.

(٢) أبو نملة الأنصاري، صحابي جليل، قيل: اسمه عمار، وقيل: عمرو، وقيل: عمارة، شهد أحدًا والخندق والمشاهد كلها مع رسول الله -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- وتوفي في خلافة عبد الملك بن مروان. انظر "الاستيعاب" لابن عبد البر (٣٣٥/٤)، "أسد الغابة" لابن الأثير (٣١٥/٦)، الإصابة لابن حجر (٣٤١/٧).

(٣) مسند الإمام أحمد (١٣٦/٤) ورواه ابن عبد البر في جامع بيان العلم (٤١/٢).

حكم رواية الإسرائيليات

تقدم معنا أن أنواع الإسرائيليات ثلاثة. ما علم صحته، وما علم كذبه، وما هو مسكوت عنه، أما حكم رواية كل نوع منها فهو التالي:

أما النوع الأول: فلا بأس بروايته، والرواية هنا معناها مجرد الحكاية والقصص وليس معناها الدعوة لها أو الأمر بها، وإنما تذكر على سبيل الاستئناس وليس الاعتقاد أو الاعتضاد، لأننا مأمورون بالدعوة إلى القرآن ففيه غنيه وكفاية عما سبقه من التشريعات وقد أجاز النبي - صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - رواية هذا القسم من الإسرائيليات على سبيل الحكاية حيث قال: «بلغوا عني ولو آية، وحدثوا عن بنى إسرائيل ولا حرج، ومن كذب على متعمداً فليتبوأ مقعده من النار»[1].

وهذا واضح من اللفظين "بلغوا وحدثوا" والفرق بينهما واضح، فالتبليغ بالدعوة يختلف عن التحديث بقصد الاستشهاد أو الحكاية.

قال الشافعي: "أباح الحديث عن بني إسرائيل عن كل أحد، وأنه من سمع منهم شيئًا، جاز له أن يحدث به عن كل من سمعه منه، كائنًا من كان، وأن يخبر عنهم بما بلغه، لأنه والله أعلم ليس في الحديث عنهم ما يقدح في الشريعة، ولا يوجب فيها حكمًا، وقد كانت فيهم الأعاجيب؛ فهي التي يحدث بها عنهم؛ لا شيء من أمور الديانة"[2].

أما النوع الثاني: وهو ما ترجح كذبه بأن كان مخالفًا لما في الكتاب والسنة، كما ورد في العهد القديم أن لوطا - عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ - شرب الخمر وزنى بابنتيه... الخ[3] حاشاه الله.

---

(١) أخرجه البخاري كتاب الأنبياء، باب " ما ذكر عن بنى إسرائيل " (٤٩٦/٦).

(٢) التمهيد لابن عبد البر (٤٢/١) ط المغربية.

(٣) سفر التكوين - الإصحاح ٩.

وأن هارون -عَلَيْهِ السَّلَامُ- هو الذي صنع العجل لبني إسرائيل ودعاهم إلى عبادته[1].

وكيف يعقل هذا وهو نبي ورسول معصوم؟! وهذا القسم المخالف لديننا لا يجوز روايته ولا التحديث بِه في التفسير وعلوم الدين، وإذا ذُكِر فيجب تعقبه بالإبطال، ولذلك من يتصدى لذكر الإسرائيليات يجب أن يكون ذا بصيرة علمية ونظرة نافذة فاحصة فيما يروى من الإسرائيليات.

وأما النوع الثالث: وهو المسكوت عنه فإنه تجوز روايته مع التوقف فيه، فلا نصدقه ولا نكذبه لأن روايات هذا القسم ربما تكون كذبًا فنصدقها، أو صدقًا فنكذبها، فنقع في الحرج في الحالتين.

قال ابن تيميه وتلميذه ابن كثير: وغالب ذلك مما لا فائدة فيه تعود إلى أمر ديني، ولهذا يختلف علماء أهل الكتاب في مثل هذا كثيرًا، ويأتي عن المفسرين خلاف لسبب ذلك. أ هـ[2]

وقال الامام ابن كثير -رَحِمَهُ اللَّهُ- في موطن آخر - بعد ذكره لبعض أخبارهم-: وعندي أن هذا وأمثاله وأشباهه من اختلاق بعض زنادقتهم، يُلبّسون به على الناس أمر دينهم، كما افْتري في هذه الأمة -مع جلالة قدْر علمائها وحفّاظها وأئمتها- أحاديث عن النبي -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- وما بالعهد مِن قِدَم، فكيف بأمة بني إسرائيل مع طول المدى، وقلّة الحفّاظ النُّقّاد فيهم، وشُرْبهم الخمور، وتحريف علمائهم الكَلِم عن مواضعه، وتبديل كتب الله وآياته! وإنما أباح الشارعُ الرواية عنهم في قوله: «وحدِّثوا عن بني إسرائيل، ولا حرج» فيما قد يجوّزه العقل، فأما فيما تحيله العقول، ويُحكم

---

(١) سفر الخروج - الإصحاح ٣٢ فقرة (١-٦) وراجع تاريخ الطبري (١/٦٩٤، ٤٩٩) وقصص الأنبياء للثعلبي (ص ٦١، ٦٢).

(٢) مقدمة التفسير لابن تيميه (ص ١٠٠) وتفسير ابن كثير (١/١٤).

عليه بالبطلان، ويغلب على الظّنون كذبه، فليس من هذا القبيل».[1]

وهذا النوع الثالث لا فائدة فيه، ولا طائل من ذكره كما قال ابن تيميه وابن كثير فيجب ألا يجعل في تفسير كلام الله تعالى، لأنه لم يترجح دليل صدقه على كذبه وإن كان ابن كثير قد جَوز روايته على سبيل الاعتبار[2].

وخالف في ذلك بعض العلماء المعاصرين أمثال الإمام محمد عبده الذي حذر من الإسرائيليات ونهى عنها إلا ما صحت روايته ووافق القرآن[3].

ويقول الشيخ أحمد شاكر(١٣٧٧هـ) -رَحِمَهُ ٱللَّهُ-: "إن إباحة التحديث عنهم فيما ليس عندنا دليل على صدقه وكذبه شيء، وذكر ذلك في تفسير القرآن، وجعله قولًا أو رواية في معنى الآيات، أو في تعيين ما لم يعين فيها، أو في تفصيل ما أجمل فيها شيء آخر!! لأن في إثبات مثل ذلك بجوار كلام الله ما يوهم أن هذا الذي لا نعرف صدقه ولا كذبه مبين لمعنى قول الله سبحانه، ومفصل لما أجمل فيه!! وحاشا لله ولكتابه من ذلك، وأن رسول الله -صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ- إذ أَذِن بالتحديث عنهم أمرنا أن لا نصدقهم ولا نكذبهم، فأي تصديق لرواياتهم وأقاويلهم أقوى من أن نقرنها بكتاب الله تعالى، ونضعها منه موضع التفسير، أو البيان؟ "اللهم غفرًا" أ.هـ[4]

ثم قال: "ومن أعظَمِ الكَلِمِ في الدلالة على تنزيه القرآن العظيم عن هذه الأخبار الإسرائيلية؛ كلمةٌ لابن عباس، رواها البخاري في "صحيحه"، ونقلها

(١) تفسير ابن كثير – ت السلامة (٧/ ٣٩٤).

(٢) انظر البداية والنهاية لابن كثير (٧٠٦/١٢).

(٣) راجع تفسير المنار (٢٨٧/١، ٢٨٨).

(٤) عمدة التفسير (١٥/١).

عنه الحافظُ ابنُ كثير، عند تفسير الآية (٧٩) من سورة البقرة، فقال ابن عباس: "يا معشرَ المسلمين، كيف تسألون أهل الكتاب عن شيء، وكتابُكم الذي أنزل الله على نبيّهِ أحْدَثُ أخبارِ الله[١]، تقرءونه مَحْضًا[٢] لم يُشَبْ[٣]! وقد حدَّثكم الله أنَّ أهل الكتابِ قد بَدَّلُوا كتابَ اللهِ وغَيَّرُوه، وكتموا بِأيديهم الكتابَ، وقالوا: هو من عند الله؛ ليشتروا به ثمنًا قليلًا، أفَلَا ينهاكم ما جاءكم من العلم عن مُسَاءَلَتِهِم؟ ولا والله ما رأينا منهم أحدًا قَطُّ سألكم عن الذي أُنزل إليكم". وهذه الموعظةُ القويةُ الرائعةُ رواها البخاري في ثلاثة مواضِعَ من صحِيحِه[٤]. اهـ

وقال علّامة الشام "محمد جمال الدين القاسمي" (ت ١٣٣٢هـ) -رَحِمَهُ اللَّهُ- بعد بحث طويل عن وقوع التبديل في كتب أهل الكتاب: "وبالجملة فكتب الكتابيّين كأقوالهم، لا يُعتمد عليها كلِّها؛ لظهور الكذب والتناقض فيها إلى اليوم، ولظهور تلفيقها؛ فهي ككتب القصص عندنا، فيها شيء من القرآن والسنة، ولكنه ممزوج بالأكاذيب والآراء المقتبسة من الأمم، ثم إن موافقة القرآن الكريم، أو الحديث الصحيح، لبعض ما في كتبهم دون بعض، تدل على أن الله -تعالى- بَيَن له حقَّ كلامهم من باطله، وصِدقَه من كَذِبِهِ، وهذا معنى قوله -تعالى-: ﴿وَمُهَيْمِنًا عَلَيْهِ﴾[٥].

(١) أحدث: آخر الكتب السماوية نزولًا من عند الله -تعالى- وفي رواية: "أحدث الأخبار بالله"

(٢) المحض: الخالص الذي لَا يشوبه شيء.

(٣) لم يشب أي لم يخالطه غيره، الفتح (٤٩٩/١٣).

(٤) عمدة التفاسير (١/ ١٣ - ١٧).

(٥) سورة المائدة: ٤٨.

قال بعضهم: "لا شيء يُعَوَّلُ عليه في صِحَّةِ بعضِ أقوالِ كُتُب اليهود دون بعض بعدما طرأ عليها من الضياع، والتحريف، والخلط، إلا الوحي، وقد ثبتت نبوة محمد -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- بالدلائل الساطعة، والآثار النافعة". انتهى؛ أي: فعَلَى وحيه الْمُعَوَّل، فالحمد لله الذي وفقنا لاتباعه "[١].

ويرى بعضهم أنه وإن جاز نقل أحاديثهم على وجه تكون مفردة غير مقرونة، ولا منزلة على كتاب الله، فإنه لا يجوز جعلها تفسيرا لكتاب الله قطعا إذا لم تصح عن رسول الله -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-، وذلك أن مرتبتها كما قال -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-: "لا تصدقوا أهل الكتاب ولا تكذبوهم "فإذا كانت مرتبتها أن تكون مشكوكا فيها، وكان من المعلوم بالضرورة من دين الإسلام أن القرآن يجب الإيمان به والقطع بألفاظه ومعانيه، فلا يجوز أن تجعل تلك القصص المنقولة بالروايات المجهولة، التي يغلب على الظن كذبها أو كذب أكثرها، معاني لكتاب الله، مقطوعا بها ولا يستريب بهذا أحد، ولكن بسبب الغفلة عن هذا حصل ما حصل.

وخلاصة القول.. أن النوع الأول والثالث يتفقان في جواز روايتهما، ويختلفان في أن الأول يستشهد به، وأن الثالث يتوقف فيه فلا تصديق ولا تكذيب، والأحرى أن ننأى به عن تفسير كتابه - عَزَّ وَجَلَّ-. وننزهه عما لا فائدة منه ولا جدوى من وجوده في ثنايا كتب التفسير.

وأما النوع الثاني: وهو ما عرف كذبه فهو الذي عناه العلماء في نهيهم عن روايته.

قال الخطيب البغدادي: "وإنما كره العلماء رواية أحاديث الأنبياء

(١) محاسن التأويل (١/٥٠).

وأقاصيص بنى إسرائيل المأخوذة عن الصحف مثل ما رواه وهب بن منبه، وكان يذكر أنه وجده في كتب المتقدمين، وتلك الصحف لا يوثق بها ولا يعتمد عليها". وقال أيضًا: "وكذلك ما نقل عن أهل الكتاب أنفسهم دون أخذه من صحفهم فإن إطراحه واجب، والصروف عنه لازم." [١]

والذي يهمنا من ذلك كله أنه لا يجوز رواية الإسرائيليات الواضحة الكذب إلا مع بيان كذبها وبطلانها. وقد قال الحافظ ابن كثير في معرض ذكره لرواية الإسرائيليات: "وما شهد لـه شرعنا منها بالبطلان فذاك مردود لا يجوز حكايته إلا على سبيل الإذكار بالإبطال. أهـ[٢]-

وهناك طائفة من الروايات التي يتضح من خلالها موقف الصحابة -رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ- من الإسرائيليات روى الطبراني برجال ثقات عن أبي الزَّعْرَاءِ [٣] قال: قال عبد الله ابن مسعود: "لا تسألوا أهل الكتاب عن شيء فإنهم لن يهدوكم، وقد أضلوا أنفسهم، إما أن يحدثوكم بصدق فتكذبوهم أو بباطل فتصدقوهم"[٤].

وفي رواية ابن عبد البر بنحوه قال: وزاد معن عن القاسم بن عبد الرحمن عن عبد الله في هذا الحديث أنه قال: "إن كنتم سائليهم لا محالة

---

(١) الجامع لأخلاق الراوي وآداب السامع (٢/١١٤).

(٢) البداية والنهاية (٦/٧٠٦).

(٣) أبو الزعراء اسمه: عبد الله بن هانئ، الكوفي، وهو أبو الزعراء الأكبر، يروي عن عمر وابن مسعود، روى عنه ابن أخته سلمة بن كهيل، وهو ثقة من الطبقة الثانية؛ قال ابن سعد: "كان ثقة وله أحاديث"، وقال العجلي: "ثقة من كبار التابعين"، وذكره ابن حبان في الثقات. وأما البخاري، فأعلّ حديثًا له حيث قال: "عبد الله بن هانئ أبو الزعراء الكوفي في الشفاعة، لا يتابع عليه". انظر "طبقات ابن سعد" (٦/١٧١)، و"ثقات العجلي" (ص ٢٧٢ رقم ٩٠٣)

(٤) مجمع الزوائد (١/١٩٢) وقال الهيثمي:" رواه الطبراني في الكبير ورجاله موثقون ".

فانظروا ما وطأ كتاب الله فخذوه، وما خالف كتاب الله فدعوه" [(١)].

وعن ابن عباس قال: كيف تسألون أهل الكتاب عن شيء وكتابكم الذي أنزله الله على نبيه -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- بين أظهركم أحدث عهدًا بربه، غضًا لم يشب؟! ألم يخبركم الله في كتابه أنهم قد غيروا كتاب الله وبدلوه وكتبوا الكتاب بأيديهم فقالوا: "هذا من عند الله ليشتروا به ثمنًا قليلًا". ألا ينهاكم العلم الذي جاءكم عن مسئلتهم؟ والله، ما رأينا رجلًا منهم قط يسألكم عما انزل الله إليكم"[(٢)].

وأخرج نصر المقدسي عن ميمون بن مهران قال: أتى عمر بن الخطاب رجل فقال: يا أمير المؤمنين! إنا لما فتحنا المدائن أصبت كتابًا فيه كلام معجب، قال أمن كتاب الله؟ قلت: لا، فدعا بالدرة فجعل يضربه بها وقرأ: ﴿الٓر تِلْكَ ءَايَٰتُ ٱلْكِتَٰبِ ٱلْمُبِينِ ١ إِنَّآ أَنزَلْنَٰهُ قُرْءَٰنًا عَرَبِيًّا﴾ إلى قوله: ﴿وَإِن كُنتَ مِن قَبْلِهِۦ لَمِنَ ٱلْغَٰفِلِينَ﴾[(٣)]. ثم قال: إنما أهلك من كان قبلكم بأنهم أقبلوا على كتب علمائهم وأساقفتهم وتركوا التوراة والإنجيل حتى دُرِسا وذهب ما فيهما من العلم[(٤)].

وروى ابن عساكر عن عمر بن سعيد قال: أهدى عبد الله بن عامر بن كريز إلى عائشة -رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا- هدية، فظنت أنه عبد الله بن عمرو، فردتها وقالت: "يتتبع الكتب - أي كتب اليهود والنصارى- وقد قال الله -عَزَّوَجَلَّ-:

---

(١) جامع بيان العلم لابن عبد البر (٤٢/٢) ورواه الطبراني بإسناد منقطع ورجاله ثقات كما في الزوائد (٢٣٥/١٠ - ٢٣٦).

(٢) المرجع السابق واللفظ له، ورواه البخاري كتاب الاعتصام (١٣٦/٩).

(٣) سورة يوسف آية: (١ - ٣).

(٤) كنز العمال (٩٥/١).

﴿أَوَلَمْ يَكْفِهِمْ أَنَّا أَنزَلْنَا عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ يُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ﴾[١] فقيل لها: إنه عبد الله بن عامر، فقبلتها "[٢].

وقد أنكر الرسول -صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- على عمر -رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ- لما أتاه بكتاب أصابه من بعض أهل الكتاب بقوله -صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-: «أمتهوكون[٣] فيها يا ابن الخطاب؟»[٤].

وقد يقول قائل: إن هذه الروايات تدل على إنكار النبي -صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- وأصحابه على من يسألون أهل الكتاب وهي تتعارض مع ما ثبت من أن بعض الصحابة كأبي هريرة وابن عباس كانوا يرجعون إلى بعض من أسلم من اهل الكتاب يسألونهم عما في كتبهم، وما روى من أن عبد الله بن عمرو بن العاص أصاب يوم اليرموك زاملتين[٥] من كتب أهل الكتاب فكان يحدث

---

(١) سورة العنكبوت آية: ٥١.

(٢) مختصر تاريخ ابن عساكر لابن منظور (٢٢/٥٥).

(٣) قال الحسن: متحيرون. قال أبو عبيد: أمتحيرون أنتم فِي الإسلام؟! لا تعرفون دينكم حتَّى تأخذوه من اليهود والنصارى؛ فمعناه أنَّه كره أخذ العلم من أهل الكتاب. وقال الأصمعيّ: المتهوك الذي يقع فِي كل أمر. وقال الزمخشري: تهوك، وتهور أخوان فِي معنى: وقع فِي الأمر بغير روية. "غريب الحديث" لأبي عبيد (١/٣٩٠) "الفائق فِي غريب الحديث" للزمخشري (٤/١١٧) لسان العرب لابن منظور مادة: هوك (١٥/١٦).

(٤) رواه الإمام أحمد (٣/٣٨٧) وزاد الهيثمي نسبته في الزوائد (١/١٧٤) لأبى يعلى والبزار وقال: " فيه مجالد بن سعيد ضعفه أحمد ويحيى بن سعيد وغيرهما " ورواه ابن عبد البر في الجامع (٢/٤٢) وللحديث طرق أخرى فيها ضعفاء وقال الحافظ في الفتح (١٣/٤٠٤) وهي وإن لم يكن فيها ما يحتج به لكن مجموعها يقتضي أن لها أصلًا ".

(٥) تثنية زاملة. وقد جاء في القاموس المحيط (٣/٣٩٥) أن الزامِلَة: هي "التي يُحْمَلُ عليها من الإبِلِ وغيرِها"، وفي الصحاح (ص ١٧١٨) هي: بعير يستظهر به الرجل، يحمل متاعه وطعامه عليه.

منهما[1]. فكيف يمكن التوفيق بينهما؟ نقول: ليس هناك تعارض بين هذا وذاك، لأن صحابة رسول الله -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- كانوا أعرف بأمور دينهم، وأبو هريرة وابن عباس وغيرهما ممن كانوا يرجعون إلى بعض من أسلم من أهل الكتاب كان لهم منهج سديد، ومعيار دقيق في قبول ما يلقى إليهم من الإسرائيليات، ثم إنهم ما كانوا يرجعون إليهم في كل شيء، وإنما كانوا يرجعون إليهم لمعرفة بعض جزئيات الحوادث والأخبار، ولم يعرف عنهم أنهم رجعوا إليهم في كل شيء، وإنما كانوا يرجعون إليهم لمعرفة بعض جزئيات الحوادث والأخبار، ولم يعرف عنهم أنهم رجعوا إليهم في العقائد ولا في الأحكام، لثقتهم بأن ما عندهم يكفيهم عن سؤالهم، وإذا ثبت أنهم سألوا أهل الكتاب عن شيء من العقائد فما كان ذلك عن تهول وارتياب منهم، وإنما كان لإقامة الحجة عليهم، وإقناعهم بصدق ما عندنا بعدما استقرت أصول الشريعة ورست قواعدها أما إنكار الرسول -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- وإنكار الصحابة على من كانوا يرجعون إلى أهل الكتاب، فقد كان في مبدأ الإسلام وقبل استقرار الأحكام، مخافة التشويش على عقائدهم وأفكارهم [2].

قال الحافظ ابن حجر: "وكأن النهي وقع قبل استقرار الأحكام الإسلامية والقواعد الدينية خشية الفتنة، ثم لما زال المحذور وقع الإذن في ذلك، لما في سماع الأخبار التي كانت في زمانهم من الاعتبار" [3].

---

(١) انظر مقدمة ابن تيميه في أصول التفسير (ص ٢٦).

(٢) الإسرائيليات في التفسير والحديث للذهبي (ص ٨٤ - ٨٥).

(٣) فتح الباري (٦/٥٧٥).

الرد على من زعم أن الإسرائيليات من مصادر التفسير:

تناول الشيخ الذهبي -رَحِمَهُ ٱللَّهُ- الحديث عن الإسرائيليات بتفصيل.

ثم إنه لما تكلم عن مصادر التفسير في عهد الصحابة قال: كان الصحابة في هذا العصر يعتمدون في تفسيرهم للقرآن الكريم على أربعة مصادر:

الأول: القرآن الكريم.

الثاني: النبي -صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-

الثالث: الاجتهاد وقوة الاستنباط.

الرابع: أهل الكتاب من اليهود والنصارى [١].

ولقد حاولت جهدي أن أفهم من عبارة الذهبي خلاف ظاهر النص، ولكن دون جدوى. فإن كان مراد الذهبي أن الروايات القليلة الواردة عن بعض الصحابة في أخبار الأمم السابقة، والتي قد تكون مستقاة من مسلمة أهل الكتاب أصبحت مصدرًا رابعًا لمصادر التفسير، فهذا لم يقل به أحد لمخالفته للحق. أما إن كان مراد الذهبي من عبارته أن يقرر وجود روايات في التفسير عن الصحابة من هذا النوع فلا ينكره أحد، ولعل مقصده كان ذلك. وإن قصرت العبارة عن مراده، خاصة وأن الذهبي -رَحِمَهُ ٱللَّهُ- قرر بإسهاب في حديثه عن الإسرائيليات أن الصحابة لم يسألوا أهل الكتاب عن كل شيء، ولم يقبلوا منهم كل شيء، وأن الصحابة توقفوا فيما سمعوه منهم، وأنهم لم يسألوا أهل الكتاب عن أشياء كانت مدعاة للهو والعبث، كعدد ألواح سفينة نوح.

---

(١) التفسير والمفسرون (٦٢/١).

وكذلك كان الصحابة -رضي الله عنهم- لا يصدقون اليهود فيما يخالف الشريعة أو يتنافى مع العقيدة [1].

ولكن المشكلة أن الذين نقلوا عن الذهبي في مؤلفاتهم الحديثة صرحوا بأن الإسرائيليات مصدر رابع. وقد استغل المستشرقون مثل هذه الكتابات وجعلوها مستندهم فيما أشاعوا من مصدر الفكر الإسلامي أو المتمم لـه على الأقل هو التوراة والإنجيل، لذا لم يجد الصحابة بُداً من الرجوع إلى جذور هذا الفكر برجوعهم إلى الإسرائيليات في منهج التفسير. فيرجع القارئ إلى عشرات الترهات التي أوردها تسيهر[2]، إذ قال: "إن ابن عباس اعتبر مصادر العلم المفضلة لديه: اليهوديَيْن اللَذَين اعتنقا الإسلام وهما كعب الأحبار وعبد الله بن سلام" [3].

كما ادعى تسيهر أيضًا: "أن ابن عباس كان يسأل كعب الأحبار عن التفسير الصحيح للتعبيرين القرآنيين: أم الكتاب، المرجان"[4]. والذي نريد أن نركز عليه هنا أن أدلة تسيهر التي ساقها لتقرير هذا، كتابات بعض المسلمين قديمًا وحديثًا، بمعنى أن تسيهر استغل السقطات العلمية عند العلماء فاتخذها سلاحًا ضد الحق وضد المسلمين مما يؤكد على المسلمين وجوب الحيطة فيما يكتبون.

كما أنه لا دليل لمن قال بأن الصحابة رغبوا في الوقوف على تفصيل

---

(١) المرجع السابق (١/١٧٠).

(٢) جولد زيهير وينطق غولد تسهير، وكولد صهير عالم مستشرق توفي ١٣٤٠هـ راجع ترجمته في الإعلام (٢/١٤٧- ٥/١٤٧، ٢٣٧).

(٣) مذاهب التفسير الإسلامي (ص ٧٣-٩٥) تحقيق د/ عبد الحليم النجار، ط/ الخانجي.

(٤) نفس المصدر.

ما اجمله القرآن، إذ الثابت عكس ذلك فقد أورد السيوطي وغيره عشرات الآثار الدالة على أن الصحابة اكتفوا بفهم القرآن مجملًا. وتورعوا عن الخوض فيه بغير علم منها: أَنَّ عُمَرَ بْنَ الْخَطَّابِ -رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ-، قَرَأَ عَلَى الْمِنْبَرِ: ﴿وَفَٰكِهَةً وَأَبًّا﴾، فَقَالَ: «هَذِهِ الْفَاكِهَةُ قَدْ عَرَفْنَاهَا، فَمَا الْأَبُّ؟ ثُمَّ رَجَعَ إِلَى نَفْسِهِ، فَقَالَ: لَعَمْرُكَ، إِنَّ هَذَا لهو التكلُّف يا عمر»[1]، نعم لقد انتشرت الإسرائيليات؛ ولكن ليس في عهد الصحابة؛ بل في عهد التابعين وأتباعهم. ورويت كلها موقوفة على قائليها. ثم إن الذين وقعوا في هذا الفهم الخاطئ - أعنى جعل الإسرائيليات مصدرًا رابعًا من مصادر التفسير - هم أنفسهم يقرون أن ما نسب إلى ابن عباس وعلى، وغيرهما من الصحابة من الروايات الضعيفة والموضوعة أضعاف ما صح عنهما، فإن كان الأمر كذلك فهل تحققوا من الإسرائيليات المنسوبة إلى هؤلاء الصحابة -رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ- ليست من هذا النوع الضعيف والموضوع؟ جاء في ميزان الاعتدال عند ترجمة "مجاهد بن جبر" ما يلي: "عن أبى بكر بن عيّاش قال: قلت للأعمش: ما بال تفسير مجاهد مخالف؟ أو ما بالهم يتقون تفسير مجاهد؟ قال: كانوا يرون أنه يسأل أهل الكتاب"[2].

لكن هذا لا يقدح في صدقه وعدالته فقد «أجمعت الأمّة على إمامته

---

(١) الإتقان (١١٣/١). فضائل القرآن (ص ٢٢٧) ورواه ابن أبي شيبة في المصنف (٥١٢/١٠) عن يزيد به، ورواه الحاكم في المستدرك (٥١٤/٢) من طريق يزيد عن حميد بِهِ، وَقَالَ: "صَحِيحٌ عَلَى شَرْطِ الشَّيْخَيْنِ وَلَمْ يخرجاه". قال الحاكم: صحيح على شرط الشيخين. ووافقه الذهبي. وصحح إسناده الحافظ ابن كثير في تفسيره: (٣٤٨/٨). وهو عند البخاري في الاعتصام بالكتاب والسنة، باب ٣، حديث ٧٢٩٣، مختصرًا.

(٢) ميزان الاعتدال (٤٣٩/٣).

والاحتجاج به، وقد أخرج له أصحاب الكتب السّتّة. [1]

قال الشيخ الدكتور محمد حسين الذهبي -رَحِمَهُ اللَّهُ-: "هذا هو كل ما أُخِذ على تفسيره؛ ولكن لم نر أحدًا طعن عليه في صدقه وعدالته. وجملة القوَل فإن مجاهدًا ثقة بلا مدافعة، وإن صح أنه كان يسأل أهل الكتاب فما أظن أنه تخطى حدود ما يجوز له من ذلك، لا سيما وهو تلميذ حَبْر الأُمة ابن عباس. الذي شدَد النكير على مَن يأخذ عن أهل الكتاب ويُصَدِّقهم فيما يقولونه مما يدخل تحت حدود النهى الوارد عن رسول الله -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ»[2]

فإن كان التابعون يجرحون من يعتمد على أهل الكتاب في نقل الأخبار ويجعلون ذلك سببًا كافيًا للتجريح فما بالنا بالصحابة -رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ- ثم إن الإسرائيليات لو كانت فعلًا مصدرًا معتمدًا عند السلف في التفسير لأثرت في منهجه، أو غيرت من وجهته، ولكنها لم تؤثر على الفكر الإسلامي ولا على عقيدته وبقيت اللعنة على بنى إسرائيل بتقرب المسلمون إلى الله بترديدها فيما يتلونه من القرآن.

ولو أنها لعبت أدنى دور في المسيرة الإسلامية عقيدة أو منهجًا لما تجرأنا ونحن في القرن الخامس عشر أن ندعوا لطرحها من تاريخنا الإسلامي غير متأسفين عليها. والله أعلم [3].

وخلاصة القول... إن كتب التفسير قد تسرب إليها كثير من الروايات الإسرائيلية عن طريق اليهود والنصارى الذين دخلوا في الإسلام، ولكن هذه الروايات، كثرت أو قلت، لم تؤثر في الفكر الإسلامي، ولم تغير عقليته، ولم تكن إحدى مصادره البتة.

---

(١) راجع ترجمته في: سير أعلام النبلاء (٤/٣٢٤)، ميزان الاعتدال (٣/٤٤٠).

(٢) التفسير والمفسرون (١/٨٠).

(٣) مقدمة تفسير النسائي (١/١٤) تحقيق سيد الحليمي – صبري الشافعي.

بعض الإسرائيليات قد يصح السند إليها:

لعل قائلًا يقول: أما ما ذكرت من احتمال أن تكون هذه الروايات الإسرائيلية مختلقة موضوعة على بعض الصحابة والتابعين، فهو إنما يتجه في الروايات التي في سندها ضعف، أو مجهول، أو وضاع، أو متهم بالكذب، أو سيئ الحفظ، يخلط بين المرويات، ولا يميز، أو نحو ذلك. ولكن بعض هذه الروايات حكم عليها بعض حفاظ الحديث، بأنها صحيحة السند، أو حسنة السند، أو إسنادها جيد، أو ثابت، ونحو ذلك فماذا تقول فيها؟!

والجواب: إنه لا منافاة بين كونها صحيحة السند، أو حسنة السند، أو ثابتة السند، وبين كونها من إسرائيليات بنى إسرائيل، وخرافاتهم، وأكاذيبهم فهي صحيحة السند إلى ابن عباس، أو عبد الله بن عمرو بن العاص أو إلى مجاهد، أو عكرمة أو سعيد بن جبير وغيرهم، ولكنها ليست متلقاة عن النبي -صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-، لا بالذات ولا بالواسطة؛ ولكنها متلقاه عن أهل الكتاب الذين أسلموا، فثبوتها إلى من رويت عنه شيء وكونها مكذوبة في نفسها، أو باطلة أو خرافة شيء آخر [١].

ومثال ذلك: قصة هاروت وماروت قد صح إسنادها وهي رواية إسرائيلية، فرواها أحمد والبزار من حديث عبد الله بن عمر. وقال الهيثمي في الزوائد: "رجاله رجال الصحيح خلا موسى بن جبير وهو ثقة"[٢]، وفي موضع آخر عزاها الهيثمي لأحمد فقط وقال رجاله رجال الصحيح غير موسى بن جبير

---

(١) الإسرائيليات والموضوعات في التفسير للدكتور ابى شهبه (ص ١٣٦).

(٢) مجمع الزوائد للهيثمي (٥/٦٨).

وهو ثقة"[1]، ورواها الحاكم في المستدرك وصححها ووافقه الذهبي[2]، وقد نقل ابن كثير في تفسيره رواية الإمام أحمد وعلق عليها بقوله: "هذا حديث غريب من هذا الوجه، ورجاله كلهم ثقات من رجال الصحيحين إلا موسى بن جبير هذا ". أهـ [3]

وقد رواها الطبري عن علي -رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ-[4]، ونقلها ابن كثير في التفسير وقال "وهذا الإسناد رجاله ثقات، وهو غريب جدًا"

ورواها ابن أبى حاتم من حديث ابن عمر وقال عنها ابن كثير: "وهذا إسناد جيد إلى ابن عمر"[5]

قال الشيخ أحمد شاكر -رَحِمَهُ اللَّهُ- في تحقيق الطبري: "هذه الأخبار في قصة هاروت وماروت، وقصة الزهرة، وأنها كانت امرأة فمسخت كوكبًا - أخبار أعلّها أهل العلم بالحديث، وقد جاء هذا المعنى في حديث مرفوع، رواه أحمد في المسند من طريق موسى بن جبير، عن نافع عن ابن عمر[6]، وقد فصلت القول في تعليله في شرح المسند، ونقلت قول ابن كثير في التفسير[7] "وأقرب ما يكون في هذا أنه من رواية عبد الله بن عمر عن كعب الأحبار، لا عن النبي -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- واستدل بروايتي الطبري

---

(١) مجمع الزوائد للهيثمي (٣١٣١٦-٤١٤).

(٢) مستدرك الحاكم (٢/٤٤٢).

(٣) تفسير ابن كثير (١/٢٠١).

(٤) تفسير الطبري (٢/٤٢٨)

(٥) تفسير ابن كثير (١/٢٠١).

(٦) مسند الإمام أحمد بن حنبل (٦١٧٨)

(٧) تفسير ابن كثير (١/٢٥٥).

السالفتين (١٦٨٤/١٦٨٥) عن سالم عن ابن عمر عن كعب الأحبار". [١]

وقد أشار ابن كثير أيضًا في التاريخ وقال: "فهذا أظنه من وضع الإسرائيليين، وإن كان قد أخرجه كعب الأحبار، وتلقاه عنه طائفة من السلف، فذكره على سبيل الحكاية والتحديث عن بنى إسرائيل " وقال أيضًا بعد الإشارة إلى أسانيد أخرى: وإذا أحسنا الظن قلنا: هذا من أخبار بنى إسرائيل، كما تقدم – من رواية ابن عمر عن كعب الأحبار، ويكون من خرافاتهم التي لا يعول عليها[٢].

وقال في التفسير أيضًا بعد ذكر كثير من الروايات في الطبري وغيره: "وقد روى في قصة هاروت وماروت " عن جماعة من التابعين، وقصها خلق من المفسرين، من المتقدمين والمتأخرين وحاصلها راجع في تفصيلها إلى أخبار بنى إسرائيل، إذ ليس فيها حديث مرفوع صحيح متصل الإسناد إلى الصادق المصدوق المعصوم الذي لا ينطوي على الهوى، وظاهر سياق القرآن إجمال القصة من غير بسط ولا إطناب فيها، فنحن نؤمن بما ورد في القرآن، على ما أراده الله تعالى. والله أعلم بحقيقة الحال. أهـ [٣]

قال شاكر: "وهذا هو الحق، وفيه القول الفصل، والحمد لله. ومن هذا القبيل أيضًا حديث الفتون فقد أخرجه أبو يعلى من حديث ابن عباس بسند رجاله رجال الصحيح غير أصبغ بن زيد والقسم بن أبى أيوب وهما ثقتان كما في الزوائد[٤]، وأخرجه النسائي في تفسيره[١].

---

(١) تفسير الطبري بتحقيق الشيخ أحمد شاكر (٢/٤٣٤)

(٢) البداية والنهاية لابن كثير (١/٣٧-٣٨)

(٣) تفسير ابن كثير (١/٢٦٠)

(٤) مجمع الزوائد للهيثمي (٧/٦٦).

وقال المحقق: رجاله ثقات، ونقله ابن كثير في تفسيره[٢] وقال بعده: هكذا رواه الإمام النسائي في السنن الكبرى، وأخرجه ابن جرير وابن أبي حاتم في تفسيرهما، كلهم من حديث يزيد بن هارون به وهو موقوف من كلام ابن عباس، وليس فيه مرفوع إلا قليل منه، وكأنه تلقاها ابن عباس – رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ – مما أبيح نقله من الإسرائيليات عن كعب الأحبار أو غيره والله أعلم. وسمعت شيخنا الحافظ أبا الحجاج المزي يقول ذلك أيضًا. أهـ

وقال الشيخ أحمد شاكر في تحقيقه للطبري[٣]: وهذا موقوف وإسناده صحيح إلى ابن عباس. أما صحة المتن فلا نستطيع أن نجزم به، لعله مما كان يتحدث به الصحابة عن التاريخ القديم نقلًا عن أهل الكتاب.

ومما تجدر الإشارة إليه بيان أن الإسرائيليات المكذوبة والباطلات المنسوبة إلى عبد الله بن سلام، أو كعب الأحبار، أو وهب بن منبه، ليس معناه أنها من وضعهم واختلاقهم، كما زعم ذلك بعض الناس اليوم، وإنما معنى ذلك: أنهم هم الذين رووها، ونقلوها لبعض الصحابة، والتابعين من كتب أهل الكتاب ومعارفهم، وليسوا هم الذين اختلقوها، وإنما اختلقها، وافتجرها أسلافهم القدماء.

ولم يقل أحد من أئمة الجرح والتعديل على حصافتهم، وبعد نظرهم: أن كعبًا، ووهبًا وعبد الله بن سلام، وأمثالهم كانوا وضاعين، يتعمدون الكذب والاختلاق من عند أنفسهم، وإنما الذي قالوه عنهم: أنهم كانوا هم الواسطة في حمل ونقل معارف أهل الكتاب إلى المسلمين، وأن البعض رواها عنهم، فليس

=

(١) تفسير النسائي (٢/٤٨).

(٢) تفسير ابن كثير (٥/٢٨٦).

(٣) تفسير الطبري تحقيق احمد شاكر (٢/٤٢ – ٤٣).

الذنب ذنبهم، وإنما الذنب ذنب من نقلها ورواها عنهم من غير بيان لكذبها وبطلانها [1].

ولما كانت رواية الإسرائيليات تدور غالبًا عن كعب، ووهب بن منبه، وعبد الله بن سلام، وابن جريج وأنهم هم الذي كان الاتهام منصبًا عليهم أكثر من غيرهم، فسأذكر لكل منهم ترجمة، كي يتبين المصنف آراء أئمة الجرح والتعديل فيهم.

---

(١) انظر الإسرائيليات والموضوعات في التفسير لأبى شهبه (ص ١٣٧).

جهود العلماء في ابطال الإسرائيليات والرد عليها

تبين مما سبق مما لا شك فيه أن كتب التفسير - لاسيما التفسير المأثور- قد اشتملت على الإسرائيليات، والضعيف والموضوع من الأحاديث على تفاوت بينها قلة وكثرة من غير تنصيص عليها غالبًا، وردها من جهة العقل والنقل، وبيان أنها دخيلة على الإسلام. مما حدا ببعض المستشرقين أن يُسرف في القول، فيذكر أن أغلب الأحاديث الواردة في كتب التفسير موضوعة، ويقول أيضًا: "ويذهب النقاد المحدثون إلى أنه لا أمل في العثور في هذه التفاسير على أخبار صحيحة عن أسباب نزول القرآن وإذاعته في الناس"!!

وهذه المقولة التي تنسب لمستشرق فرنسي يدعى "كاراده فو"(١) بعيدة عن الحق، مجافة للصواب، وهذا الحكم بعيد أيضًا عن الاستقراء كعهد كثير من المستشرقين في أبحاثهم الإسلامية، لأن التفاسير المعتبرة فيها كثير من الأحاديث الصحيحة. و" كاراده فو" نفسه يقول عن الطبري: "ويشمل تفسيره المطول كثيرًا من الأحاديث المسندة الصحيحة (٢).

وقد قيض الله تعالى لحفظ الأحاديث والسنة، وتمييز صحيحها من ضعيفها، وجيدها من زائفها، علماء كثيرين في كل عصر ومصر، تجردوا وانقطعوا لهذا العمل الجليل.

---

(١) بارون كارادي فو Baron Carrade Vaux: فرنسي متعصب جدا ضد الإسلام والمسلمين، ساهم بنصيب بارز في تحرير "دائرة المعارف الإسلامية" و"الفكر الإسلامي الحديث وصلته بالاستعمار الغربي" (ص ٤٤٧).

(٢) انظر دائر المعارف الإسلامية (٩/٤١٠-٤١٤) وقصة التفسير لأحمد الشرباصي (ص ٨٠).

وكذلك غيرهم ممن ليسوا من حفاظ الحديث، ولكنهم تناولوا إبطال كثير من الإسرائيليات والموضوعات من جهة العقل والنظر.

ومن يوم أن ظهرت حركة الوضع في الحديث والتفسير، وهؤلاء العلماء في جهاد مستمر مضن في مقاومة هذه الموضوعات وتنقية كتب الحديث والتفسير منها. وهذا مصداقًا لما في الخبر: «**إن لله عند كل بدعة كيد بها الإسلام وليًا من أوليائه يذب عن دينه**». [1]

وروى عنه -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-: «**يحمل هذا العلم من كل خلف عدوله، ينفون عنه تحريف الغالين وانتحال المبطلين، وتأويل الجاهلين**» [2].

قال البيهقي عقب روايته لهذا الحديث: "وقد وجد تصديق هذا الخبر في زمان الصحابة، ثم في كل عصر من الأعصار إلى يومنا هذا. وقام

---

(١) رواه أبو نعيم في الحلية (١٠/٤٠٠) عن أبى هريرة مرفوعًا، وقال المناوي في فيض القدير رقم (٢٣٧٣): تفرد به عبد الغفار، قال الحافظ العراقي في ذيل الميزان: "لم أر من تكلم في زكريا بالضعف، وإنما الآفة من شيخه المذكور، وأقره ابن حجر في اللسان" أ هـ. وراجع لسان الميزان (١٩٣١/٢)

(٢) رواه البيهقي في الدلائل (٤٤/١) وأخرجه الخطيب من طرق في "شرف أصحاب الحديث" (ص ٢٨-٣٠) وفي سنده معان بن رفاعة وهو لين الحديث كما في التقريب (٣٥٨/٢) وزاد السيوطي نسبته في الجامع الكبير (٥٩٥/١) لأبى نصر السجزي في الإبانة، وأبى نعيم وابن عساكر ونقل عن الإمام أحمد أنه سئل عن هذا الحديث وقيل له: كأنه موضوع. قال: لا هو صحيح سمعته من غير واحد. وقال العراقي: إن له طرق = كثيرة كلها ضعيفة وقال ابن القطان: وخفي على أحمد ما علمه غيره. قال الزركشي: وفيما صار إليه ابن القطان من تضعيفه نظر، فإنه يتقوى بتعدد طرقه، ومن شواهده كتاب عمر إلى أبى موسى: "المسلمون كلهم عدول بعضهم على بعض إلا مجلودًا في حد أو مجربًا عليه شهادة زور، أو طعنًا في ولاء أو نسب". راجع تدريب الراوي (٣٠٢/١-٣٠٣)، ط: مكتبة التراث، وفتح المغيث (٢٩٧/١).

بمعرفة رواة السنة ثم في كل عصر من الأعصار جماعة وقفوا على أحوالهم في التعديل والجرح، وبينوها ودونوها في الكتب حتى من أراد الوقوف على معرفتها وجد السبيل إليها. أ.هـ[1]

ومن خلال النقد والتمحيص يتبين لنا أن هناك عددًا كبيرًا من الأحاديث الصحيحة التي استشهد بها المفسرون، ويتبين لنا أن المدسوس أو الموضوع من هذه الأحاديث محدود وقليل بالنسبة لما صح عن النبي - صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - أو الصحابة والتابعين، ويمكن معرفة ذلك بالرجوع إلى الكتب التي محصت الروايات الواردة في كتب التفسير، ونذكر منها على سبيل المثال:

- كتاب: "**تحفة الراوي في تخريج أحاديث البيضاوي**" لقاسم بن قطلوبغا الحنفي.
- كتاب: "**الفتح السماوي في تخريج أحاديث البيضاوي**" للشيخ عبد الرؤوف المناوي[2].
- كتاب: "**الكافي الشاف في تخريج أحاديث الكشاف**" للإمام الحافظ ابن حجر العسقلاني وهو يقول في فاتحة هذا الكتاب: "أما بعد: فهذا تخريج الأحاديث الواقعة في التفسير المسمى بالكشاف، الذي أخرجه الإمام أبو محمد الزيلعي لخصته مستوفيًا لمقاصده، غير مخل بشيء من فوائده، وقد كنت تتبعت جملة كثيرة لاسيما من الموقوفات، فاته تخريجها، إما سهوًا وإما عمدًا، ثم أخرت ذلك وأضفته إلى المختصر من هذا التلخيص، اقتصرت

---

(١) دلائل النبوة (١/ ٤٤).

(٢) انظر الإسرائيليات والموضوعات في التفسير (ص ١٩٢) والوسيط في علوم ومصطلح الحديث (ص ٣٦٤) كلاهما للدكتور/ محمد أبى شهبه.

في هذا على تجريد الأصل والله المستعان.أ.هـ[1]

ومن طالع فتح الباري بشرح صحيح البخاري لابن حجر أيضًا وجد كثيرًا من الروايات التي أخرجها بعض علماء التفسير المأثور أمثال الطبري وابن أبي حاتم مما يتعلق بسبب نزول الآيات أو بيان معنى، حكم عليها الحافظ ابن حجر بما يناسب حال الرواية من الصحة أو الضعف.

وقد فعل ذلك الحافظ ابن كثير في تفسيره غالبًا، فناقش الأسانيد، وكشف النقاب عن أحوال الرواة، مستشهدًا بما قاله علماء الجرح والتعديل في ضبطهم ونسيانهم، وفي ضعفهم وعدالتهم، ولذا يعتبر تفسير ابن كثير من أجلِّ التفاسير، إن لم يكن أجلها وأفضلها، حيث جمع فيه مؤلفه بين التفسير، والتأويل، والرواية، والدراية مع العناية التامة بذكر الأسانيد، وبيان صحيحها من ضعيفها، من موضوعها، فضلًا عن تنبيهه على الإسرائيليات وتعقيبه عليها بأنها دخيلة على الرواية الإسلامية وبيان أنها من الإسرائيليات، الباطلة المكذوبة، وتارة لا يذكرها بل يشير إليها، ويبين رأيه فيها. وهذا النهج القويم في التمحيص سار عليه ابن كثير أيضًا في تاريخه حيث يقول في مقدمته: "ولسنا نذكر من الإسرائيليات إلا ما أذن الشارع في نقله مما لا يخالف كتاب الله وسنة رسول الله -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- وهو القسم الذي لا يصدق ولا يكذب: مما فيه بسط لمختصر عندنا، أو تسمية لمبهم ورد به شرعنا مما لا فائدة في تعيينه لنا فنذكره على سبيل التحلي به لا على سبيل الاحتجاج به والاعتماد عليه. وإنما الاعتماد والاستناد على كتاب الله وسنة رسول الله -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- مما صح نقله أو حسن وما كان

---

(١) مقدمة تخريج أحاديث الكشاف (ص ٣).

فيه ضعف نبينه. أ.هـ[1]

وقال في موضع آخر: ونحن نورد ما نورده من الذي يسوقه كثير من كبار الأئمة المتقدمين عنهم – أي أهل الكتاب – ثم نتبع ذلك من الأحاديث بما يشهد لـ-ه بالصحة أو يكذبه، ويبقى الباقي مما لا يصدق ولا يكذب، وبه المستعان وعليه التكلان. أ.هـ[2]

ومن ثم... يمكننا القول إن من جاء بعد ابن كثير من المفسرين، ممن تنبه إلى الإسرائيليات والموضوعات، وحذر منها، هم عالة عليه في هذا، ومدينون له فيها بهذا الفضل، ولا عجب في هذا.. فابن كثير من أئمة الحفاظ ومن أوسع العلماء بالحديث دراية ورواية وهو ما مكنه من نقد المرويات نقدًا سليمًا، بمهارة المحدث البارع، الخبير بعلل الحديث، ومواطن القوة أو الضعف فيه، وجزى الله علماء الحديث أحسن الجزاء تلقاء ما قاموا به من الجرح والتعديل ونقد الحديث ورواته وبيان الصحيح منه والموضوع، والحسن منه والضعيف، حتى ألفوا في هذا الغرض الموضوعات الضخمة، والأسفار التي تنوء بالعصبة أولى القوة.

وإني أذكر لك أيها القارئ الكريم طائفة منها لتكون لك مرجعًا ودليلًا تهتدى إليه: فمن ذلك "**الجرح والتعديل**" لابن أبي حاتم، و"**الضعفاء الصغير**" للبخاري، و"**الضعفاء والمتروكين**" للنسائي، و"**المجروحين**" لابن حبان، و"**ميزان الاعتدال**" للذهبي، و"**لسان الميزان**" لابن حجر، و"**العلل المتناهية**" لابن الجوزي، و"**اللآلئ المصنوعة في الأحاديث الموضوعة**" للسيوطي، و"**تنزيه الشريعة**" لابن عراق، وغيرهم مما لا يمكن استقصاؤه ولا الإحاطة به.

---

(١) البداية والنهاية (٥/١).

(٢) المرجع السابق (١٥/١).

وكان لبعض المفسرين جهد مشكور في رد المفتريات من جهة العقل والنظر، كالإمام الفخر الرازي، وأبي السعود، والآلوسي، والإمام محمد عبده في دروسه وتفسيره؛ وبعض رسائله، وقد جمع في نقده للمفتريات بين الطعن في السند والمتن معًا كما أننا نلاحظ أن من علماء أهل السنة من تصدى للكشف عن الاعتزاليات التي وردت في تفاسير المعتزلة لاسيما الكشاف للإمام الزمخشري، وقد ردوا ما جاء في تفسيره من تأويلات باطلة وادعاءات جائرة، مخالفة لمذهب أهل السنة والجماعة، فضلًا عن مصادمتها لكثير من الأخبار الصحيحة، ولكن هوى الزمخشري يغض الطرف عن هذه الأخبار، ويلوى أعناق النصوص نصرة لمذهبه.

وهذه الردود جاءت متفرقة في تفاسير أهل السنة، كـ- "البحر المحيط" لأبى حيان(١)، و"مفاتيح الغيب" للفخر الرازي(٢) وغيرهما من التفاسير.

وهناك حواش وضعت على تفسير الكشاف، من أهمها حاشية العلامة شرف الدين الحسن بن محمد الطيبي، المتوفي سنة ٧٤٣ هـ، وتقع في ست مجلدات كبارًا، وقد سماها صاحبها "فتوح الغيب في الكشف عن قناع الريب". ومن الذين خصصوا جهودهم للكشاف بعد قرون من ظهوره، قاضى الإسكندرية أحمد بن محمد بن منصور المنير المالكي فقد كتب عليه حاشية خاصة سماها "**الانتصاف**" ناقش فيها الزمخشري وجادله في بعض ما جاء في كشافه من أعاريب وغيره، ولكنه ركز مجهوده العظيم في بيان ما تضمنه من الاعتزال، وإبطال ما فيه من تأويلات تتناسب مع مذهب

---

(١) انظر ما قاله أبو حيان عند تفسيره للآية (٤٩) من سورة النمل.

(٢) انظر ما قاله الفخر الرازي عند تفسيره للآية (٥٤) من سورة المائدة.

الزمخشري، وتتفق مع هواه.[1].

وفي زماننا المعاصر رأينا كثيرًا من العلماء المخلصين يعتنون بكتب التراث الإسلامي لاسيما التفسير والحديث وعلى رأسهم المحدث والمحقق والناقد الشيخ أحمد محمد شاكر - رَحِمَهُ ٱللَّهُ - الذي قام بتحقيق تفسير الطبري فبين درجة مروياته من المقبول والرد مع التعليق والشرح لغريب الحديث، ولكنه لم يكمله ثم تتابع من بعده المخلصون في هذا المضمار فقاموا بتحقيق كثير من التفاسير، منها: "زاد المسير" لابن الجوزي، و"معالم التنزيل" للبغوي، وغيرهما من التفاسير، ولن يخلو الميدان في كل زمان من رجال أتقياء مخلصين يزيحون عن كتب التفسير ما علق بها من الدخيل.

---

(١) راجع التفسير والمفسرون (١/٤١٥-٤٣٨).

نقد المحدثين للإسرائيليات

لقد كان لجهابذة الحديث ونقاده جهد مشكور في الكشف عن هذه الإسرائيليات وتمييز صحيحها من باطلها، وغثها من سمينها، وما من رواية من روايات كعب وغيره إلا ونقدوها نقدًا علميًا نزيهًا، لولا هذا الجهاد الرائع من علماء المسلمين لكانت طامة على الإسلام والمسلمين.

ولقد بلغ من تحوط أئمة الحديث البالغ الغاية أنهم قالوا: إن قول الصحابي فيما لا مجال للرأي فيه إنما يكون له حكم الرفع، إذا لم يكن معروفًا بالأخذ عن علماء أهل الكتاب الذين أسلموا، فأما إذا كان معروفًا بالأخذ عنهم فلا، لجواز أن يكون من الإسرائيليات، وهو تحوط يدل على أصالة في النقد، وبعد نظر محمود من المحدثين [١].

يقول الحافظ ابن حجر -رَحِمَهُ ٱللَّهُ- فيما نقله عنه الصنعاني-رَحِمَهُ ٱللَّهُ- في "توضيح الأفكار" بعد ذكر الخلاف في تفسير الصحابي أمن قبيل المرفوع أو الموقوف: "والحق أن ضابط ما يعتبره الصحابي إن كان مما لا مجال فيه للاجتهاد، ولا منقول عن لسان العرب فحكمه الرفع، وإلا فلا كالإخبار عن الأمور الماضية من بدء الخلق، وقصص الأنبياء، وعن الأمور الآتية كالملاحم والفتن، والبعث، وصفة الجنة والنار ونحوه.

إلا أنه يستثنى من ذلك إذا كان المفسر له من الصحابة، ممن عرف بالنظر في الإسرائيليات، كمُسلِمةِ أَهلِ الكتابِ، مثل عبد الله بن سلام[٢]،

---

(١) دفاع عن السنة للدكتور/ محمد أبي شهبه (ص ٨٣).

(٢) هُوَ عَبْدُ اللهِ بْنُ سلام بن الحارث، الإمام الحبر، المشهود له بالجنة، ابو الحارث الإسرائيلي، حليف الأنصار، من خواص أصحاب النبي -صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-. الأنصاري، أبو يوسف، أحد الأحبار، أسلم عند قدوم النبي -صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- المدينة. توفي بالمدينة في خلافة معاوية -
=

وكعبد الله[1] بن عمرو بن العاص[2].

=

رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ– سنة: ٤٣هـ. حدّث عنه الصحابة: أبو هريرة وانس بن مالك وغيرهما، له إسلام قديم بعد أن قَدِمَ النَّبِيُّ –صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ– الْمَدِينَةَ، وَهُوَ من أحبار اليهود. انظر ترجمته في: الاستيعاب (٩٢١/٣)، وأسد الغابة (٢٦٤/٣)، الإصابة (٨٠/٤).

(١) عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرِو بْنِ الْعَاصِ بن وَائِل بن هَاشم بن سعيد بِالتَّصْغِيرِ، ابْن سعد بن سهم السَّهْمِي، أَبُو مُحَمَّد وَقِيل: أَبُو عبد الرَّحْمَن أحد السَّابِقين المكثرين من الصَّحَابَة، وَاحِد العبادلة الْفُقَهَاء، مَاتَ فِي ذِي الْحجَّة لَيَالِي الْحرَّة على الْأَصَح بِالطَّائِف على الرَّاجِح. معجم الصحابة للبغوي (٤٩٤/٣)، أسد الغابة في معرفة الصحابة ط الفكر (٢٤٥/٣).

(٢) وَفِي السّنة قبل التدوين لمُحَمد عجاج الْخَطِيب (ص ٣٥١) أنه كَانَ عِنْد ابْن عَمْرو كتب كَثِيرَة عَن أهل الْكتاب أَصَابَهَا يَوْم اليرموك فِي زاملتين وَقد ادّعى بشر المريسي أَنَّ "عَبْدَ اللهِ بْنَ عَمْرٍو كَانَ يرويهما لِلنَّاسِ عَنِ النَّبِيِّ –صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ–، وَكَانَ يُقَال لَهُ: لَا تحدثنا عَن الزاملتين" قَالَ: "وَهَذِه الدَّعْوَى بَاطِلَة، فقد ثَبت أَن ابْن عَمْرو كَانَ أَمينا فِي نَقله وَرِوَايَته، لَا يحِيل مَا رُوِيَ عَنِ النَّبِيِّ –صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ– على أهل الْكتاب، كَمَا لَا يحِيل مَا رُوِيَ عَن أهل الْكتاب عَلَى النَّبِيِّ –صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ–، ويكف ابْن عَمْرو فخرًا أنه كَانَ أول من دون الحَدِيث بَين يَدي رَسُولِ اللهِ –صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ– بإذنه وَفِي مُخْتَلف أَحْوَاله فِي الْغَضَب وَالرِّضَا" انتهى. وَقَالَ فِي حَاشِيَة الْمصدر نَفسه ص"٣٥١" هَامِش "٤": "وَقد ذكر مَحْمُود أَبُو رية صَاحب كتاب أضواء على السّنة المحمدية أَنَّ عَبْدَ اللهِ بْنَ عَمْرٍو "كَانَ أَصَاب زَامِلَتَيْنِ مِنْ كُتُبِ أَهْلِ الْكِتَابِ، وَكَانَ يَرْوِيهَا لِلنَّاسِ عَنِ النَّبِيِّ –صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ– فتجنب الْأَخْذ عَنهُ كثير من أَئِمَّة التَّابِعين، وَكَانَ يُقَال لَهُ: لَا تحدثنا عَن الزاملتين. (١٦٦/١) فتح الْبَارِي". انْتهى مَا نَقَلْنَاهُ عَن أضواء على السّنة المحمدية. قَالَ: "وَمن العجيب أَن يسمع إِنْسَان مثل هَذَا الْخَبَر ويصدقه لِأَن الصَّحَابَة –رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ–، كَانُوا أدق النَّاس لِسَانا، وأنقى الْأمة قلوبًا، وأخلص الْبَرِيَّة للرسول –صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ–، فَلَا يعقل أَن يكذب أَمْثَال عَبْدِ اللهِ بْنِ عَمْرٍو –رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا– عَلَى رَسُولِ اللهِ –صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ– فيعزو إِلَيْهِ مَا سَمعه من أهل الْكتاب فهرعت إِلَى فتح الْبَارِي وَإِذا بِهِ –شهد الله– خَالِيا من عبارَة أبي رية، فَلَيْسَ فِي قَول ابْن حجر "عَن النَّبِي" إِنَّمَا زَادهَا الْكَاتِب من عِنْده.

فَهَل تَكْذِيب الصَّحَابَة والافتراء عَلَيْهِم، والانتحال على الْعلمَاء أَمْثَال ابْن حجر وَغَيره من

=

فإنه كان حصل له في وقعة اليرموك[1] كتب كثيرة من كتب أهل الكتاب، فكان يخبر بما فيها من الأمور المفيدة، حتى كان ربما قال له بعض أصحابه: "حدثنا عن النبي -صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- ولا تحدثنا عن الصحيفة "أهـ [2].

نخلص من ذلك إلى أن قول الصحابي الذي لم يعرف بالأخذ عن الإسرائيليات فيما لا يقال بالرأي ولا مجال للاجتهاد فيه، ولاَ لَهُ تعلق ببيان لغة أو شرح كلمة غريبة له حكم المرفوع. وذلك كالإخبار عن الأمور الماضية من بدء الخلق، وأخبار الأنبياء، أو الآتية كالملاحم والفتن، وأحوال يوم القيامة، وكذا الإخبار عما يحصل بفعله ثواب مخصوص او عقاب مخصوص، وإنما كان له حكم المرفوع لأن إخباره بذلك يقتضي مخبرًا له، وما لا مجال

=

الأَمَانَة العلمية؟؟ وَقد ثَبت لنا سوء نِيَّة أبي رية فِي مَوَاضِع كَثِيرَة يظْهر بَعْضهَا فِي بحثنا عَن أبي هُرَيْرَة" انْتهى. وَانْظُر: أضواء على السّنة المحمدية/ الطبعة الأولى (ص ١٦٢) هَامِش "٣" وَانْظُر: فتح الْبَارِي طبعة المكتبة السلفية ١/٢٠٧، والأنوار الكاشفة (ص ١٢٥) وأورد الدارمي موضوع الزاملتين وعقب عليه بقوله: «وَيْحَكَ أَيُّهَا الْمُعَارِضُ! إِنْ كَانَ عبد الله بْنُ عَمْرٍو أَصَابَ الزَّامِلَتَيْنِ مِنْ حَدِيثِ أَهْلِ الْكِتَابِ يَوْمَ الْيَرْمُوكِ. فَقَدْ كَانَ مَعَ ذَلِكَ أَمِينًا عِنْدَ الْأُمَّةِ عَلَى حَدِيثِ النَّبِيِّ -صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- إِنَّ لَا يَجْعَلَ مَا وَجَدَ فِي الزَّامِلَتَيْنِ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ -صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-، وَلَكِنْ كَانَ يَحْكِي عَنِ الزَّامِلَتَيْنِ مَا وَجَدَ فِيهِمَا، وَعَنِ النَّبِيِّ -صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- مَا سَمِعَ مِنْهُ، لَا يُحِيلُ ذَاكَ٥ عَلَى هَذَا وَلَا هَذَا عَلَى ذَاكَ. كَمَا تَأَوَّلت عَلَيْهِ بِجَهْلِكَ، وَاللَّهُ سَائِلُكَ عَنْهُ»". نقض الدارمي على المريسي - ت الألمعي (٢/٦٣٦).

(١) اليرموك: وَاد بِنَاحِيَة الشَّام فِي طرف الْغَوْر يصب فِي نهر الْأُرْدُن، ثمَّ يمْضِي إِلَى الْبحيرَة المنتنة، وَقعت فِيهِ الْحَرْب الْمَشْهُورَة بَين الْمُسلمين وَالروم أَيَّام أبي بكر الصّديق، وَكَانَ ذَلِك فِي السّنة الثَّالِثَة عشرَة من الْهِجْرَة، قَاد الْمُسلمين فِيهَا خَالِد بن الْوَلِيد -رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ- ، وانتصر الْمُسلمُونَ نصرا مؤزرًا. انظُر: الْكَامِل فِي التَّارِيخ لِابْنِ الْأَثِير (٢/٤١٠-٤١٤)، والحموي فِي مُعْجم الْبلدَانِ (٥/٤٣٤)

(٢) توضيح الأفكار لمعاني تنقيح الأنظار للصنعاني (١/٢٥٦).

للاجتهاد فيه يقتضي موقفًا للقائل به، ولا مُوقف للصحابة إلا النبي - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- أو بعض من يخبر عن الكتب القديمة كأهل الكتاب الذين أسلموا وقد احترزنا عن الثاني فلم يبق مخبرًا وموقفًا إلا النبي -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-.

ومن أمثلته قول ابن مسعود -رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ-: «مَن أتى ساحِرًا أو كاهِنًا أو عَرّافًا فصَدَّقه بما يقول، فقد كفر بما أنزل على محمد -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-»(١).

وأما تفسير الصحابة فيما للرأي فيه مجال، ولم يرفعوها إلى رسول الله - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- فهي موقوفة عليهم. ومثل ذلك تفسير الصحابي الذي عرف بالأخذ عن أهل الكتاب فيما لا مجال للرأي فيه، فهو موقوف أيضًا. ومن هنا يتبين لنا أن الإسرائيليات التي رواها بعض الصحابة في تفسير قصص الأنبياء أو أسرار الوجود وبدء الخليقة مثلًا، ولا توافق عقلًا، ولا نقلًا صحيحًا مُحال أن يكونوا تلقوها عن شروح التوراة، والكتب القديمة التي دخلها الكثير من الزيف والتحريف، وقد نقلها بعض الصحابة عنهم، إما عن سبيل العظة والذكرى، وإما على سبيل الغرابة والاستنكار لها، أو التنبيه إلى شناعتها وكذبها، لا أنهم صدقوا ذلك، أو استجازوا نسبته إلى المعصوم -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- حاشاهم أن يُظنَّ بهم ذلك (٢).

---

(١) رواه البزار والطبراني في الكبير والأوسط، ورجال الكبير والبزار ثقات كما في الزوائد (١٧٨/٥). وقال الهيثمي: رواه أبو يعلى ورجاله رجال الصحيح خلا هبيرة بن يريم وهو ثقة. مجمع الزوائد (١١٨/٥)

(١) انظر الوسيط في علوم ومصطلح الحديث لأبى شهبه (ص ٢١١، ٢١٢).

أسئلة تدريبية

س١ تكلم عن أقسام الدخيل. وما العلاقة بين الدخيل والإسرائيليات؟

س٢ عرف الإسرائيليات والمراد بها.

س٣ ما هي أسباب وجود الدخيل وانتشاره في كتب التفسير؟

س٥ بين أقوال العلماء في حكم رواية الإسرائيليات.

س٦ ما هي طريقة الرد ومنهجه على من زعم أن الإسرائيليات من مصادر التفسير؟

س٧ هل هناك إسرائيليات قد يصح السند إليها مثل لما تذكر؟

س٨ ما هي جهود العلماء في ابطال الإسرائيليات والرد عليها؟

س٩ سلك العلماء من المحدثين منهجا قويماً في نقد للإسرائيليات بين ذلك.

س١٠ أكمل العبارات التالية بما يناسبها:

١. تتقسم الإسرائيليات إلى أقسام متعددة باعتبارات مختلفة:

أ. فتتقسم من ناحية السند والمتن إلى.........و........

ب. وتتقسم باعتبار موضوعها إلى........ و........ و........

ج. كما تتقسم باعتبار موافقتها لشريعتنا أو مخالفتها إلى .... و.........و........

٢. تنقسم الروايات الإسرائيلية باعتبار الرواية والدراية إلى ثلاثة أقسام هي........ و........ و........

ترجمة لبعض من اشتهر برواية الإسرائيليات بعد التابعين

الوضاعون أصناف متعددة، فمنهم زنادقة، ومنهم أصحاب أهواء، كالشيعة والخوارج، ومنهم قصاصون كأبي سعيد المدائني، وزرعة القاص، ومنهم منزلقون للحكام، ومنهم متصوفة، كما ذكرنا سابقًا وإليك بعضًا من المفسرين الذين اشتهروا بالوضع، واتهمهم العلماء بالكذب.

محمد بن السائب الكلبي:

اشتهر الكلبي بالتفسير، وكان بجوار ذلك لـه معرفة بالأنساب والأخبار وليس لأحد تفسير أطول منه ولا أشبع كما يقول ابن عدى، ومن أجل كونه إخباريًا كثرت رواياته الإسرائيلية في التفسير والحديث؛ بل لعل أهم أسباب إكثاره منها كونه يهودي النزعة، فقد كان من أتباع عبد الله بن سبأ اليهودي وكان يقول عن نفسه " أنا سبيئ"!!

يقول ابن حبان: "كان الكلبي سبئيًا من أولئك الذين يقولون: إن عليًا لم يمت وأنه راجع إلى الدنيا يملؤها عدلًا كما ملئت جورًا، وإن رأوا سحابة قالوا: أمير المؤمنين فيها"[(١)].

وقال البخاري: أبو النضر الكلبي تركه يحيى بن معين وابن مهدى. ثم قال البخاري: قال علي: حدثنا يحيى عن سفيان: قال لي الكلبي: كل ما حدثتك عن أبي صالح فهو كذب"[(٢)]. فالكلبي يعترف بالكذب، والوضع في الحديث ولم يترفع، والاعتراف سيد الأدلة كما يقولون، وهذا ما حدا بالعلماء أن يجمعوا على تركه كما يقول أبو حاتم، وليس لأحد تفسير أطول من

(١) انظر: المجروحين لابن حبان (٢/٢٥٣)، الكامل لابن عدي (٦/١١٤)، التاريخ الكبير للبخاري (١/١٠١)، الجرح والتعديل لابن أبي حاتم (١/٧٣).

(٢) الضعفاء الصغير (ص ١٠١) ترجمة رقم (٣٢٢).

تفسير الكلبي كما ذكرنا من قول ابن عدي، وقد علق الإمام الذهبي على مقالته بقوله: يعني من الذين فسروا القرآن في المائة الثانية، ومن الذين ليس في تفسيرهم سوى قولهم[١].

ونقل الإمام البيهقي عن يحيى بن سعيد القطان قوله: "تساهلوا في التفسير عن قوم لا يوثقونهم في الحديث، ثم ذكر ليث بن أبي سليم، وجوبير بن سعيد، والضحاك، ومحمد بن السائب الكلبي" ثم عقب البيهقي على ذلك بقوله: "وإنما تساهلوا في أخذ التفسير عنهم، لأن ما فسروا به ألفاظه تشهد لهم به لغات العرب، وإنما عملهم في ذلك الجمع والتقريب فقط ". أ.هـ[٢]

وقيل لأحمد بن حنبل: "يحل النظر في تفسير الكلبي؟ قال: لا". وقال يحيى بن معين: بالعراق كتاب ينبغي أن يدفن: "تفسير الكلبي عن أبى صالح عن ابن عباس". "والكلبي يروي التفسير عن أبي صالح عن ابن عباس، وأبو صالح لم ير ابن عباس، ولا سمع منه شيئًا، ولا سمع الكلبي من أبي صالح إلا الحرف بعد الحرف، فما رواه الكلبي لا يحل ذكره في الكتب، فكيف الاحتجاج به؟!". كذا قال ابن حبان[٣]: وذكر ابن الجوزي الوضاعين في كتابه: "الموضوعات "وعد من كبارهم" محمد بن السائب الكلبي" [٤].

---

(١) راجع تاريخ الإسلام (ص ٦٧) وفيات (١٤١-١٦٠) والميزان (٣/٥٥٦) وسير أعلام النبلاء (٧/٢٤٨).

(٢) دلائل النبوة (١/٣٥).

(٣) انظر المجروحين لابن حبان (٢/٢٥٣)، الميزان الذهبي (٣/٥٥٦)، مختصر تاريخ ابن عساكر لابن منظور (٨/٣٢)

(٤) الموضوعات (١/٤٧).

وإذا كان هذا هو حال الكلبي وتلك شهادة علماء الحديث فيه، فلا ينبغي لأحد أن يغتر بكل ما روي عنه في كتب التفسير لكثرة ما فيه من الموضوعات والأباطيل.

مقاتل بن سليمان البلخي المفسر:

اشتهر مقاتل بتفسير القرآن الكريم، وأخذ الحديث من جماعة من مشاهير التابعين، منهم مجاهد بن جبر، وعطاء بن أبى رباح، والضحاك بن مزاحم، وعطية العوفي، وقال الحربي: لم يسمع مجاهد، وقيل لم يسمع من الضحاك، فقد مات الضحاك قبل أن يولد مقاتل بأربع سنين [(١)].

ومقاتل متهم مجروح، ولا نعلم أحدًا من علماء عصره ناله مثل ما نال مقاتل من الطعن والتجريح، ولقد كان لما عرف عنه من المذاهب الردية أثر بالغ من انصراف الناس عن علمه عامة، وعن تفسيره خاصة. فقد اتهمه العلماء في علمه، وعابوا تفسيره، ورموه بالكذب والوضع، وقال أحمد بن حنبل: مقاتل بن سليمان صاحب التفسير ما يعجبني أن أروي عنه شيئًا.

وقال الجوزجاني: "مقاتل بن سليمان كان دجالًا جسورًا". وقال الفلاس "كذاب متروك الحديث". وقال البخاري: "سكتوا عنه" وقال في موضع آخر "لا شيء البتة" وهذا وكيع بن الجراح يسأل عن تفسير مقاتل بن سليمان فيقول: "لا تنظروا فيه، فيقول السائل: ما أصنع به؟ فيقول له: ادفنه!"[(٢)].

---

(١) الكامل في الضعفاء (٤٧/٦)، تهذيب التهذيب (٢٤٩/١٠)، لسان الميزان (٨٢/٦)، المجروحين (١٤/٣).

(٢) الميزان (١٧٣/٤) تهذيب الأسماء واللغات للنووي (١١١/٢) والتاريخ الكبير للبخاري (١٤/٨) والجرح والتعديل (٣٥٤/٨) وفيات الأعيان لابن خلكان (٢٥٦/٥).

ومن يطالع تفسير مقاتل بن سليمان، وما سود به صفحاته من خرافات وأباطيل، وتوافه لا يعدو أن يكون الاشتغال بها لهوًا وعبثًا، ولا يسند شيئًا من ذلك ولا يعقب عليه بنقده، وبيان ما فيه من حق وباطل، يرى أن ما ذهب إليه ابن الجراح من دفن هذا التفسير فيه سلامة لأفكار المسلمين من الخرافات والأباطيل، ودفع لما يحويه هذا التفسير من شر مستطير، فقد قال ابن حبان: مقاتل بن سليمان كان يأخذ عن اليهود والنصارى علم القرآن العزيز الذي يوافق كتبهم، وكان مشبهًا يشبه الرب بالمخلوقين، وكان يكذب مع ذلك في الحديث [١].

وقال النسائي: "الكذابون المعرفون بوضع الحديث على رسول الله – صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ – أربعة: ابن أبي يحيى بالمدينة، والواقدي ببغداد، ومقاتل بن سليمان بخرسان، ومحمد بن سعيد المصلوب بالشام" [٢].

وقال أحمد بن سيار عنه: "هو متروك الحديث، ومهجور القول، وكان يتكلم في الصفات بما لا تحل الرواية عنه" وإذا كان مقاتل بن حيان يقول: "ما وجدت علم مقاتل بن سليمان إلا كالبحر"[٣]. فهو علم شَرّهِ أكثر من خيره، وضره أكبر من نفعه، وإذا كان علمه كالبحر، كما يقول مقاتل بن حيان، فكثيرًا ما يحمل البحر الخبث، ويقذف بالغثاء والزبد، كما قال الدكتور الذهبي فلم يستطرد فيقول: والحق – أيضًا – أن تفسير مقاتل يحوى من الإسرائيليات والخرافات وضلالات المشبهة والمجسمة ما ينكره الشرع ولا يقبله العقل، وإذا كان حقًا ما ينسب إلى الشافعي من قوله:

---

(١) المجروحين لابن حبان (٣/١٤).

(٢) الضعفاء والمتروكين للنسائي (ص ١٢٣).

(٣) الكامل في الضعفاء (٦/٤٣٥) والميزان (٣/٥٥٦).

"الناس عيال في التفسير على مقاتل" فلست ألمح في قوله هذا استحسانًا لتفسيره ولا ثناء عليه، ولا أعقل من هذه العبارة – وقد بلوت تفسير مقاتل – إلا أن الشافعي أراد أنه كان للمفسرين على اختلاف مشاربهم ومذاهبهم: وجد فيه المعتدلون الفهم السليم للنص القرآني فاقتبسوه منه، ووجد فيه أصحاب المذاهب الردية كالمشبهة والمجسمة ما يوافق هواهم فنقلوه عنه، ووجد فيه المولعون بالقصص ورواية الأخبار معينًا فياضًا بالغرائب والأعاجيب، فاستمدوا منه ما أشبع رغباتهم، ووافق ميولهم.

وإذا كان هؤلاء هم عيال مقاتل على مائدة تفسيره، فما أكثر المتخمين منهم بالمناكير والأباطيل، وما أقل من طوى صدره منهم على الحقيقة الناصعة والرأي السديد. أهـ(١)

وقد مرَّ بك آنفًا ما روى أن مقاتلًا كان يتقرب إلى الخلفاء بوضع الحديث على النبي –صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ–: فقد حكى أبو عبيد الله وزير المهدى قال: قال لي المهدى: ألا ترى إلى ما يقول لي هذا – يعنى مقاتلًا–؟ قال: إذا شئت وضعت لك أحاديث في العباس؟! قلت: لا حاجة لي فيها. وإذا كان ذلك كذلك، فهل يستسيغ عاقل أن يقول الشافعي –رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ–: "الناس عيال في التفسير على مقاتل"؟ لا اعتقد ذلك، وأشك في نسبة هذه المقولة إلى الإمام الشافعي، لاسيما وقد روى عن الشافعي أنه قال: "مقاتل قاتله الله" وعلى فرض صحتها، فلعل الشافعي يقصد بمقالته، مقاتل بن حيان، وهو معروف بالتفسير وقال عنه النووي: "اتفقوا على توثيقه والثناء عليه"(٢).

---

(١) الإسرائيليات في التفسير والحديث للذهبي (ص ١٥٢) بتصرف.

(٢) تهذيب الأسماء واللغات للنووي (٢/١١٠).

وإذا كان هذا هو حال مقاتل بن سليمان، فيجب أن يطرح كل ما ينسب إليه من روايات وأخبار في التفسير والحديث، اللهم إلا إذا صحت من طريق غير طريقه.

محمد بن مروان السدي " الصغير "[١]:

محمد بن مروان الكوفي، صاحب الكلبي، ويعرف "بالسدي الصغير" وقد تركه العلماء، واتهمه ابن نمير بالكذب، وقال صالح بن محمد: كان يضع الحديث.

وقال ابن عدى: الضعف على روايته بَيِّن. وقال البخاري: محمد بن مروان، سكتوا عنه، لا يكتب حديثه البتة "[٢].

وهذا الاصطلاح عند البخاري "سكتوا عنه" يطلقه فيمن تركوا حديثه"[٣].

---

(١) السُّدي: - بضم السين وتشديد الدال كان السدي الكبير يبيع المقانع بجوار سدة مسجد الكوفة فنسب إليها، والسدة: رحبة المسجد التي تكون أمامه، وقيل "الصغير" للتفريق بينه وبين السدي الكبير.

فالسدي الصغير: هو محمد بن مروان بن عبد الله بن إسماعيل الكوفي، متهم بالكذب. له ترجمة في: تقريب التهذيب (٢/١٣١) رقم (٦٣٠٣)، والمجروحين لابن حبان (٢/٢٨٦)، وخلاصة تذهيب تهذيب الكمال (ص ٣٥٨)، والضعفاء والمتروكين للنسائي (ص ٢١٩) رقم (٥٦٥)، والجرح والتعديل (٨/٨٦) رقم (٣٦٤)، والضعفاء لأبى زرعة الرازي (٢/٦٥٧) رقم (٣٠٦).

أما السدي الكبير فهو إسماعيل بن عبد الرحمن، وهو تابعي مختلف فيه، وله تفسير، قيل: إنه أمثل التفاسير، وابن جرير يروى في تفسيره كثيرًا منه وينقله ابن كثير. توفي سنة سبع وعشرين ومائة (١٢٧). ترجمته في سير أعلام النبلاء (٥/٢٦٤)، التاريخ الكبير (١/٣٦٠)، الجرح والتعديل (٢/١٨٤)، النجوم الزاهرة (١/٣٠٨)

(٢) انظر الميزان للذهبي (٤/٣٢) والتاريخ الكبير للبخاري (١/٢٣٢) وتنزيه الشريعة (١/١١٣).

(٣) تدريب الراوي للسيوطي (١/٤٣٩).

وعده ابن الجوزي وغيره من الوضاعين المعروفين بالوضع في التفسير [(١)].

ولا غرو... فهو تلميذ محمد بن السائب الكلبي وصاحبه، والكلبي –كما سبق– سبئي، كذاب، وضاع، وتلميذه السدي على شاكلته، فقد قال الإمام السيوطي: إن أوهي الطرق عن ابن عباس في التفسير هي طريق الكلبي عن أبي صالح عن ابن عباس، فإذا انضم إلى ذلك رواية محمد بن مروان السدي الصغير، فهي سلسلة الكذب". أ.هـ[(٢)]

وإذا كان هذا هو حال السدي الصغير، فلا يجوز أن نخدع بكل ما جاء عنه في التفسير كما خدع الثعلبي والواحدي وغيرهم من المفسرين فرووا كثيرًا من هذه السلسلة.

عبد الرحمن بن زيد بن أسلم:

كان صاحب قرآن وتفسير، وجمع تفسيرًا في مجلد، وكتب في الناسخ والمنسوخ، ولم يشهد له أحد بخير فيما نقله الذهبي عن العلماء فيه. قال البخاري: لا يصح حديثه، وقال أبو حاتم: كان في نفسه صالحًا، وفي الحديث واهيًا [(٣)].

وقال البزار: أجمع أهل العلم بالنقل على تضعيف أخباره، وليس هو بحجة فيما ينفرد به [(٤)].

---

(١) تنزيه الشريعة لابن عراق (١١٣/١) وانظر: الوسيط في علوم ومصطلح الحديث لأبى شهبه (ص ٣٣٤)

(٢) الإتقان للسيوطي (٢٣٤/٢).

(٣) راجع سير أعلام النبلاء (٣٤٩/٨) والمجروحين (٥٧/٢) والميزان (٥٦٤/٢). والتاريخ الكبير للبخاري (٢٨٤/٥)

(٤) كشف الأستار (١٩٤/١).

أبو عصمة نوح ابن أبى مريم:

نوح بن أبي مريم أبو عصمة المروزي مشهور بكنيته. عالم أهل مرو، واسم أبي مريم "يزيد بن جعونة" ويعرف بنوح الجامع لجمعه العلوم، فأخذ الفقه عن أبى حنيفة وابن أبى ليلى، والحديث عن حجاج بن أرطأة، والتفسير عن الكلبي ومقاتل والمغازي عن أبى إسحاق.

وقد وضع أبو عصمة حديث فضائل القرآن الطويل، يتعقب سور القرآن واحدة واحدة، فيلصق بكل سورة فضيلة، ويرتب لها فائدة، ويضع فيها حديثًا ينسب إلى الرسول -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- زورًا، بعد أن يصنع له سندًا ينتهي في غالب ما وضع إلى ابن عباس ثم إلى النبي -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- عن طريق عكرمة"!! كما كان أحيانًا يرفع إلى أبى بن كعب أو سواه. والعجب منه ومن أمثاله.. لا يرى أنه وقع في إثم بما فعل! أسمع إليه يدفع عن نفسه اللوم حين عوتب: "من أين لك عن عكرمة عن ابن عباس في فضائل القرآن سورة سورة، وليس عند أصحاب عكرمة هذا؟ فقال إني رأيت الناس أعرضوا عن القرآن، واشتغلوا بفقه أبى حنيفة، ومغازي ابن اسحاق، فوضعت هذا الحديث حسبة لله تعالى"!!(١)

هكذا يقول: فعل ما فعل تقربًا إلى الله سبحانه، وتزلفًا إليه. وما كأنه أثم، ولا جاء ظلمًا من القول وزورًا فعلمه هذا افتئات على الشريعة، ومضمون فعله أن الشريعة ناقصة تحتاج إلى تتمة أتمها هو وأمثاله!! وإذا كان قد سمى الجامع لجمعه العلوم فنقول: إنه كان جامعًا لكل شيء إلا الصدق.

وهذا قال ابن حجر "كذبوه". وقال ابن حبان: "كان ممن يقلب الأسانيد

---

(١) رواه ابن الجوزي في الموضوعات (٤١/١) وانظر الإتقان (١٥٥/٢).

ويروى عن الثقات ما ليس من حديث الأثبات لا يجوز الاحتجاج به بحال". وقال البخاري: "ذاهب الحديث جدًا" (١).

وبعد.. فهؤلاء هم أشهر من عرف برواية الموضوعات، والمناكير من الرواية والأخبار الواهية في مرحلة الرواية والتدوين، حتى لم نجد من يثق بهم ولا بمروياتهم من علماء الجرح والتعديل. وغالب هذه المرويات مبثوثة في ثنايا كتب التفسير والحديث فقد حوت هذه الكتب من مرويات هؤلاء شيئًا كثيرًا " من أجل ذلك ترجمة لأولئك الوضاعين ليكون القارئ على بينة من الأمر، فلا ينخدع بما يروى عنهم، ولا يركن إلى ما نسب إليهم، وحتى نبصر من انخدعوا بهم فتقبلوا كل مروياتهم، ورحم الله سلفنا من المحدثين الذين فندوا مرويات هؤلاء وغيرهم، وبينوا زيفها وكشفوا عن وهنها، وكان عملهم هذا رحمة للأمة، وهداية إلى مصادر الحق والصدق من حديث رسول الله -صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيۡهِوَسَلَّمَ- فجزاهم الله عن الإسلام وأهله خير الجزاء.

---

(١) التاريخ الكبير (١١١/٨)، المجروحين (٤٨/٣)، الميزان (٢٧٩/٤)، اللسان (٤١٥/٧)

نماذج من الإسرائيليات في كتب التفسير

الإسرائيليات والموضوعات في سفينة نوح – عَلَيْهِ السَّلَامُ – :

روى بعض المفسرين ونقلوا في كتبهم أخبارًا إسرائيلية عن سفينة نوح – عَلَيْهِ السَّلَامُ – مما يتعلق بطولها، وطبقاتها، وما حمل فيها، وعن المخلوقات وكيفية خلقها من بعضها... الخ. رواها الطبري والبغوي في تفسيريهما [(١)]. وغيرهم من المفسرين ونقلها الإمام السيوطي في الدر[(٢)].

وهي من الإسرائيليات التي اختلقها اليهود وأضرابهم على مر العصور وكانت شائعة مشهورة في الجاهلية، فلما جاء الإسلام نشرها أهل الكتاب الذين أسلموا بين المسلمين. وهؤلاء رووها بحسن نية ولم يزيفوها، اعتمادًا على أن ظاهرها البطلان. فمن الأباطيل والإسرائيليات التي نقلها بعض المفسرين ما روي: "أنه لما كثر الماء في السكك خشيت أم الصبي عليه، وكانت تحبه حبًا شديدًا فخرجت إلى الجبل حتى بلغت ثلثه، فلما بلغها الماء ارتفعت حتى بلغت ثلثيه، فلما بلغها ذهبت حتى استوت على الجبل فلما بلغ الماء رقبتها رفعت الصبي بيديها حتى ذهبت بها الماء، فلو رحم الله منهم – أي من قوم نوح – لرحم أم الصبي".

وهذه رواية مختلقة راجت على كثير من أهل التفسير وقد أخرجها الحاكم وصححها وقال الذهبي: إسناده مظلم وموسى ليس بذاك"[(٣)]، ورواها

---

(١) انظر تفسير الطبري (١٥/٣٢٧-٣٣٠) والبغوي (٤/١٧٩) والدر المنثور (٣/٣٢٧-٣٣٥) وتنزيه الشريعة (٢٥٠١١).

(٢) الدر المنثور (٤/٤٢٣).

(٣) مستدرك الحاكم (٢/٣٤٢).

الطبراني في الأوسط كما في الزوائد(١) وفيه موسى بن يَعْقُوبَ الزَّمْعِيّ(٢) وثقة ابن معين وغيره وضعفه ابن المديني، وبقية رجاله ثقات".

وروي: "أن نوحًا -عَلَيْهِ السَّلَامُ- ركب السفينة لعشر مضت من رجب وجرت بهم السفينة ستة أشهر، ومرت بالبيت فطافت به سبعًا، وصلت خلف المقام ركعتين، وقد رفعه الله من الغرق وبقي موضعه" (٣).

وقد روى هذا الخبر ابن الجوزي في الموضوعات من طريق عبد الرحمن بن زيد ابن أسلم عن أبيه عن جده مرفوعًا، فهذا من سخافات عبد الرحمن بن زيد ابن أسلم. وقد عرف عبد الرحمن بمثل هذه الغرائب، حتى قال الشافعي: فيما نقل في التهذيب(٤): "ذكر رجل لمالك حديثًا منقطعًا فقال: اذهب إلى عبد الرحمن بن زيد يحدثك عن أبيه عن نوح! " ولا شك أن هذا

---

(١) مجمع الزوائد (٨/ ٢٠٠).

(٢) موسى بن يعقوب بن عبد الله بن وهب بن زمعة الأسدي الزمعي أبو محمد، المدني روى عن أخيه محمد وعميه مرشد ويزيد، وعبد الرحمن بن إسحاق وغيرهم، وعنه ابن أخيه يحيى بن المقدام بن يعقوب وابن مهدي وغيرهم. قال ابن معين: "ثقة" وقال ابن المدينى: "ضعيف الحديث منكر الحديث" وقال أبوداود: "هو صالح روى عنه ابن مهدي وله مشائخ مجهولون"، وقال ابن عدي: "لا بأس به عندي ولا برواياته"، انظر: تهذيب التهذيب (١٠/٣٧٨ - ٣٧٩)، الجرح والتعديل (٤/ ق ١/١٦٧)، ميزان الاعتدال (٤/٢٢٧)

(٣) قال الساجي: حدثنا الربيع، حدثنا الشافعي قال: قيل لعبد الرحمن بن زيد: حدثك أبوك عن جدك أن رسول الله -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- قال: "إن سفينة نوح طافت بالبيت سبعا وصلت خلف المقام ركعتين؟: قال: نعم. قال الساجي: وهو منكر الحديث، وقال الطحاوي: حديثه عند أهل العلم بالحديث في النهاية من الضعف، وقال الحاكم وأبو نعيم: روى عن أبيه أحاديث موضوعة. انظر: التهذيب (٦/١٦٢)، وعزاه في كنز العمال (٥/٥٥) (١٢٠٢٥) للديلمي من طريق عبد الرحمن بن زيد عن أبيه عن جده، وراجع تفسير البغوي (٤/١٧٩).

(٤) التهذيب (٦/١٧٩).

الخبر مخالف للعقل لا يقبل التأويل، ولا يعقل أن يصدر عن النبي - صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - ومع ذلك وجدنا من المفسرين من نقله في كتبهم دون تعقيب ولا تعليق. وقيل: ما نجا من الكفار من الغرق غير عوج بن عنق كان الماء إلى حجزته(١)، وكان سبب نجاته أن نوحًا احتاج خشب ساج للسفينة فلم يمكنه نقله فحمله عوج إليه من الشام فنجاه الله تعالى من الغرق لذلك (٢).

وهذا الخبر وأمثاله قامت الشواهد الصحيحة من الكتاب والسنة على بطلانه، وليس العجب من جرأة مثل هذا الكذاب على الله، إنما العجب ممن يدخل هذا الحديث في كتب العلم والتفسير وغيره. ولا يبين أمره وهذا عندهم من ذرية نوح. وقد قال الله تعالى: ﴿وَجَعَلْنَا ذُرِّيَّتَهُۥ هُمُ ٱلْبَاقِينَ﴾(٣) فأخبر أن كل من بقي على وجه الأرض فهو من ذرية نوح. فلو كان لعوج - هذا - وجود لم يبق بعد نوح (٤).

وقد رد ابن كثير على ذلك فقال: "ثُمَّ إِنَّهَا مُخَالِفَةٌ لِلْمَعْقُولِ وَالْمَنْقُولِ. أَمَّا الْمَعْقُولُ: فَكَيْفَ يَسُوغُ فِيهِ أَنْ يُهْلِكَ اللَّهُ وَلَدَ نُوحٍ لِكُفْرِهِ، وَأَبُوهُ نَبِيُّ الْأُمَّةِ وَزَعِيمُ أَهْلِ الْإِيمَانِ، وَلَا يُهْلِكُ عُوجَ بْنَ عُنُقَ، وَيُقَالُ عَنَاقُ، وَهُوَ أظلم وأطغى على مَا ذكرُوا؟"(٥)

"وَكَيْفَ لَا يَرْحَمُ اللَّهُ مِنْهُمْ أَحَدًا وَلَا أُمَّ الصَّبِيِّ وَلَا الصَّبِيَّ وَيَتْرُكُ هَذَا

---

(١) الحجزة: حجزة الإنسان مَعْقَد السراويل والإزار "اللسان" (حجز) (٣٣٢/٥).

(٢) انظر تفسير البغوي (١٨٠/٤).

(٣) سورة الصافات: ٣٧.

(٤) راجع المنار المنيف لابن القيم (ص ٧٧) والحاوي للفتاوى للسيوطي (٥٧٣/٣-٥٧٨) (١١٤/١) والأسرار المرفوعة لملا على القاري (ص ٢٤٥-٢٤٢٧).

(٥) قصص الأنبياء لابن كثير (١٠٦/١)

الدَّعِيِّ الْجَبَّارَ الْعَنِيدَ الْفَاجِرَ الشَّدِيدَ الْكَافِرَ الشَّيْطَانَ الْمَرِيدَ عَلَى مَا ذَكَرُوا»[١]

وأخرج الطبري عن ابن عباس قال: "قرض الفأر حبال السفينة، فشكا نوح ذلك، فأوحى الله تعالى إليه، فمسح ذنب الأسد، فخرج سنَّوْرانِ، وكان في السفينة عَذِرة، فشكا ذلك إلى ربه، فأوحى الله تعالى إليه، فمسح ذنب الفيل، فخرج خنزيران فأكلا ذلك" [٢].

وفيه علي بن زيد بن جدعان[٣] وهو ضعيف، ذكره ابن كثير (٥٤٨/٢)، عن ابن عباس -رَضِيَٱللَّهُعَنْهُمَا-، وقال: أثر غريب، وأخرجه الطبري ١٨١٥٥ من طريق علي بن زيد عن يوسف بن مهران عن ابن عباس، وإسناده واه، عليّ ضعيف، روى مناكير كثيرة، وكرره الطبري ١٨١٥٤ عن علي بن زيد عن يوسف به ليس فيه ذكر ابن عباس، وهو الصواب.

وليس يشك عاقل أن هذا الخبر من بقية أخبار بنى إسرائيل ولا يبلغ أن يكون شيئًا. وما كنا نحب للإمام ابن جرير الطبري والبغوي ولا لغيرهما من المفسرين أن يسودوا صحائف كتبهم بهذه الخرافات والأباطيل، فاحذر منها أيها القارئ في أي كتاب من كتب التفسير وجدتها.

---

(١) البداية والنهاية ط السعادة (١١٤/١).

(٢) تفسير الطبري (٣١١/١٥-٣١٢).

(٣) علي بن زيد بن عبد الله بن زهير بن عبد الله بن جدعان، التيمي البصري، أصله حجازي، ضعيف، من الرابعة، مات سنة إحدى وثلاثين ومائة. التقريب (٣٧/٢). قال الحافظ ابن كثير: "علي بْنِ جُدْعَانَ ضَعِيفٌ يَغْرُبُ فِي رِوَايَاتِهِ". تفسير ابن كثير - ط العلمية (٥٦٩/١).

من الإسرائيليات المشهورة في قصة سيدنا إبراهيم -عَلَيْهِ السَّلَامُ- :

روى كثير من المفسرين عن أبي بن كعب: "أن إبراهيم قال حين أوثقوه ليلقوه في النار: "لا إله إلا أنت سبحانك رب العالمين، لك الحمد، ولك الملك، لا شريك لك"، ثم رموا به في المنجنيق إلى النار، واستقبله جبريل فقال: يا إبراهيم، لك حاجة؟ فقال: أما إليك فلا، قال جبريل: فاسأل ربك. فقال إبراهيم: حسبي من سؤالي علمه بحالي!"(١)

وذكره ابن عراق بلفظ: "عِلْمُهُ بِحَالِي يُغْنِي عَنْ سُؤَالِي" حكاية عن الخليل -عَلَيْهِ السَّلَامُ-، ونقل عن ابن تيمية أنه موضوع.(٢)

قال شيخ الإسلام ابن تيمية -رَحِمَهُ اللَّهُ- في "التوسل والوسيلة": وما يروى أن الخليل لما ألقي في المنجنيق قال له جبريل: سل. قال: "حسبي من سؤالي علمه بحالي" ليس له إسناد معروف وهو باطل.(٣)

وهذا الخبر لا يصح، لأنه يشير إلى ترك الدعاء مع أن الدعاء عبادة. وقد جاءت الآيات والأحاديث بالأمر به، والحض عليه. والذي صح من الرواية أن إبراهيم -عَلَيْهِ السَّلَامُ- قال حين ألقى في النار: "**حسبنا الله ونعم الوكيل**" كما رواه البخاري عن ابن عباس أنه قال: "**حسبي الله ونعم الوكيل**" قالها إبراهيم حين ألقى في النار، وقالها محمد حين قالوا: ﴿الَّذِينَ قَالَ لَهُمُ

---

(١) روى الخبر البغوي في تفسيره (٥/٣٢٧) ورواه ابن جرير (١٧/٣٣) مختصرًا، وفى سنده جهالة، وذكره العجلوني في كشف الخفا رقم (١١٣٦) من رواية البغوي عن كعب الأحبار، ورواه كثير من المفسرين عن أبي بن كعب موقوفًا، ولعله من الإسرائيليات، ولا أصل له في المرفوع.

(٢) تنزيه الشريعة المرفوعة عن الأخبار الشنيعة الموضوعة (١/٢٥٠).

(٣) قاعدة جليلة في التوسل والوسيلة (١/٥٥ ، ٥٨) مجموع الفتاوى (٨/٥٣٩).

ٱلنَّاسُ إِنَّ ٱلنَّاسَ قَدۡ جَمَعُواْ لَكُمۡ فَٱخۡشَوۡهُمۡ فَزَادَهُمۡ إِيمَٰنٗا وَقَالُواْ حَسۡبُنَا ٱللَّهُ وَنِعۡمَ ٱلۡوَكِيلُ﴾ (١).

وفى لفظ آخر: "كان آخر قول إبراهيم -عَلَيۡهِ ٱلسَّلَامُ- حين ألقى في النار: "حسبنا الله ونعم الوكيل.. " (٢).

وذكر ابن جرير في تفسيره عن بعضهم في قوله تعالى: ﴿وَٱتَّخَذَ ٱللَّهُ إِبۡرَٰهِيمَ خَلِيلٗا﴾(٣) قال: إنما سماه الله خليل من أجل أنه أصاب أهل ناحيته جدب، فارتحل إلى خليلٍ له من أهل الموصل.. وقال بعضهم، من أهل مصر - ليمتار طعامًا لأهله من قِبَله، فلم يصب عنده حاجته، فلما قرب من أهله مَرَّ بمفازة ذات رمل، فقال: لو ملأت غرائري(٤) من هذا الرمل، لئلا أغم أهلي برجوعي إليهم بغير ميرة - أي طعام -، وليظنوا أنى أتيتهم بما يحبون، ففعل ذلك، فتحول ما في غرائره من الرمل دقيقًا، فلما صار إلى منزله نام، وقام أهله ففتحوا الغرائر، فوجدوا دقيقًا، فعجنوا وخبزوا منه، فاستيقظ. فسألهم عن الدقيق الذي منه خبزوا. فقالوا من الدقيق الذي جئت به من خليلك! فقال: نعم هو من خليلي الله، فسماه الله بذلك خليلًا!! (٥)

وقد أورد الخبر ابن كثير في تفسيره، وقال بعده: في صحة هذا ووقوعه نظر، وغايته أن يكون خبرًا إسرائيليًا لا يصدق ولا يكذب، وإنما سمي خليل

---

(١) صحيح البخاري كتاب التفسير سورة آل عمران (٤٨/٦).

(٢) البخاري (٤٨/٦، ٤٩) ٦٥ - كتاب التفسير، ١٣ - باب ﴿ٱلَّذِينَ قَالَ لَهُمُ ٱلنَّاسُ إِنَّ ٱلنَّاسَ قَدۡ جَمَعُواْ لَكُمۡ﴾، حديث (٤٥٦٣، ٤٥٦٤).

(٣) سورة النساء: ١٢٥.

(٤) الغرائر: جمع غرارة، وهي الجُوَالِق، واحدة الغَرَائِر، وتستعمل لحمل التبن غالبًا. انظر: لسان العرب، "غرر"

(٥) تفسير الطبري (٢٥١/٩).

الله لشدة محبة ربه -عَزَّوَجَلَّ- له لما قام له من الطاعة التي يحبها ويرضاها [١]. والخبر رواه بنحوه الواحدي في أسباب النزول من طريق الكلبي عن أبي صالح عن ابن عباس، وهي طريق ضعيفة من أوهى الطرق إلى ابن عباس.[٢]

الإسرائيليات والموضوعات في قصة يوسف -عَلَيْهِ السَّلَامُ-:

وردت في قصة نبي الله يوسف -عَلَيْهِ السَّلَامُ- كثير من الإسرائيليات المختلقة والمرويات المكذوبة، فمن ذلك ما أخرجه الطبري والبزار وأبو يعلى وابن مردويه والبيهقي وأبو نعيم معًا في الدلائل وغيرهم في قول الله تعالى: ﴿إِذْ قَالَ يُوسُفُ لِأَبِيهِ يَٰٓأَبَتِ إِنِّي رَأَيْتُ أَحَدَ عَشَرَ كَوْكَبًا وَٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ رَأَيْتُهُمْ لِي سَٰجِدِينَ﴾[٣] عن جابر بن عبد الله -رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ- قال: «جَاءَ بُسْتَانِيٌّ الْيَهُودِيُّ إِلَى النَّبِيِّ -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- فَقَالَ: يَا مُحَمَّدُ أَخْبِرْنِي عَنِ الْكَوَاكِبِ الَّتِي رَآهَا يُوسُفُ سَاجِدَةً لَهُ، مَا أَسْمَاؤُهَا؟ فسكت النبيّ -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- فَلَمْ يُجِبْهُ بِشَيْءٍ، فَنَزَلَ عَلَيْهِ جِبْرِيلُ فَأَخْبَرَهُ بِأَسْمَائِهَا، فَبَعَثَ رَسُولُ اللهِ -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- إِلَى الْبُسْتَانِيِّ الْيَهُودِيِّ فَقَالَ: هَلْ أَنْتَ مُؤْمِنٌ إِنْ أَخْبَرْتُكَ بِأَسْمَائِهَا؟ قَالَ: نَعَمْ، قَالَ: جريان، والطارق، والذيال، وذو الكتفين، وَقَابِسٌ، وَوَثَّابٌ، وَعَمُودَانُ، وَالْفَيْلَقُ، وَالْمُصْبِحُ، وَالضَّرُوحُ، وَذُو القرع، وَالضِّيَاءُ، وَالنُّورُ[٤]، رَآهَا فِي أُفُقِ السَّمَاءِ سَاجِدَةً لَهُ، فَلَمَّا قَصَّ يُوسُفُ عَلَى يَعْقُوبَ قَالَ: هَذَا أَمْرٌ

---

(١) تفسير ابن كثير (٢/٣٧٤).

(٢) أسباب النزول للواحدي (ص ١٣٥).

(٣) سورة يوسف: ٤١.

(٤) في تفسير الطبري: جريان بدل مرثان، ووثاب بدل دنان، وعمودان بدل هودان، والفليق بدل الفيلق، وذو الفرع بدل الفريخ، وأيضًا عدتها ثلاثة عشر لا أحد عشر.

مُشَتَّتٌ يَجْمَعُهُ اللَّهُ مِنْ بَعْدُ، فَقَالَ الْيَهُودِيُّ: إِي وَاللَّهِ إِنَّهَا لَأَسْمَاؤُهَا»(١)

وهذه الرواية مدارها على الحكم بن ظهير، كما قال الحافظ ابن كثير في تفسيره: "تفرد به الحكم بن ظهير، وقد ضعفه الأئمة، وتركه الأكثرون" (٢)، وقال الهيثمي في الزوائد: "فيه الحكم بن ظهير وهو متروك"(٣).

قال ابنُ حبَّانَ: هذا لا أصلَ له مِن حديثِ رسول الله -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-، والحكمُ بن ظَهيرِ الفَزَاريُّ الكوفيُّ كان يَشتِمِ أصحابَ محمدٍ -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-، يَروِي عن الثِّقات الأشياءَ الموضوعات.(٤)

وأورد هذا الخبر الإمام الذهبي في الميزان من طريق ابن حبان بإسناده وفيه الحكم ابن ظهير أيضًا(٥)، وأخرج هذا الخبر الحاكم وصححه كما في الدر المنثور(٦)، وقال الشيخ شاكر في تحقيق الطبري: "ولم أعرف مكان هذا الخبر من المستدرك للحاكم(٧)، ولكن العجب أنه صححه، فإن هذا

---

(١) تفسير الطبري (١٥/٥٥٥) ومجمع الزوائد (٧/٣٩) وانظر تنزيه الشريعة (١/١٩٣).

(٢) تفسير ابن كثير (٤/٢٩٨).

(٣) مجمع الزوائد (٧/٣٩).

(٤) «المجروحين لابن حبان ت حمدي» (١/٣٠٤) ترجمة رقم: ٢٤.

(٥) ميزان الاعتدال (١/٣٦٨).

(٦) الدر المنثور (٤/٤).

(٧) أخرجه الحاكم ٤/٤٣٨ (٨١٩٦)، قال الحاكم: "هذا حديث صحيح، على شرط مسلم، ولم يخرجاه". وقال ابن الجوزي في الموضوعات (١/١٤٥ - ١٤٦): "هذا حديث موضوع على رسول الله -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-، وكان واضِعُه قَصَدَ شين الإسلام بمثل هذا، وفيه جماعة ليسوا بشيء". وقال ابن كثير في البداية والنهاية (١/٤٦١): "روى ابن جرير، وابن أبي حاتم في تفسيريهما، وأبو يعلى، والبزار في مسنديهما من حديث الحكم بن ظهير، وقد ضَعَّفه الأئمةُ". وقال البوصيري في إتحاف الخيرة المهرة (٦/٢٢٣ - ٢٢٤) (٥٧٣٥) عن رواية أبي يعلى: "هذا إسناد ضعيف منقطع".

الخبر قد تفرد به الحكم بن ظهير وهو واهي الحديث متروك"[١].

وقد تركه ابن الجوزي، والذهبي، وابن حجر، وهو بين لا يحتاج إلى إغراق. وحتى قال الجوزجاني: ساقط لميله وأعاجيب حديثه، وهو صاحب حديث نجوم يوسف، وقد أنكر العقيلي حديثه في تسمية النجوم التي رآها يوسف -عَلَيْهِ السَّلَامُ- كما في التهذيب[٢] ورفع هذا الحديث إلى النبي -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- من الأوهام، وهو في الحقيقة مأخوذ من الإسرائيليات.

- **ومن الإسرائيليات المكذوبة التي لا توافق عقلًا ولا نقلًا** ما ذكره الإمام ابن جرير الطبري، والبغوي في تفسيرهما. ونقله السيوطي في الدر[٣] عنهم وعن غيرهم من المفسرين في قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ هَمَّتْ بِهِۦ وَهَمَّ بِهَا لَوْلَآ أَن رَّءَا بُرْهَٰنَ رَبِّهِۦ﴾[٤] فقد ذكروا في هَمّ نبي الله يوسف -عَلَيْهِ السَّلَامُ- ما ينافي عصمة الأنبياء وما يخجل القلم من تسطيره، لولا أن المقام مقام بيان وتحذير من الكذب على الله وعلى رسله. وهو من أوجب الواجبات على أهل العلم.

فقد رووا عن ابن عباس -رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا- أنه سئل عن هم يوسف -عَلَيْهِ السَّلَامُ- ما بلغ؟ قال: "حَلَّ الهِمْيان [٥] يعنى السراويل، وجلس منها مجلس الخائن، فصيح به: يا يوسف لا تكن كالطير له ريش، فإذا زنا قعد ليس له ريش!!". ورووا أيضًا مثل هذا عن علي -رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ- وعن مجاهد وعن سعيد

---

(١) تفسير الطبري بتحقيق أحمد شاكر (١٥/٥٥).

(٢) التهذيب (٢/٤٢٨).

(٣) تفسير الطبري (١٦/٣٤) وتفسير البغوي (٤/٢٢٨)، الدر المنثور (٤/٥٢١)

(٤) سورة يوسف: ٢٤.

(٥) الهِمْيان: موضع شدِّ الإزار. اللسان (همن)

بن جبير، والضحاك، وغيرهم. ورووا أيضًا في البرهان الذي رآه، ولولاه في الفاحشة بأنه: نودي: أنت مكتوب في الأنبياء وتعمل عمل السفهاء!

وقيل: رأى صورة أبيه يعقوب في الحائط، وقيل في سقف الحجرة، وأنه رآه عاضًا على إبهامه، وأنه لم يتعظ بالنداء، حتى رأى أباه على هذه الحال!!، بل أسرف واضعوا هذه الإسرائيليات الباطلة، فزعموا: أنه لم يَرْعَو من رؤية صورة أبيه عاضًا على أصابعه، حتى ضربه أبوه يعقوب، فخرجت شهوته من أنامله، ولأجل أن يؤيد هؤلاء الذين افتروا على الله ونبيه يوسف هذا الافتراء يزعمون أيضًا: "أن كل أبناء يعقوب قد ولد اثنا عشر ولدًا ما عدا يوسف فإنه نقص بتلك الشهوة التي خرجت من أنامله ولدًا، فلم يولد له غير أحد عشر ولدًا، بل زعموا أيضًا في تفسير البرهان، فيما روى عن ابن عباس: أنه رأى ثلاث آيات من كتاب الله تعالى:

- قوله تعالى: ﴿وَإِنَّ عَلَيْكُمْ لَحَٰفِظِينَ ۝ كِرَامًا كَٰتِبِينَ﴾[1].

- وقوله تعالى: ﴿وَمَا تَكُونُ فِي شَأْنٍ وَمَا تَتْلُواْ مِنْهُ مِن قُرْءَانٍ وَلَا تَعْمَلُونَ مِنْ عَمَلٍ إِلَّا كُنَّا عَلَيْكُمْ شُهُودًا إِذْ تُفِيضُونَ فِيهِ﴾[2].

- وقوله تعالى: ﴿أَفَمَنْ هُوَ قَآئِمٌ عَلَىٰ كُلِّ نَفْسٍۭ بِمَا كَسَبَتْ﴾[3].

وقيل رأى: ﴿وَلَا تَقْرَبُواْ ٱلزِّنَىٰٓ إِنَّهُۥ كَانَ فَٰحِشَةً وَسَآءَ سَبِيلًا﴾[4] ومن البديهي: أن هذه الآيات بهذا اللفظ العربي لم تنزل على أحد قبل نبينا محمد -صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-

---

(١) سورة الانفطار: ١٠- ١١.

(٢) سورة يونس: ٦١.

(٣) سورة الرعد: ٣٣.

(٤) سورة الإسراء: ٣٢.

وإن كان الذين افتروا هذا لا يعدمون جوابًا، بأن يقولوا: رأى ما يدل على معاني هذه الآيات بلغتهم التي يعرفونها!! بل قيل في البرهان: إنه رأى تمثال الملك، وهو العزيز، وقيل خياله[1]. وكل ذلك مرجعه إلى أخبار بنى إسرائيل، وأكاذيبهم التي افتجروها على الله وعلى رسله، وحملها إلى بعض الصحابة والتابعين: كعب الأحبار ووهب بن منبه وأمثالهما [2].

وإليك أيها القارئ العزيز بعض ما قاله علماء الإسلام لدحض هذه الافتراءات وتفنيد تلك الروايات والأخبار الإسرائيلية التي تتنافى مع عصمة الأنبياء ومقامهم الرفيع. قال شيخ الإسلام ابن تيميه في دقائق التفسير: "الهم: اسم جنس تحته نوعان: كما قال الإمام أحمد: الهم همان: هم خطرات وهم إصرار. وقد ثبت في الصحيح عن النبي -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-: «**إن العبد إذا هم بسيئة لم تكتب عليه، وإذا تركها لله كتبت له حسنة...**» [3].

ويوسف هم همًا تركه لله، لذلك صرف الله عنه السوء والفحشاء لإخلاصه وأما ما ينقل في أنه حل سراويله وجلس مجلس الرجل من المرأة، وأنه رأى صورة يعقوب عاضًا على يده، وأمثال ذلك فكله مما لم يخبر الله به ولا رسوله وما لم يكن كذلك فهو مأخوذ عن اليهود الذين هم من أعظم الناس كذبًا على الأنبياء وقدحًا فيهم، وكل من نقله من المسلمين فعنهم

---

(١) انظر تفسير الطبري (٣٠/١٦) وابن كثير (٣٠٨/٤) والدر المنثور (٥٢١/٤) وتفسير البغوي (٢٣٢/٤).

(٢) الإسرائيليات والموضوعات في التفسير (ص ٣٠٧) وما بعدها. بتصريف يسير.

(٣) رواه البخاري كتاب التوحيد (١٧٧/٩) ومسلم كتاب الإيمان باب: "إذا هم العبد كتبت..." (٨٢/١).

نقله. لم ينقل من ذلك أحد عن نبينا -صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- حرفًا واحدًا. أهـ. [١]

وقال ابن عطية في المحرر الوجيز: "ولا يصح عليه شيء مما ذكرنا من حل تكة ونحو ذلك لأن العصمة مع النبوة"[٢].

وقال: أبو حيان في "البحر المحيط": "طول المفسرون في تفسير هذين الهمين ونسب بعضهم ليوسف ما لا يجوز نسبته لآحاد الفساق. وقد طهرنا كتابنا هذا – أي تفسير البحر المحيط – عن نقل ما في كتب التفسير مما لا يليق ذكره، واقتصرنا على ما دل عليه لسان العرب ومساق الآيات التي وردت في هذه السورة مما يدل على العصمة وبراءة يوسف -عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ- من كل ما يشين". أهـ [٣].

وقد اختار الإمام أبو حيان أن يوسف -عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ- لم يقع منه هَمّ أصلًا؛ بل هو منفي عنه لوجود البرهان. قال العلامة الشنقيطي في تفسيره: "وهذا الذي اختاره أبو حيان وغيره هو أحرى الأقوال على قواعد اللغة العربية لأن الغالب في القرآن وفى كلام العرب: أن الجواب المحذوف يذكر قبله ما يدل عليه، كقوله تعالى: ﴿فَعَلَيْهِ تَوَكَّلُوٓاْ إِن كُنتُم مُّسْلِمِينَ﴾ [٤] أي: إن كنتم مسلمين فتوكلوا عليه، فالأول: دليل الجواب المحذوف لا نفس الجواب لأن جواب الشرط وجواب " لولا " لا يتقدم، ولكن يكون المذكور قبله دليل عليه كالآية المذكورة، وكقوله: ﴿قُلْ هَاتُواْ بُرْهَٰنَكُمْ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ﴾ أي: إن كنتم صادقين فهاتوا برهانكم وعلى هذا القول.

معنى آية ﴿وَهَمَّ بِهَا لَوْلَآ أَن رَّءَا بُرْهَٰنَ رَبِّهِۦ﴾ أي: لولا أن رآه هم بها. فما

---

(١) دقائق التفسير لابن تيمية (٣/٢٧٢ – ٢٧٣).

(٢) المحرر الوجيز (٧/٤٧٧ – ٤٧٨).

(٣) البحر المحيط (٥/٢٩٤ – ٢٩٥) بتلخيص.

(٤) سورة يونس: ٨٤.

قبل (لولا) هو دليل الجواب المحذوف، كما هو الغالب في القرآن واللغة، ونظير ذلك قوله تعالى: ﴿إِن كَادَتْ لَتُبْدِي بِهِۦ لَوْلَآ أَن رَّبَطْنَا عَلَىٰ قَلْبِهَا﴾ فما قبل (لولا) دليل الجواب، أي لولا أن ربطنا على قلبها لكادت تبدى به. أهـ [١]

وقيل: إن البرهان أنه علم ما أحل الله مما يحرم الله. فرأى تحريم الزنا، روى عن محمد بن كعب القرظي. قال ابن قتيبة: رأى حجة الله عليه وهي البرهان، واختاره ابن الجوزي في زاد المسير، فقال: "وهذا هو القول الصحيح، وما تقدمه فليس بشيء وإنما هي أحاديث من أعمال القصاص وقد أشرت إلى فسادها في كتاب: "المغنى في التفسير " وكيف يظن بنبي لله كريم أنه يخون ويرعب ويضطر إلى ترك هذه المعصية وهو مصير؟ وهذا غاية القبح. أهـ[٢]

ويوسف -عَلَيْهِ السَّلَامُ- لم يذكر الله تعالى عنه أنه ارتكب ذنبًا، وهو سبحانه لا يذكر لنبي من الأنبياء ذنبًا إلا ذكر استغفارًا من مقدمات الفاحشة، فعلم أنه لم يفعل ذنبًا في هذا ولا هذا، بل إن ما فعله كان من الحسنات المبرورة والمساعي المشكورة[٣]. وهذه الأقوال والأخبار التي أسرف المفسرون في ذكرها ونقلها: إما إسرائيليات وخرافات، وضعها زنادقة أهل الكتاب القدماء أرادوا بها النيل من الأنبياء والمرسلين ثم حملها معهم أهل الكتاب الذين أسلموا وتلقاها عنهم بعض الصحابة، والتابعين بحسن نية أو اعتمادًا على ظهور كذبها وزيفها.

وإما أن تكون مدسوسة على هؤلاء الأئمة دسها عليهم أعداء الأديان، كي

---

(١) أضواء البيان للشنقيطي (٣/٦٠ - ٦٢).

(٢) زاد المسير (٤/٢٠٩).

(٣) انظر دقائق التفسير (٣/٢٦٣-٢٨٠).

تروج تحت هذا الستار وبذلك يصلون إلى ما يريدون من إفساد العقائد.[1]

وهذا ما قرره الشيخ الشنقيطي في تفسيره بقوله: "وهذه الأقوال التي رأيت نسبتها إلى هؤلاء العلماء منقسمة إلى قسمين: قسم: لم يثبت نقله عمن نقل عنه بسند صحيح، وهذا لا إشكال في سقوطه. وقسم: ثبت عن بعض من ذكر. فمن ثبت عنه منهم شيء من ذلك فالظاهر الغالب على الظن المزاحم لليقين، أنه إنما تلقاه عن الإسرائيليات، لأنه لا مجال للرأي فيه، ولم يرفع منه قليل ولا كثير إلى النبي -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- وبهذا تعلم أنه لا ينبغي التجرؤ في نبي الله يوسف بأنه جلس بين رجلي امرأة كافرة أجنبية يريد أن يزني بها. اعتمادًا على مثل هذه الروايات. مع أن في الروايات المذكورة ما تلوح عليه لوائح الكذب. كقصة الكف التي خرجت له أربع مرات، وفى ثلاث منهن لا يبالي بها. لأن ذلك على فرض صحته فيه أكبر زاجر لعوام الفساق، فما ظنك بخيار الأنبياء!! مع أننا قدمنا دلالة القرآن على براءته من جهات متعددة، وأوضحنا أن الحقيقة لا تتعدى أحد أمرين، إما أن يكون لم يقع منه هم بها أصلًا بناء على تعليق همه على عدم رؤية البرهان. وإما أن يكون همه الميل الطبيعي المزموم بالتقوى، والعلم عند الله تعالى" أهـ. [2]

وللإمام الفخر الرازي[3] كلام نفيس عند تفسيره لهذه الآية، نفى عن نبي الله الله يوسف -عَلَيْهِ السَّلَامُ- ما ألصقته به تلك المرويات المكذوبة، مما هو منزه عنه، وبين أن الله تعالى شهد ببراءة يوسف وكذا امرأة العزيز والنسوة والشيطان

---

(١) راجع الإسرائيليات والموضوعات في التفسير (ص ٣١٣).

(٢) أضواء البيان (٣/٦٨).

(٣) تفسير الرازي = مفاتيح الغيب أو التفسير الكبير (١٨/٤٤٠) وما بعدها.

أيضًا حيث توعد خلق الله بالغواية واستثنى المخلصين منهم فقال فيما حكاه الله عنه قال: ﴿فَبِعِزَّتِكَ لَأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ ٨٢ إِلَّا عِبَادَكَ مِنْهُمُ ٱلْمُخْلَصِينَ﴾(١) وقد وصف الله تعالى يوسف -عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ- بقوله: ﴿إِنَّهُۥ مِنْ عِبَادِنَا ٱلْمُخْلَصِينَ﴾(٢).

وغير ذلك من الأدلة والبراهين التي ساقها الإمام الرازي في تفسيره ودَلَّل بها على براءة نبي الله يوسف -عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ- فراجعها وعض عليها بالنواجذ.

الفرية على نبي الله يوسف -عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ- في قوله تعالى ﴿ذَٰلِكَ لِيَعْلَمَ أَنِّي لَمْ أَخُنْهُ بِٱلْغَيْبِ﴾(٣)

ولكي يؤيد الأفاكون باطلهم ألصقوا بالصحابة والتابعين ما لا يليق بمقام الأنبياء فرووا عنهم واختلقوا على النبي -صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- زورًا وقوَّلوه ما لم يقله. فقد نقل صاحب الدر المنثور(٤) ما أخرجه الحاكم في تاريخه وابن مردويه والديلمي عن أنس -رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ- أن رسول الله -صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- قرأ هذه الآية: ﴿ذَٰلِكَ لِيَعْلَمَ أَنِّي لَمْ أَخُنْهُ بِٱلْغَيْبِ...﴾، قال: «لما قال يوسف ذلك قال له جبريل -عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ- ولا يوم هممت بها، فقال: وما أبرئ نفسي، إن النفس لأمارة بالسوء».

وأخرج ابن جرير عن عكرمة مثله، وأخرج سعيد بن منصور، وابن أبي حاتم عن حكيم بن جابر في قوله: ﴿ذَٰلِكَ لِيَعْلَمَ أَنِّي لَمْ أَخُنْهُ بِٱلْغَيْبِ...﴾ قال جبريل: ولا حين حللت السراويل... إلى غير ذلك من المرويات المكذوبة

---

(١) سورة ص: ٨٢ - ٨٣.

(٢) سورة يوسف: ٢٤.

(٣) سورة يوسف: ٥٢.

(٤) الدر المنثور (٥٤٦/٤).

والإسرائيليات الباطلة. التي أخرجها بعض المفسرين الذين كان منهجهم ذكر المرويات وجمع أكبر قدر منها، سواء منها ما صح، وما لم يصح. والإخباريون الذين لا تحقيق عندهم للمرويات وليس أدل على ذلك من أنها لم يخرجها أحد من أهل الكتب الصحيحة ولا أصحاب الكتب المعتمدة التي يرجع إليهم في مثل هذا.

ومن الأخبار الواهية في قصة يوسف -عَلَيْهِ السَّلَامُ- ما أخرجه ابن جرير في تفسيره[١] قال حدثنا ابن وكيع حدثنا عمرو بن محمد عن إبراهيم ابن يزيد عن دينار عن عكرمة عن ابن عباس قال: قال النبي -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-: "وَلَوْ لَمْ يَقُلْ - يعنى يوسف - الْكَلِمَةَ الَّتِي قَالَ- اذْكُرْنِي عِنْدَ رَبِّكَ - مَا لَبِثَ فِي السِّجْنِ طُولَ مَا لَبِثَ، حَيْثُ سَعَى الْخُرُوجَ مِنْ عِنْدِ غَيْرِ اللَّهِ».[٢]

ولو أن هذا الحديث كان صحيحًا أو حسنًا: لكان للمتمسكين بمثل هذه الإسرائيليات التي أظهرت سيدنا يوسف بمظهر الرجل المذنب المدان وجهه، ولكن الحديث شديد الضعف، ولا يجوز الاحتجاج به أبدًا " [٣]. فقد نقله الحافظ ابن كثير في تفسيره وقال: "وَهَذَا الْحَدِيثُ ضَعِيفٌ جِدًّا؛ لِأَنَّ سُفْيَانَ بْنَ وَكِيعٍ ضَعِيفٌ، وَإِبْرَاهِيمُ بْنُ يَزِيدَ -هُوَ الْخُوزِي -أَضْعَفُ مِنْهُ

(١) تفسير الطبري جامع البيان، ط دار التربية والتراث (١١٢/١٦) رقم (١٩٣١٥)

(٢) الأثر: (١٩٣١٥) "إبراهيم بن يزيد الخوزي القرشي"، متروك منكر الحديث، ليس بثقة، كان يتهم بالكذب. مضى مرارًا، آخرها رقم: (١٧٣١٣). فهذا خبر ضعيف الإسناد جدًا، وذكره الهيثمي في مجمع الزوائد (٣٩/٧)، مطولا، قال:" رواه الطبراني، وفيه إبراهيم بن يزيد القرشي المكي، وهو متروك". ورواه الطبري في تاريخه (١: ١٧٧)

(٣) انظر الإسرائيليات والموضوعات في التفسير (ص ٣٢٢).

أَيْضًا. وَقَدْ رُوِيَ عَنِ الْحَسَنِ وَقَتَادَةَ مُرْسَلًا عَنْ كُلٍّ مِنْهُمَا، وَهَذِهِ المرسَلات هَاهُنَا لَا تُقْبَلُ لَوْ قُبِلَ الْمُرْسَلُ مِنْ حَيْثُ هُوَ فِي غَيْرِ هَذَا الْمَوْطِنِ، وَاللَّهُ أَعْلَمُ"(١)

ومن الأخبار الموضوعة أيضًا ما أخرجه البغوي في تفسيره من طريق إسحاق بن بشير عن جويبر عن الضحاك، عن ابن عباس -رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا- قال رسول الله -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-: «رحم الله أخي يوسف لو لم يقل اجعلني على خزائن الأرض لاستعمله من ساعته، ولكنه أخره لذلك سنة فأقام في بيته سنة مع الملك». (٢)

وهذا الحديث موضوع أورده الحافظ ابن حجر في "الكاف الشاف" وقال: أخرجه الثعلبي عن ابن عباس من رواية إسحاق بن بشير عن جويبر عن الضحاك عنه، وهذا إسناد ساقط. (٣)

وقد عقب ابن عطية على هذه الروايات في المحرر الوجيز فقال: "وهذا كله يحتاج إلى سند، والظاهر أنه قميص يوسف الذي هو منه بمنزلة قميص كل أحد وهكذا تبين الغرابة في أن وجد ريحه من بُعد، ولو كان من قميص الجنة لما كان في ذلك غرابة ولوجده كل أحد". أهـ (٤)

الإسرائيليات في قصة نبي الله داود -عَلَيْهِ السَّلَامُ-:

قصة داود النبي -عَلَيْهِ السَّلَامُ- واردة في التوراة بالتفصيل إلا أننا لن نعتمد على التوراة ولا على الإسرائيليات، وإنما اعتمادنا على ما روي عن كبار

---

(١) تفسير ابن كثير - ت السلامة (٣٩١/٤).

(٢) تفسير البغوي (٢٥١/٤).

(٣) الكاف الشاف لابن حجر (ص ٩٠).

(٤) المحرر الوجيز (٧٢/٨).

الصحابة وأئمة المفسرين.

روى الطبري في تفسيره بأسانيد متعددة عن ابن عباس وعن أنس ابن مالك -رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ- عن رسـول -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- ما جاء عن داود (عَلَيْهِ السَّلَامُ) في سورة (ص) ما خلاصته. "أنه كان لداود تسع وتسعون امرأة وأنه رأى ذات يوم من كُوَّةِ [1] محرابه امرأة جميلة تغتسل، فأعجب بها وأرسل في طلبها، ولما عرف أنها زَوْجَةَ (أُورِيَا) الذي كان غائبًا في الحرب، أمر بأن يقدم بين يدي التابوت[2] ويتصدر الصفوف، كي يهلك، فلما قتل تزوج امرأته! عندئذ بعث الله إليه ملكين يختصمان، ففطن إلى ما وقع فيه، فاستغفر ربه وخر راكعًا وأناب، وظل يبكي وهو ساجد أربعين يومًا لا يرفع رأسه إلا لحاجة، حتى نبت العشب من دموع عينيه!! أهـ [3].

وجاء من جاء من المفسرين الذين راجت عليهم تلك الإسرائيليات والأخبار الملفقة، وإن كان البعض قد أوردها في تفسيره ثم كَرَّ عليها بالرد والإبطال، كما فعل ابن كثير في تفسيره ليكون القارئ على بينة من أمرها.

منهج الطبري في تفسيره:

من عادة الطبري أنه يذكر في تفسيره الآية ما بلغه من الروايات عن الرسول وأصحابه التابعين. بأسانيده ليلقي التبعة على رواتها، ويخلص من

---

(١) الكوة: النافذة، أو: النقب في البيت. والجمع: كِوًى. (انظر: مجمع البحار، مادة: كوى)

(٢) التَّابُوت: التابوت هو الصندوق الذي يحرز فيه المتاع. انظر: لسان العرب، "تبت" وهو الصندوق الذي يُحرز فيه المتاع. انظر "النهاية في غريب الحديث" (١٧٩/١) «وقال أهل التفسير: كان بنو إسرائيل ينبهون بالتابوت ويستنصرون به على الأعداء، ويقدمونه أمامه إذا قاتلوا أهل الكفر» يراجع: «الهداية الى بلوغ النهاية» لمكي بن أبي طالب القيسي (٨٢٢/١).

(٣) تفسير الطبري (٨٢/٢٣).

عهدتها، فالعهدة – كما يقولون – على الراوي، كما في اصطلاح المحدثين: "من أسند فقد حملك" أي حملك البحث عن رجال السند، وأحالك على كتب الجرح والتعديل لتعرف حالهم وتقف على درجتهم. وقد تضمن تفسير الطبري أحاديث لا صحة لها، والتهمة في ذلك متجهة إلى بعض رجال السند دون الصحابة كما نبه على ذلك الحفاظ والمحدثين.

وإن كنا نود لو أن الإمام الطبري –رَحِمَهُ ٱللَّهُ– وهو إمام المفسرين نزه كتابه عن هذا الإفك المفضوح الذي تقشعر له الأبدان، ولا يوافق عقلًا ولا نقلًا، لما فيه من إخلال بمقام الأنبياء، ومساس بعصمتهم.

وقصة داود –عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ– رواها الطبري بأسانيد مختلفة فيها رجال اتهمهم علماء الجرح والتعديل كما سنبين ذلك فيما يلي:

أ) روى الطبري هذه القصة عن ابن عباس بسند واحد، ونص كلام الطبري: حدثني محمد بن سعد[(١)] قال: حدثني أبي[(٢)] قال: حدثني عمي[(٣)] قال: حدثني أبي[(٤)] عن أبيه[(٥)] عن ابن عباس..." [(١)] وهذا السند مسلسل بالضعفاء محمد بن

---

(١) محمد بن سعد هو ابن محمد بن الحسن بن عطية العوفي مشاه الدارقطني، وضعفه الخطيب البغدادي، راجع ترجمته من "تاريخ بغداد (٣٢٢/٥)

(٢) وأبوه هو سعد بن محمد بن الحسن بن عطية، قال عنه الإمام أحمد: "لم يكن ممن يستأهل أن يكتب عنه، ولا كان موضعًا لذاك" راجع "تاريخ بغداد (١٢٦/٩)

(٣) وعمه هو الحسين بن الحسن بن عطية وقد ضعفه النقاد دون اختلاف، وترجمته في "اللسان" (٢٧٨/٢)، وغيره

(٤) وأبوه هو الحسن بن عطية العوفي، وحاله مثل حال ولده عند النقاد، وهو من رجال "التهذيب".

(٥) وجده هو عطية بن سعد العوفي الكوفي. المدلس المشهور روى عن أبي هريرة وطائفة، ضربه الحجاج اربعمائة سوط على ان يشتم عليا فلم يفعل، قال الذهبي: وهو ضعيف الحديث، توفى عام ١١١هـ. انظر: العلل ومعرفة الرجال (١٩٨/١)، التاريخ الكبير (٨/١/٤)، الجرح =

سعد الذي يروي عنه الطبري لين في الحديث كما قال الخطيب، وقال الدارقطني: "لا بأس به "(٢). وأبوه "سعد" ضعيف جدًا، سئل عنه الإمام أحمد فقال: "ذاك جَرْميّ"(٣) ثم لم يره موضعًا للرواية كما في اللسان(٤)، وعمه: أي عم سعد، وهو الحسين بن الحسن بن عطية العوفي(٥)، كان ضعيفًا في الحديث كذا قال ابن سعد وابن معين. وضعفه أبو حاتم والنسائي. وقال ابن حبان في المجروحين: "منكر الحديث... ولا يجوز الاحتجاج بغيره ".(٦)

عن أبيه: "وهو الحسن بن عطية وهو ضعيف أيضًا قال البخاري في الكبير "ليس بذاك" وقال أبو حاتم: "ضعيف الحديث"، وقال ابن حبان: "يروى عن أبيه"، روى عنه ابنه محمد ابن الحسن، منكر الحديث، فلا أدرى: البلية في أحاديثه منه أو من أبيه، أم منهما معًا؟ لأن أباه ليس بشيء في

والتعديل (٣٨٢/١/٣)، مجروحي ابن حبان (١٧٦/٢)، الضعفاء للعقيلي (٢٢٩/٣)، ميزان الاعتدال (٧٩/٣)، تقريب التهذيب (ص ٢٤٠)

(١) تفسير الطبري (٨٣/٢٣)

(٢) تاريخ بغداد (٣٢٢/٥)

(٣) وفي "توضيح المشتبه" بابن ناصر الدين (ت ٨٤٢هـ) (٢١٨/٣): وجرم بجيم وَرَاء: جرم؛ قَبيلَة فِي قضاعة وَفِي بجيلة وَفِي عاملة وَفِي طَيء بطُون. وقال الحافظ في "الفتح" (٦٤٧/٩): جَرْمٌ قبيلة في قُضاعة يُنسبون إلى جَرم بن زبّان- بزاي وموحدة ثقيلة- ابن عمران بن الحاف بن قضاعة.

(٤) لسان الميزان (١٨/٣-١٩)

(٥) العَوْفي بفتح العين وسكون الواو آخرها فاء نسبة إلى عوف وهم جماعة منهم عوف بن يشكر وعبد الرحمن بن عوف وأولاده يقال لهم العوفيون. انظر: الأنساب للسمعاني (٤٠٤/٩): (٢٨٣٣).

(٦) انظر الطبقات (٧٤/٢/٧) والجرح والتعديل (٨٤/٢/١) والمجروحين رقم (٢٨٨) (ص ١٦٧) وتاريخ بغداد (٢٩/٨) واللسان (٢٧٨/٢)

الحديث، وأكثر روايته عن أبيه فمن هنا اشتبه أمره، ووجب تركه "[1].

وعطية العوفي ضعيف أيضا، ولكنه مختلف فيه، وضعفه ابن حبان جدًا وقال: "... فلا يحل كتابة حديثه إلا على وجه التعجب"[2]، وقد رجح الشيخ شاكر تضعيفه في أحاديث المسند رقم (٣٠١٠) وشرح الترمذي (٥٥١) وانظر ترجمته[3].

ب) ورواها الطبري بسند آخر عن السدي ونصه: حدثنا محمد بن الحسين قال: حدثنا أحمد بن المفضل قال: حدثنا أسباط عن السدي.. ثم ذكر القصة من كلام السدي[4]. وأحمد بن المفضل: قال الأزدي: "منكر الحديث كما في التهذيب[5]وفى التقريب: "صدوق شيعي في حفظه شيء ". هذا فضلًا عن ان الرواية منقطعة[6].

وقد رواها الطبري بسند آخر عن الحسن مرسلًا، ومراسيل الحسن ضعيفة، ورواها الطبري بسنده عن بعض أهل العلم عن وهب بن منبه اليماني[7] وفى الإسناد مجهول لا يعرف من هو، ولا يدري حاله، ووهب بن منبه تابعي كان يهوديًا فأعلن إسلامه، وعليه تدور رواية أكثر

---

(١) راجع التاريخ الكبير للبخاري (٢٩٩/٢/١) والجرح والتعديل (٢٦/٢/١) والمجروحين رقم (٢١٠) (ص ١٥٨)

(٢) المجروحين (ص ١٧٨)

(٣) في الكبير للبخاري (٨/١/٤-٩) الصغير (١٢٦) والضعفاء للنسائي (٢٤) وابن أبي حاتم (٣٨٢/١/٣-٣٨٣) والطبقات (٢١٢/٦-٢١٣)

(٤) تفسير الطبري (٨٣/٢٣)

(٥) التهذيب (٨١/١)

(٦) التقريب (٢٦/١)

(٧) تفسير الطبري (٨٥/٢٣)

الإسرائيليات، وفى هذه القصة صرح بما يدل على ذلك حيث قال فيها: "ثم أمر صاحب جيشه يزعم أهل الكتاب أن يقدم زوجها للمهالك.

ج) رواها الطبري وابن أبي حاتم والحكيم الترمذي في نوادر الأصول بسند ضعيف عن أنس. كما في الدر المنثور[١]: وفى محاسن التأويل: "في إسناده ابن لهيعة وحاله معروف عن أبي صخر عن يَزِيدَ الرَّقَاشِيّ وهو ضعيف[٢]. وقال ابن كثير في تفسيره عقب هذا الحديث: "لا يصح سنده لأنه من رواية يزيد الرقاشي. ويزيد وإن كان من الصالحين لكنه ضعيف الحديث عند الأئمة. فالأولى أن يقتصر على مجرد تلاوة هذه القصة وأن يرد علمها إلى الله -عَزَّوَجَلَّ-، فإن القرآن حق، وما تضمن فهو حق أيضًا ". أهـ. [٣]

هذه جملة الأسانيد التي تعرضت للقصة ومما سلف يؤخذ ما يأتي:

١. أن القصة لم ترفع إلى الرسول -صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ- إلا من رواية أنس بن مالك وفى سندها يزيد الرقاشي[٤] وهو ضعيف.

٢. بقية الروايات موقوفة على الصحابة والتابعين وهي ضعيفة حيث يوجد في إسنادها رواة ضعفاء متهمون سبق أن تكلمنا عنهم.

---

(١) الدر المنثور (٣٠٠/٥)

(٢) محاسن التأويل (٥٠٨٩/١٤)

(٣) تفسير ابن كثير (٥١/٧)

(٤) قَالَ فِي التَّقْرِيب (٣٦١/٢): يزِيد بن أبان الرقاشِي، بتَخْفِيف الْقَاف ثمَّ مُعْجمَة، أَبُو عَمْرو الْبَصْرِيّ، الْقَاص، بتَشْدِيد الْمُهْملَة، زاهد، ضَعِيف، من الْخَامِسَة مَاتَ قبل الْعشْرين، بخ ت ق، وَذكر الذَّهَبِيّ فِي الكاشف (٢٧٤/٣) أنه روى عَن الْحسن وَأنس. والرقاشِي قال أبو حاتم بن حبان: هو من بنى قيس عيلان، يروى عن سنان بن سلمة بن المحبّق، روى عنه عبد الكريم بن أبي المخارق وأبو المعتمر يزيد ابن طهمان الرقاشيّ، من أهل البصرة.

٣. بمراجعة الطبري يتبين أن الرواة اضطربوا في بيان سبب الفتنة فيروى الطبري عن ابن عباس: "أن سبب الابتلاء أنه تمنى مثل ما لإبراهيم وإسحاق ويعقوب، فقيل له: إنهم امتحنوا وصبروا فتمنى أن يمتحن ليصبر فيعطى مثلهم "[١]. ويروى الطبري عن الحسن أنه ظن أنه يطيق أن يتم يومًا لا يصيب فيه ذنبًا فابتلى بهذه الفتنة في نفس اليوم الذي أضمر فيه ذلك[٢].

٤. تضمنت القصة أمورًا غريبة ومستبعدة كرواية: "أنه مكث ساجدًا أربعين يومًا لا يرفع رأسه إلا لحاجة ثم يقع ساجدًا يبكي ثم يدعو حتى نبت العشب من دموع عينيه"!!

٥. قال القاضي عياض[٣] -رَحِمَهُ ٱللَّهُ-: وأما قصة داوود -عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ- فَلَا يَجِبُ أَنْ يُلْتَفَتَ إِلَى ما سطره فيه الإخباريون عن أَهْلِ الْكِتَابِ الَّذِينَ بَدَّلُوا وَغَيَّرُوا، وَنَقَلَهُ بَعْضُ الْمُفَسِّرِينَ.. وَلَمْ يَنُصَّ اللَّهُ عَلَى شَيْءٍ مِنْ ذَلِكَ وَلَا وَرَدَ فِي حَدِيثٍ صَحِيحٍ.[٤]

---

(١) تفسير الطبري (٨٣/٢٣)

(٢) المصدر السابق (٨٤/٢٣)

(٣) هو: أبو الفضل، عياض بن موسى اليحصبي السبتي، الشيخ القاضي، عالم المغرب وقدوتهم، إمام أهل الحديث، المتبحّر في العلوم، ألف التآليف المفيدة البديعة، منها: "إكمال المعلم في شرح مسلم"، و"الشفا في التعريف بحقوق المصطفى"، و"ترتيب المدارك"، وغيرها، توفي سنة (٥٤٤)

(٤) الشفا بتعريف حقوق المصطفى - محذوف الأسانيد (٣٧١/٢).

قصة داود –عَلَيْهِ السَّلَامُ–: من الإسرائيليات:

هذه القصة تدور على أخبار اليهود من أهل الكتاب يشهد بهذا ما يلي:

١. ورد في تفسير الطبري قال وهب بن منبه: "ثم أمر صاحب جيشه فيما يزعم أهل الكتاب أن يقدم زوجها للمهالك "(١).

٢. قال ابن كثير في تفسيره عند تفسير آيات قصة داود –عَلَيْهِ السَّلَامُ–: "وهل أتاك نبأ الخصم إذ تسوروا المحراب " هاهنا قصة أكثرها مأخوذة من الإسرائيليات ولم يثبت فيها عن المعصوم حديث يجب اتباعه. أهـ(٢)

٣. أخبرنا الله تعالى عن أهل الكتاب أنهم بدلوا وغيروا. قال تعالى: ﴿يُحَرِّفُونَ الْكَلِمَ عَن مَّوَاضِعِهِ وَنَسُوا حَظًّا مِّمَّا ذُكِّرُوا بِهِ﴾(٣)

وقد وردت هذه القصة في سفر صموئيل الثاني الإصحاح الحادي عشر والثاني عشر، وفيه أنه بعد أن رآها وأعجب بها أرسل إليها رسلًا وأخذها واضطجع معها فحبلت فأخبرته فخشي أن ينكشف أمره، فكلف قائده بأن يبعث زوجها في وجه الحرب، ففعل فقتل، وجاءت امرأته بولد من داود مرض ثم مات، ومن هذه المرأة ولد سليمان –عَلَيْهِ السَّلَامُ–!!.

وقال ابن حزم في (الفصل): "ما حكاه تعالى عن داود –عَلَيْهِ السَّلَامُ– «قَالَ أَبُو مُحَمَّد وَهَذَا قَول صَادِق صَحِيح لَا يدل على شَيْء مِمَّا قَالَه المستهزئون الْكَاذِبُونَ المتعلقون بخرافات وَلَدهَا الْيَهُود وَإِنَّمَا كَانَ ذَلِك الْخصم قوما من بني آدم بِلَا شكّ مختصمين فِي نعاج من الْغنم على الْحَقِيقَة بَينهم بغى

---

(١) تفسير الطبري (٢٣/٨)

(٢) تفسير ابن كثير (٥١/٧)

(٣) سورة المائدة: ٣١

أحدهمَا على الآخر على نَص الْآيَة وَمن قَالَ أنهم كَانُوا مَلَائِكَة معرضين بِأَمْر النِّسَاء فقد كذب على الله -عَزَّوَجَلَّ- وَقَوله مَا لم يقل وَزَاد فِي الْقُرْآن مَا لَيْسَ فِيهِ وَكذب الله-عَزَّوَجَلَّ-وَأقر على نَفسه الخبيثة أَنه كذب الْمَلَائِكَة لِأَن الله تَعَالَى يَقُول: ﴿وَهَلۡ أَتَىٰكَ نَبَؤُاْ ٱلۡخَصۡمِ﴾ فَقَالَ: هُوَ لم يَكُونُوا قطّ خصمين وَلَا بغي بَعضهم على بعض وَلَا كَانَ قطّ لأَحَدهمَا تسع وَتسْعُونَ نعجة وَلَا كَانَ للْآخر نعجة وَاحِدَة وَلَا قَالَ لَهُ أكفلنيها فاعجبوا لم يقحمون فِيهِ أهل الْبَاطِل أنفسهم ونعوذ بِاللَّه من الخذلان ثمَّ كل ذَلِك بِلَا دَلِيل بل الدَّعْوَى الْمُجَرَّدَة وتالله أَن كل أمرئ منا ليصون نَفسه وجاره المستور عَن أَن يتعشق امْرَأَة جَاره ثمَّ يعرض زَوجهَا للْقَتْل عمدا ليتزوجها وَعَن أَن يتْرك صلَاته لطائر يرَاهُ هَذِه أفعَال السُّفَهَاء المتهوكين الْفُسَّاق المتمردين لَا أَفعَال أهل الْبر وَالتَّقوى فَكيف برَسُول الله دَاوُد -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- الَّذِي أُوحِي إِلَيْهِ كِتَابه وأجرى على لِسَانه كَلَامه لقد نزهه الله-عَزَّوَجَلَّ-عَن أَن يمر مثل هَذَا الْفُحْش بِبَالِهِ فَكيف أَن يستضيف إِلَى أَفعاله".(١)

سر إشاعة اليهود للقصة:

قال البرهان البقاعي في تفسيره ما نصه: "وتلك القصة وأمثالها من كذب اليهود" ثم قال: وأخبرني بعض من أسلم منهم أنهم يتعمدون ذلك في حق داود -عَلَيْهِ السَّلَام- لأن عيسى -عَلَيْهِ السَّلَام- من ذريته ليجدوا سبيلًا إلى الطعن فيه"أ.هـ.(٢)

---

(١) الفصل في الملل والأهواء والنحل، لابن حزم (٤/١٤).

(٢) تفسير البرهان للبقاعي مخطوط بمكتبة الأزهر ج (٥) ورقة (٤٣٤) ظهر رقمه الخصوصي (٥٩٠) والعمومي (١٢٨٥٥)

الإسرائيليات في قصة سيدنا أيوب - عَلَيْهِ السَّلَامُ -:

ومن القصص التي تزيد فيها المتزيدون، واستغلها القصاصون وأطلقوا فيها لخيالهم العنان قصة سيدنا أيوب -عَلَيْهِ السَّلَامُ- فقد نقلوا فيها ورووا ما عصم الله أنبياءه عنه، وصوروه بصورة لا يرضاها الله لرسول من رسله. نقل السيوطي في الدر المنثور وغيره عن قتادة -رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ- في قوله تعالى: ﴿وَٱذۡكُرۡ عَبۡدَنَآ أَيُّوبَ...﴾[1]. قال: ذهاب الأهل والمال، والضر الذي أصابه في جسده، قال: ابتلى سبع سنين وأشهرًا فألقى على كناسة بنى إسرائيل تختلف الدواب في جسده، ففرج الله عنه، وأعظم له الأجر وأحسن! [2]

وروى أحمد عن عبد الرحمن بن جبير قال: ابتلى أيوب بماله وولده طرح في المزبلة، فجاءت امرأته تخرج فتكتسب عليه ما تطعمه، فحسده الشيطان لذلك، فكان يأتي أصحاب الخير والغنى فيقول: "اطردوا هذه المرأة التي تغشاكم، فإنها تعالج صاحبها، وتلمسه بيدها، فالناس يتقذرون طعامكم من أجلها، فجعلوا لا يدنونها منهم ويقولون: "تباعدي ونحن نطعمك ولا تقربينا".

وقد أخرج ابن جرير وابن أبي حاتم الكثير من هذه الروايات في تفسيريهما وكذلك ذكر ابن جرير والبغوي[3] وغيرهما، الكثير من الإسرائيليات عند تفسير قوله تعالى: ﴿وَأَيُّوبَ إِذۡ نَادَىٰ رَبَّهُۥٓ أَنِّي مَسَّنِيَ ٱلضُّرُّ وَأَنتَ أَرۡحَمُ ٱلرَّٰحِمِينَ﴾[4] عن وهب بن منبه في بضع صحائف، وقد التبس فيها الحق بالباطل، والصدق بالكذب دون أن يعلق الإمام الطبري بشيء على ما في الرواية من

---

(١) سورة ص: ٤١

(٢) الدر المنثور (٣١٥/٥)

(٣) تفسير الطبري (٦٥/١٧-٦٨) ومعالم التنزيل للبغوي (٣٣٧/٥).

(٤) سورة الأنبياء: ٨٣

الإسرائيليات كما قال صاحب أضواء البيان. [١]

ومنها ما ذكره جماعة من المفسرين: أن الله سلط الشيطان على ماله وأهله ابتلاء لأيوب فأهلك الشيطان ماله وولده ثم سلطه على بدنه ابتلاء له فنفخ في جسده نفخة اشتعل منها فصار في جسده ثآليل [٢]. فحكها بأظافره حتى دميت ثم بالفخار حتى تساقط لحمه، وعصم الله قلبه ولسانه وغالب ذلك من الإسرائيليات!!

وقال ابن كثير في تفسيره: "وقد روى عن وهب بن منبه في خبره – يعنى أيوب – قصة طويلة، ساقها ابن جرير وابن أبي حاتم بالسند، عنه وذكرها غير واحد من متأخري المفسرين وفيها غرابة، وتركناها لمحال الطول"[٣]. ثم ذكر ابن كثير في تفسيره وتاريخه رواية مرفوعة إلى النبي – صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ– رواها ابن جرير وابن أبي حاتم بسنديهما عن الزهري، عن أنس بن مالك: أن النبي –صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ– قال: «إن نبي الله أيوب لبث به بلاؤه ثماني عشرة سنة فرفضه القريب والبعيد: إلا رجلين من إخوانه كانا من أخص إخوانه له... الخ». ثم قال بعده: وهذا غريب رفعه جدًا والأشبه أن يكون موقوفًا[٤]، وهذا المرفوع أخرجه الحاكم في المستدرك إلا أنه ذكر مدة البلاء خمس عشرة سنة[٥]، وابن حبان في صحيحه [٦].

---

(١) أضواء البيان (٤/٦٨١)

(٢) الثآليل: جمع ثؤلول، وهو هذه الحبة التي تظهر في الجلد كالحِمَّصة فما دونها. انظر: النهاية، (مادة: ثأل)

(٣) تفسير ابن كثير (٣/١٨٩)

(٤) البداية والنهاية لابن كثير (١/٢٠٨)

(٥) المستدرك (٢/٥٨١)

(٦) صحيح ابن حبان (٢٠٩١/موارد)

ورواه أبو يعلى والبزار كما في الزوائد[1] ورجال البزار رجال الصحيح وزاد السيوطي نسبته في الدر[2] لابن أبي الدنيا كلهم عن أنس بن مالك وصححها الحافظ ابن حجر [3].

والأصَحِّية هنا نسبية فإن صحة السند لا تعنى صحة المتن وأن أصله من الإسرائيليات.

قال الدكتور/ محمد أبو شهبه -رَحِمَهُ ٱللَّهُ- في كتابه "الإسرائيليات والموضوعات"[4] بعد أن ساق عدة روايات في ابتلاء أيوب -عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ- والمحققون من العلماء على أن نسبة هذا إلى المعصوم -صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- إما من عمل بعض الوضاعين الذين يركبون الأسانيد للمتون أو من غلط بعض الرواة، وأن ذلك من إسرائيليات بنى إسرائيل وافترائهم على الأنبياء وكل ما روى موقوفًا أو مرفوعًا لا يخرج عما ذكره وهب بن منبه في قصة أيوب، وما رواه ابن اسحاق أيضًا، فهو مما أخذه عن وهب وغيره.

وهذا يدل أعظم الدلالة على أن معظم ما روى في قصة أيوب مما أخذ عن أهل الكتاب الذين أسلموا وجاء القصاصون المولعون بالغرائب فزادوا في قصة أيوب وأذاعوها، حتى اتخذ منها الشحاذون والمتسولون وسيلة لاسترقاق قلوب الناس واستدرار العطف عليهم وقد دل كتاب الله الصادق، على لسان نبيه محمد الصادق على أن الله تبارك وتعالى ابتلى نبيه أيوب -عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ- في جسده، وأهله، وماله، وأنه صبر حتى صار مضرب الأمثال

---

(١) مجمع الزوائد (٢٠٨/٨)

(٢) الدر المنثور (٦٥٩/٥)

(٣) انظر فتح الباري (٤٨٥/٦).

(٤) الإسرائيليات والموضوعات لأبي شهبة (ص ٣٩١/٣٩٢)

في ذلك فالبلاء مما لا يجوز أن يشك فيه أبدًا.

والواجب على المسلم: أن يقف عند كتاب الله ولا يتزيد في القصة كما تزيد زنادقة أهل الكتاب، وألصقوا بالأنبياء ما لا يليق بهم.

والذي يجب أن نعتقده: أن نبي الله أيوب -عَلَيْهِ السَّلَامُ- ابتلى بلاء لم يصل إلى حد هذه الأكاذيب من أنه أصيب بالجذام، وأن جسده أصبح قرحة، وأنه ألقى على كناسة بنى إسرائيل يرعى في جسده الدود، وتعبث به دواب بني إسرائيل!! وأيوب -عَلَيْهِ السَّلَامُ- أكرم على الله من أن يلقى على مذبلة، وأن يصاب بمرض ينفر الناس من دعوته، ويقذذهم منه، أي فائدة تحصل من الرسالة وهو على هذه الحال المزرية التي لا يرضاها الله لأنبيائه ورسله، والأنبياء إنما يبعثون من خيار قومهم.

الإسرائيليات في قصة أصحاب الكهف:

من قصص الماضين التي أكثر فيها المفسرون من سرد الإسرائيليات، قصة أصحاب الكهف فقد بالغ بعض المفسرين في نقل الكثير من أخبارهم التي لا يدل عليها كتاب الله تعالى، ولا يتوقف فهم القرآن وتدبره عليها. فنرى ابن جرير الطبري يروى في تفسيره [١]، عن ابن اسحاق صاحب السيرة في قصتهم نحو ثلاث ورقات، وعن وهب بن منبه، ومجاهد وابن عباس أخبارًا كثيرة أخرى، وكذلك ذكر الإمام السيوطي في تفسيره الدر المنثور[٢] الكثير مما ذكره المفسرون عن أصحاب الكهف فيما يتعلق بخروج الفتية وأسمائهم واسم كلبهم.. الخ، وهي متلقاه عن أهل الكتاب

---

(١) انظر تفسير الطبري (١٥/٢٠٠-٢٠٥)، الخازن (٤/١٦٠-١٦٥)، القرطبي (١٠/٣٥٨-٣٦٠).

(٢) تفسير الطبري (٤/٢١١-٢١٨)

الذين أسلموا، وحمله عنهم بعض الصحابة والتابعين وحكوه عنهم لغرابته والعجب منه، ونضع هنا كلمات لبعض العلماء المحققين والمفسرين حيال هذه الروايات.

قال الحافظ ابن كثير في تفسيره: "... ولم يخبرنا الله تعالى بمكان هذا الكهف ولا في أي البلاد من الأرض إذ لا فائدة لنا فيه، ولا قصد شرعي، وقد تكلف بعض المفسرين فذكروا فيه أقوالًا... والله أعلم بأي بلاد الله هو، ولو كان فيه مصلحة دينية لأرشدنا الله تعالى ورسوله إليه.. فأعلمنا تعالى بصفته ولم يعلمنا بمكانه..

وبعد أن عرض لبعض الأقوال عن كلب أصحاب الكهف ولونه قال: "واختلفوا في لونه على أقوال لا حاصل لها، ولا طائل تحتها، ولا دليل عليها ولا حاجة إليها، بل هي مما ينهى عنه، فإن مستندها رجمًا بالغيب". وقال في أسماء الفتية: "... وفى تسميتهم بهذه الأسماء واسم كلبهم نظر في صحته، والله أعلم فإن غالب ذلك ملتقى من أهل الكتاب، وقد قال الله تعالى: ﴿فَلَا تُمَارِ فِيهِمْ إِلَّا مِرَآءً ظَٰهِرًا﴾[(١)] أي سهلًا هينًا، فإن الأمر في معرفة معرفة ذلك لا يترتب عليه كبير فائدة". "[(٢)]

وقال الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ: "... وقد ذكر من القصاص والمفسرين لهذا الكلب نبأ وخبرًا طويلًا، أكثره ملتقى من الإسرائيليات وكثير منه كذب، ومما لا فائدة فيه، كاختلافهم في اسمه ولونه". أهـ[(٣)]

وقال الشيخ الشنقيطي -رَحِمَهُ ٱللَّهُ- (١٣٢٥ - ١٣٩٣): "وأعلم أن

(١) سورة الكهف: ٢٢.

(٢) تفسير ابن كثير (٣/٧٦-٧٩)

(٣) البداية والنهاية (٢/٥٦٦ ت التركي).

قصة أصحاب الكهف وأسماءهم، وفى أي محل من الأرض كانوا، كل ذلك لم يثبت فيه عن النبي -صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ- شيء زائد على ما في القرآن، وللمفسرين في ذلك أخبار كثيرة إسرائيلية أعرضنا عن ذكرها لعدم الثقة بها.(١)

وقد علق الإمام محمد صديق خان القِنَّوجي (ت ١٣٠٧هـ) على ما أورده المفسرون في صفة كلب أهل الكهف بقوله: "ولا أدري أي تعلق لهذا التدقيق والتحقيق بتفسير الكتاب العزيز وما الذي حملهم على هذا الفضول الذي لا مستند له في السمع ولا في العقل"(٢)

يقول الإمام الأكبر الشيخ محمود شلتوت -رَحِمَهُٱللَّهُ- (ت ١٣٨٣هـ): "لقد تتبع بعض المفسرين غرائب الأخبار التي ليس لها سند صحيح، وأغدقوا من شرها على الناس وعلى القرآن!، وكان جديرا بهم، أن يقيموا بينها وبين الناس سدا يقيهم البلبلة الفكرية، فيما يتصل بالغيب الذي استأثر الله بعلمه، ولم ير فائدة لعباده في أن يطلعهم على شيء منه".(٣)

وقال الشيخ الدكتور محمد أبو زهرة (ت ١٣٩٤هـ): "تصدى القرآن الكريم لبيان أهل الكهف بما لم يتصد به كتاب مقدس، ولا نريد أن نخوض في أمر لم يخض فيه القرآن فلا نريد أن نرجم بالغيب، ولا أن نسير وراء الظنون، والقرآن ليس كتاب تاريخ؛ ولكنه كتاب عظة واعتبار، وكل ما فيه صدق لَا مجال للريب فيه"(٤)

---

(١) أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن (٢٧/٤ ط عطاءات العلم).

(٢) فتح البيان في مقاصد القرآن (٢٥/٨)

(٣) الفتاوي (ص: ٥٧).

(٤) زهرة التفاسير (٤٤٩١/٩).

قال الشيخ محمد متولي الشعراوي -رَحِمَهُ ٱللَّهُ- (ت ١٤١٨هـ) تعليقًا على ما أورده المفسرون في تفاصيل أصحاب الكهف وعددهم والخلاف في فرعيات القصة وتفاصيلها: "فلم يُبيِّن لنا الحق سبحانه عددهم الحقيقي، وأمرنا أن نترك هذا لعلمه سبحانه، ولا نبحث في أمر لا طائل منه، ولا فائدة من ورائه، فالمهم أنْ يثبت أَصْل القصة وهو: الفتية الأشدّاء في دينهم والذين فَرُّوا به وضَحَّوْا في سبيله حتى لا يفتنهم أهل الكفر والطغيان، وقد لجأوا إلى الكهف ففعل الله بهم ما فعل، وجعلهم آيةً وعبرةً ومثَلًا وقدْوة. أما فرعيات القصة فهي أمور ثانوية لا تُقدّم ولا تُؤخّر؛ لذلك قال تعالى بعدها: ﴿فَلَا تُمَارِ فِيهِمْ إِلَّا مِرَآءً ظَٰهِرًا﴾[1] أي: لا تجادل في أمرهم.

ثم يأتي فضول الناس ليسألوا عن زمن القصة ومكانها، وعن أشخاصها وعددهم وأسمائهم، حتى كلبهم تكلموا في اسمه. وهذه كلُّها أمور ثانوية لا تنفع في القصة ولا تضرُّ، ويجب هنا أن نعلم أن القَصَص القرآني حين يبهم أبطاله يبهمهم لحكمة، فلو تأملتَ إبهام الأشخاص في قصة أهل الكهف لوجدته عَيْن البيان لأصل القصة؛ لأن القرآن لو أخبرنا مثلًا عن مكان هؤلاء الفتية لقال البعض: إن هذا الحدث من الفتية خاص بهذا المكان؛ لأنه كان فيه قدر من حرية الرأي.

ولو حدد زمانهم لَقال البعض: لقد حدث ما حدث منهم؛ لأن زمانهم كان من الممكن أن يتأتّى فيه مثل هذا العمل، ولو حدد الأشخاص وعيَّنهم لقالوا: هؤلاء أشخاص لا يتكررون مرة أخرى.

لذلك أبهمهم الله لتتحقّق الفائدة المرجوّة من القصة، أبهمهم زمانًا، أبهمهم

---

(١) سورة الكهف: ٢٢

مكانًا، وأبهمهم عددًا، وأبهمهم أشخاصًا ليشيع خبرهم بهذا الوصف في الدنيا كلها لا يرتبط بزمان ولا مكان ولا أشخاص، فحمل راية الحق، والقيام به أمر واجب وشائع في الزمان والمكان والأشخاص، وهذا هو عَيْن البيان للقصة، وهذا هو المغزى من هذه القصة"(١)

مثال آخر من الإسرائيليات:

ومن الإسرائيليات أيضًا ما أخرجه ابن جرير في تفسيره (٢) من طريق أمية بن شبل، عن الحكم بن أبان، عن عكرمة، عن أبي هريرة قال: سمعت رسول -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- يحكي عن موسى -عَلَيْهِ السَّلَامُ- على المنبر، قال: «وقع في نفس موسى: هل ينام الله؟ فأرسل الله إليه ملكًا فأرقه ثلاثًا، ثم أعطاه قارورتين، في كل يد قارورة، وأمره أن يحتفظ بهما، قال: فجعل ينام تكاد يداه تلتقيان فيستيقظ، فيحبس أحداهما عن الأخرى، حتى نام نومة فاصطفقت يداه، فانكسرت القارورتان. قال: ضرب الله مثلًا -عَزَّ وَجَلَّ-: أن الله لو كان ينام لم تستمسك السماء والأرض».

وقد نقل ابن كثير الرواية في تفسيره وقال: "هذا حديث غريب جدًا، والأغرب أنه إسرائيلي لا مرفوع، والله أعلم. أهـ(٣)، وقال أيضًا عن رواية أخرى بنحوها أخرجها ابن جرير: " وهو من أخبار بنى إسرائيل، وهو مما يعلم أن موسى -عَلَيْهِ السَّلَامُ- لا يخفى عليه مثل هذا من أمر الله -عَزَّ وَجَلَّ-، وأنه منزه عنه(٤). وقال ابن كثير في "البداية والنهاية": "هذا حديث غريب

---

(١) تفسير الشعراوي (١٤/٨٨٦٦-٨٨٦٧).

(٢) تفسير الطبري (٥/٣٩٤)

(٣) تفسير ابن كثير (١/٤٥٦)

(٤) المصدر السابق (١/٤٥٦)

رَفْعُه، والأشبه أن يكون موقوفًا، وأن يكون أصله إسرائيليًا".[1]

والخبر رواه أبو يعلى وقال الهيثمي: "فيه أُميَّةُ بنُ شِبلٍ ذكره الذهبي في "الميزان" ولم يذكر أن أحدًا ضَعَّفه، إنما ذكر له هذا الحديث وضعفه به، قلتُ: ذكره ابن حبان في الثقات"[2]

وقال ابن حجر -رَحِمَهُ ٱللَّهُ-: «أمية" بن شبل يماني له حديث منكر رواه عن الحكم بن أبان عن عكرمة عن أبي هريرة مرفوعا قال وقع في نفس موسى -عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ-: "هل ينام الله؟..." الحديث.

رواه عنه هشام بن يوسف وخالفه معمر عن الحكم عن عكرمة قوله وهو أقرب ولا يسوغ أن يكون هذا وقع في نفس موسى -عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ- وإنما روي أن بني إسرائيل سألوا موسى -عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ- عن ذلك. انتهى.[3]

ورواه الخطيب في تاريخ بغداد وقال: "وهكذا رواه أمية بن شبل عن الحكم بن أبان موصولًا مرفوعًا وخالفه معمر بن راشد فرواه عن الحكم عن عكرمة قوله: لم يذكر فيه النبي -صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- ولا أبا هريرة ".أهـ[4]

قال ابن الجوزي: "ولا يثبت هذا الحديث عن رسول الله -صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- وغلط مَنْ رَفَعَه، والظاهر أن عكرمة رأى هذا في كتب اليهود، فرواه، فما يزال عكرمة يذكر عنهم أشياء، لا يجوز أن يخفى هذا على نبي الله -صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-، يعني موسى".[5]

---

(١) البداية والنهاية ط السعادة (٢٩٣/١).

(٢) مجمع الزوائد (١٩/٢).

(٣) لسان الميزان (٤٦٧/١) رقم ١٤٤٠.

(٤) تاريخ بغداد. ت: بشار (٨٥/٢).

(٥) العلل المتناهية في الأحاديث الواهية (٢٧/١- ٢٨).

والحديث: ساقه القرطبي في "تفسيره"، ثم قال: "وَلَا يَصِحُ هَذَا الْحَدِيثُ، ضَعَّفَهُ غَيْرُ وَاحِدٍ مِنْهُمُ الْبَيْهَقِيُّ" [١]

(١) تفسير القرطبي = الجامع لأحكام القرآن (٣/٢٧٣).

أسئلة تدريبية

س١ اشتهر جماعة من بعد التابعين برواية الإسرائيليات والمطلوب ذكر نموذجين منهم مع الترجمة لهما ترجمة مفصلة.

س٢ يُعد كلاً من: محمد بن السائب الكلبي- مقاتل بن سليمان البلخي المفسر - محمد بن مروان السدي "الصغير" -عبد الرحمن بن زيد بن أسلم- أبو عصمة نوح ابن أبى مريم ممن اشتهر برواية الإسرائيليات اختر واحد من هؤلاء وترجم له ترجمة مفصلة.

س٣ تناول بالعرض والتحليل ما ورد في قصة سفينة نبي الله نوح - عَلَيْهِ السَّلَامُ - من الإسرائيليات والموضوعات.

س٤ تناول بالعرض والتحليل ما ورد في قصة سيدنا إبراهيم - عَلَيْهِ السَّلَامُ- من الإسرائيليات والموضوعات.

س٤ تناول بالعرض والتحليل ما ورد في قصة نبي الله يوسف -عَلَيْهِ السَّلَامُ- من الإسرائيليات والموضوعات.

س٥ تناول بالعرض والتحليل ما ورد في قصة نبي الله داود -عَلَيْهِ السَّلَامُ - من الإسرائيليات والموضوعات.

س٦ تناول بالعرض والتحليل ما ورد في قصة نبي الله أيوب -عَلَيْهِ السَّلَامُ- من الإسرائيليات والموضوعات.

س٧ تناول بالعرض والتحليل ما ورد في قصة أصحاب الكهف من الإسرائيليات والموضوعات.

القسم الثاني

الأحاديث الموضوعة في التفسير(١)

القسم الثاني من أقسام دخيل النقل أو الدخيل بالمأثور في كتب التفسير هو الحديث الموضوع.

والحديث الموضوع(٢) في اصطلاح علماء الإسلام: هو المختلق المصنوع الذي ينسب – كذبًا – إلى الرسول –صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ–، أو إلى أحد من الصحابة والتابعين، وهو شر أنواع الأحاديث الضعيفة وأقبحها، وإذا ما أطلق الحديث الموضوع فانه ينصرف إلى الموضوع على الرسول –صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ–، أما الموضوع على غيره –صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ– فينبغي تقييده بأن يقال: هذا حديث موضوع على ابن عباس أو علي مجاهد مثلا

والوضع في الحديث من أكبر الكبائر، وأعظم الذنوب، بل عده بعض العلماء كفرًا، فقد جزم الشيخ أَبُو مُحَمَّد الْجُوَيْنِيّ(٣) والد إمام الحرمين بتكفير

---

(١) تم تسطير هذا الفصل من كتاب الدخيل في تفسير القرآن الكريم، تأليف أ.د /عبد الوهاب عبد الوهاب فايد الأستاذ المساعد بكلية أصول الدين جامعة الأزهر الجزء الثاني طبعة ١٤٠١هـ/١٩٨٠م. من (ص ٥) الي (ص ٦١) مع بعض التعليق والتحقيق.

(٢) "الحديث الموضوع": هو المختلق المصنوع المنسوب إلى رسول الله –صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ– زورًا وبهتانًا، وهو أشد خطرًا على الدين، وأنكى ضررًا بالمسلمين، من تعصب أهل المشرقين والمغربين؛ لأنه يطرف الملة الحنيفية عن صراطها المستقيم، ويقذف بها في غياهب الضلالات حتى ينكر الرجل أخاه والولد أباه وتطير الأمة شعاعًا وتتفرق بدادًا بدادًا لالتباس الفضيلة وأفول شمس الهداية وانشعاب الأهواء وتباين الآراء» «قواعد التحديث من فنون مصطلح الحديث» للقاسمي (ص١٥٢).

(٣) هو الإمام أبو محمد: عبد الله، بن يوسف، بن محمد، بن حيويه الجويني والد إمام الحرمين، ركن الإسلام، الفقيه، الأصولي، المفسر الأديب، العالم، الزاهد. مولده: ٣٨٠هـ-٣٩٠هـ تقريبا، بلا تحديد. نسبه: يرجع إلى قبيلة من العرب يقال لها: "سنبس" وهي بطن من طيء، الجويني: وهذه نسبة إلى جوين، وهي ناحية كبيرة من نواحي نيسابور. مصادر ترجمته: سير =

واضع الحديث [1]، ووافق الجويني على هذه المقالة جماعة من العلماء، وفى ذلك يقول أحد أساتذتنا الأجلاء: (جمهور العلماء أن الكذب على رسول الله من الكبائر، ولا يكفر فاعل ذلك إلا إذا كان مستحلا للكذب عليه، وقال الإمام أَبُو مُحَمَّد الْجُوَيْنِيّ- والد إمام الحرمين-رَحِمَهُ ٱللَّهُ- من أئمة الشافعية: "يكفر من تعمد الكذب على رسول الله"، نقل ذلك عنه ابنه إمام الحرمين[2]، وقال: "إنه لم يره لأحد من الأصحاب وأنه هفوة من والده" ووافق الجويني على هذه المقالة ناصر الدين بن المنير من أئمة المالكية، وغيره من الحنابلة، ووافقهم الإمام الذهبي في تعمد الكذب في الحلال والحرام، و لعل مما يشهد لهم قوله تعالى: ﴿ إِنَّمَا يَفْتَرِى ٱلْكَذِبَ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِـَٔايَـٰتِ ٱللَّهِ...﴾[3] فقد نفت الآية الإيمان عمن يفترى الكذب على الله، والكذب على الرسول كذب علي الله - أقول- لعل مراد هؤلاء من تعمد ذلك، أو أنهم قالوه على سبيل المبالغة في الزجر والتنفير منه"[4]

ومن علمائنا المعاصرين الذين صوبوا ما ذهب إليه الإمام أبو محمد الجويني من تكفير واضع الحديث الشيخ أحمد محمد شاكر[5] حيث يقول -

---

أعلم النبلاء (٦٢٧/١٧)، طبقات السبكي (٧٣/٥)، وفيات الأعيان لابن خلكان (٤٧/٣).

(١) تدريب الراوي ج ١ ص ٢٨٤.

(٢) هو إمام الحرمين عبد الملك بن عبد الله بن يوسف الجويني، ولد بنيسابور سنة ٤١٩هـ، وتوفي بها سنة ٤٧٨ هـ، من أعظم أئمة الأشاعرة، تتلمذ عليه الغزالي. انظر ترجمته في: تبيين كذب المفترى (ص: ٢٧٨)، طبقات الشافعية (٢٤٩/٤ - ٢٨٢).

(٣) سورة النحل: ١٠٥

(٤) في أصول الحديث: الأستاذ الدكتور محمد أبو شهبه ص ٦٩

(٥) أحمد بن محمد شاكر بن أحمد بن عبد القادر، أزهري محدث مفسر قاض، ولد سنة ١٣٠٩ هـ بالقاهرة، من أكبر محققي التراث، حقق "مسند الإمام أحمد" و"سنن الترمذي"

رَحِمَهُ اللَّهُ -: "وقد جزم الشيخ أبو محمد الجويني - والد إمام الحرمين. بتكفير من وضع حديثًا على رسول الله -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- قاصدًا إلى ذلك عالمًا بافترائه. وهو الحق". (1)

والحديث الموضوع لا تجوز روايته إلا مقرونًا ببيان وضعه، فاذا ما علم الشخص بأن هذا الحديث موضوع فانه يحرم عليه روايته في كتاب أو ذكره في حديث إلا إذا قرنه ببيان أنه موضوع، لأن البيان - في هذه الحالة - يزيل من ذهن القاري أو السامع شبهة الاعتقاد في صحة نسبته إلى الرسول -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-.

وقد شنع الإمام ابن الجوزي(2) على جهلة المحدثين الذين يتساهلون في رواية الأحاديث الموضوعة دون أن ينهوا على وضعها، فقال: "ومن تلبيس إبليس عَلَى علماء المحدثين رواية الحديث الموضوع من غير أن يبينوا أنه موضوع وهذه جناية منهم عَلَى الشرع ومقصودهم ترويج أحاديثهم وكثرة

=

و"تفسير الطبري" ولم يتم شيئًا منها، وحقق "الرسالة" للشافعي واختصر "تفسير ابن كثير" ولم يتمه، قال الزركلي: ولم يخلف مثله في علم الحديث بمصر. ينظر: الأعلام (253/1)، معجم المؤلفين (368/13)

(1) الباعث الحثيث شرح اختصار علوم الحديث. ط ابن الجوزي (ص191)

(2) هو جمال الدين أبو الفرج بن الجوزي عبد الرحمن بن علي بن محمد القرشي التيمي البكري البغدادي، ينتهي نسبه إلى القاسم بن محمد بن أبي بكر الصديق - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ -، وذكر هو أنه منسوب إلى محلة الجوز بالبصرة، من كبار علماء الحنابلة، صاحب التصانيف الكثيرة الشهيرة في جميع الفنون، من التفسير والحديث والفقه والزهد والوعظ والأخبار والتاريخ والطب وغير ذلك، نعته الذهبي بقوله: الشيخ الإمام العلامة الحافظ المفسر شيخ الإسلام مفخر العراق. وفيات الأعيان (140/3)، مرآة الجنان (481/8)، مجموع الفتاوى (400/5)، سير أعلام النبلاء (365/21)

رواياتهم" [1].

والأصل في تحريم هذا كله هو أن الكذب – بصفة عامة – محرم في كتاب الله تعالى وسنة رسوله، ورد ذلك في كثير من الآيات القرآنية والأحاديث النبوية. وأما الكذب على رسول الله بوجه خاص فهو أشد جرمًا، وأعظم إثمًا، لأن الكذب على الرسول بمثابة الكذب على الله تعالى، وأن الذين يفترون على الله الكذب لا يفلحون، قال: «من كذب على متعمدًا فليتبوأ مقعده من النار»[2]، وقال –صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ–: «من حدث عنى بحديث يرى أنه كذب فهو أحد الكاذبين»[3].

متي بدأ الوضع؟

اتسعت الفتوحات الإسلامية في عصر الخلفاء الراشدين، وانتصر الإسلام انتصارًا ساحقا على أعدائه من الفرس والروم، ونتج عن ذلك أن انتشر الإسلام في كل مكان، ودخل الناس في دين الله أفواجًا، إلا أن بعض أولئك الذين دخلوا في الإسلام لم يعتنقوا الإسلام عن عقيدة واقتناع، بل اعتنقوه على دخل ونفاق، وذلك لكي يطعنوا الإسلام من الداخل بعد أن عجزوا عن أن يطعنوه أو يوجهوا إليه الضربات من الخارج، ومن هنا أخذوا يدسون الأباطيل والترهات في تعاليمه. ويزرعون الشكوك والشبهات في

---

(١) تلبيس إبليس (ص١٠٦)

(٢) أخرجه مسلم في مقدمة كتابه (باب) تغليظ الكذب على رسول الله) عن أبى هريرة، وهو حديث متواتر.

(٣) أخرجه مسلم في مقدمة كتابه عن سمرة بن جندب والمغيرة بن شعبة وقوله: (يرى فيه روايتان: بضم الياء وبفتحها، فأما من ضم الياء فمعناه: يظن، وأما من فتحها فمعناه: يعلم. وقوله (الكاذبين) فيه روايتان أيضاً بكسر الباء وبفتحها، أي بلفظ الجمع وبلفظ المثنى.

نفوس أتباعه، وكان من الوسائل التي لجأوا إليها في هذا المضمار هو وضع الأحاديث المكذوبة على رسول الله، وترويج هذه الأحاديث الموضوعة بين الناس، ولم يقف وضعهم للأحاديث عند حد معين، بل كانوا يضعون الأحاديث في مجالات الدين المختلفة، ومن جملتها تفسير القرآن الكريم. ولا ينبغي أن يغيب هنا عن الذاكرة - في هذا الصدد- ما فعله عبد الله بن سبأ اليهودي من تأليب الناس على الخليفة الراشد: عثمان بن عفان -رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ- متسترًا بالدخول في الإسلام، والتشيع لعلي بن أبي طالب كرم الله وجهه، وقد نجح هذا اليهودي في أمرين خطيرين، كان لهما أسوأ الأثر في حياة المسلمين السياسية والفكرية على السواء.

الأمر الأول: أنه أشعل بين المسلمين نار الفتنة، حيث قام أتباعه بقتل الخليفة عثمان بن عفان -رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ-، فانقسم المسلمون -تبعًا لذلك- إلى شيع وأحزاب، من عثمان يطالبون بدم الخليفة القتيل، وشيعة يؤيدون الخليفة الجديد، وخوارج يتمردون - بعد ذلك - على ولاة الأمر، وهكذا تفرقت كلمة المسلمين، وتحطمت وحدتهم منذ ذلك الحين.

والأمر الثاني: أن هذا اليهودي وأتباعه الذين أظهروا التشيع لعلى كرم الله وجهه، قاموا - في سبيل الانتصار لعقائدهم الضالة - بدس الأباطيل في الدين، ووضع الأحاديث في فضائل على كرم الله وجهه وغيرها، وفى ضوء هذه الأحاديث التي وضعوها أرادوا أن يفسروا بعض آيات القرآن الكريم، فأخذوا يحرفون الكلم عن مواضعه، ويتعسفون في التأويل ويلحدون في آيات التنزيل، وبذلك أفسدوا على المسلمين الحياة الفكرية إلى جانب الحياة ما أفسدوه من حياة المسلمين السياسية.

إذن نستطيع أن نقول: إن الوضع في الحديث واكب الفتنة، وقد بدأ

الوضع - كما يقول كثير من العلماء - سنة اربعين أو إحدى وأربعين من الهجرة[١]، أي في أواخر عصر الخلفاء الراشدين وأوائل عصر بني أمية.

ومما يجدر التنبيه إليه هنا أن الوضع في الحديث لم يقع قط من صحابة الرسول -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- في حياته ولا بعد وفاته، وإنما وقع من غيرهم ويرى الأستاذ أحمد أمين: أن شاكلته كعبد الله بن سبأ اليهودي ومن على الوضع في الحديث بدأ في عهد الرسول -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-، واستدل على ذلك بحديث: «من كذب على متعمدًا فليتبوأ مقعده من النار»، وفي ذلك يقول: نشأ من عدم تدوين الحديث في كتاب خاص في العصور الأولى واكتفائهم بالاعتماد على الذاكرة، وصعوبة حصر ما قال رسول الله -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- أو فعل في مدة ثلاثة وعشرين عاما من بدأ الوحى إلى الوفاة، أن استباح قوم لأنفسهم وضع الحديث و نسبته كذبًا إلى رسول الله، ويظهر أن هذا الوضع حدث حتى في عهد الرسول، فحديث: «من كذب على متعمدًا فليتبوأ مقعده من النار ويغلب على الظن أنه إنما قيل لحادثة حدثت زور فيها على الرسول»[٢].

كما يذهب أستاذنا الدكتور محمد أبو زهرة[٣] إلى قريب من هذا الرأي وإن

---

(١) انظر السنة ومكانتها في التشريع الإسلامي للدكتور مصطفى السباعي (ص ٧٦)، وفى أصول الحديث للدكتور محمد أبو شهبة ص ٧٢، والتفسير والمفسرون (١٥٨/١).

(٢) فجر الإسلام (٢٥٨/١)

(٣) محمد بن أحمد أبو زهرة: يُعد أكبر علماء الشريعة الإسلامية في عصره. مولده بمدينة المحلة الكبرى وتربى بالجامع الأحمدي وتعلم بمدرسة القضاء الشرعي وتولى تدريس العلوم الشرعية والعربية ثلاث سنوات، وعلم في المدارس الثانوية سنتين ونصفا. وبدأ اتجاهه إلى البحث العلمي في كلية أصول الدين (١٩٣٣) وعين أستاذا محاضرا للدراسات العليا في الجامعة (١٩٣٥) وعضوًا للمجلس الأعلى للبحوث العلمية. وأصدر من تأليفه أكثر من ٤٠ =

كان يرى أن الوضع في الحديث لم ينتشر بكثرة، ولم يظهر بصورة مزعجة إلا سنة ٤١هـ فيقول: "ولما أن ولى عثمان -رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ-، ووقعت الفتنة في زمنه، وجد الكذب على رسول الله -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- من اتباع عبد الله بن سبأ اليهودي الذى أوقد نيران الفتنة، وألب الناس على خليفة المسلمين حتى قتلوه ظلمًا، ثم لما ولي علي -كرم الله وجهه الخلافة، وكان ما كان بينه وبين معاوية -رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ- في (صفين) افترق الناس إلى شيعة وخوارج وجمهور كما رأيت، وهنا ظهر الكذب على رسول الله -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-، واشتد أمره من الشيعة والخوارج ودعاة بني أمية، لذلك يعتبر العلماء مبدأ ظهور الوضع في الحديث من هذا الوقت (سنة ٤١ه)، وهذا التحديد إنما هو لظهور الوضع في الحديث وإلا فقد وجد الكذب على رسول الله -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- قبل ذلك، حتى في زمنه -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-، ومن أجل ذلك يقول -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-: «من كذب علي متعمدًا فليتبوأ مقعده من النار»، فما قال النبي -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- ذلك إلا لحادثة وقعت في عصره، كذب عليه فيها[1].

بيد أني أرى أن هذا القول الذى يرجع بداية الوضع إلى عهد النبوة، أو يوهم صدور الكذب من الصحابة عار من الصحة، وبعيد كل البعد عن دائرة الصواب، ذلك لأن الصحابة -رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ-، جميعًا عدول، وقد أثنى عليهم الرسول -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- وزكاهم، فليس من المعقول إذن أن يكذبوا على رسول الله إلا اتباعًا لهوى أو رغبة في دنيا، أخرج البيهقي عن البراء قال: «ليس كلنا كان يسمع حديث النبي، كانت لنا ضيعة و أشغال، ولكن

=

كتابًا، وكانت وفاته بالقاهرة. الأعلام (٦/٢٦)

(١) الحديث والمحدثون (ص ٤٨٠)

كان الناس لم يكونوا يكذبون، فيحدث الشاهد الغائب» كما أخرج عن قتادة: أَنَّ أَنَسًا حَدَّثَ بِحَدِيثٍ فَقَالَ لَهُ رَجُلٌ: أَسَمِعْتَ هَذَا مِنْ رَسُولِ اللهِ - صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ -؟»، قَالَ: «نَعَمْ، أَوْ حَدَّثَنِي مَنْ لَمْ يَكْذِبْ، وَاللهِ مَا كُنَّا نَكْذِبُ وَلَا كُنَّا نَدْرِي مَا الكَذِبُ»[1].

ويرحم الله الدكتور مصطفى السباعي[2]، فقد قام برد علمي مفصل على ما قاله الأستاذ أحمد أمين[3] في هذا الصدد، قال الدكتور مصطفى السباعي: قال صاحب (فجر الإسلام) ص ٢٥٨، متكلمًا عن نشأة الوضع: ويظهر أن هذا الوضع حدث في عهد الرسول -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-،

---

(١) السنة ومكانتها في التشريع الإسلامي (ص ٧٨)، نقلا عن كتاب: (مفتاح الجنة). أخرجه الحاكم في "المستدرك" (١/١٢٧)، وقال: صحيح على شرط الشيخين، ووافقه الذهبيّ. تفسير الطبري (١٠/٥٧٨) ورواه البزار في مسنده برقم (٢٩٢٢) "كشف الأستار" من طريق عَبَّادُ بْنُ رَاشِدٍ، عَنْ قَتَادَةَ، عَنْ أَنَسٍ بنحوه

(٢) هو: مصطفى بن حسني السباعي، ولد في حمص سنة ١٣٣٣ هـ، وفيها نشأ وترعرع وتلقى تعليمه حتى ما قبل الجامعة، وأتم دراسته الجامعية في كلية الشريعة بالأزهر، ونال شهادة الدكتوراه في التشريع الإسلامي عام ١٣٦٨هـ، درس في كلية الحقوق، وأسندت إليه عمادة كلية الشريعة بجامعة دمشق، وقاد العديد من الحركات الإسلامية في سوريا. له: السنة ومكانتها في التشريع الإسلامي، اشتراكية الإسلام، المرأة بين الفقه والقانون، هكذا علمتني الحياة وغيرها، توفي سنة ١٩٦٤م.انظر: علماء ومفكرون عرفتهم للمجذوب (ص: ٣٥٧ - ٣٨٩).

(٣) أحمد أمين: هو: أحمد أمين ابن الشيخ إبراهيم الطباخ، تخرج بمدرسة القضاء الشرعي، وتولى القضاء ببعض المحاكم الشرعية، ثم عين مدرسًا بكلية الآداب بالجامعة المصرية فعميدًا لها. من مؤلفاته: " فجر الإسلام، وضحاه، وظهره" وقد تحدث في كتبه السابقة عن الحديث فمزج بالدسم، وخلط الحق بالباطل. مات سنة (١٣٧٣ هـ/١٩٥٤م). الأعلام للزركلي (١/١٠١)، معجم المؤلفين عمر رضا كحاله (١/١٦٨)، كتابات أعداء الإسلام ومناقشتها (ص٢٥٩).

«مَنْ كَذَبَ عَلَيَّ مُتَعَمِّدًا فَلْيَتَبَوَّأْ مَقْعَدَهُ مِنَ النَّارِ» يغلب على الظن أنه إنما قيل لحادثة زُوِّرَ فيها علي الرسول -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-، وهذا الذي استظهره لا سَنَدَ له في التاريخ الثابت، ولا في سبب الحديث المذكور، كما جاء في الكتب المعتمدة"(١)

أما التاريخ فقاطع بأنه لم يقع في حياة الرسول أن أحدًا ممن أسلم وصحبه زور عليه كلاما، ورواه على أنه حديثه -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-، ولو وقع مثل هذا لتوافر الصحابة عن نقله لشناعته وفظاعته، كيف وقد كان حرصهم شديدا على أن ينقلوا لنا كل ما يتصل بها، حتى مشيه وقعوده، ونومه ولباسه، وعدد الشعرات البيض في رأسه الشريف؟

وأما الحديث المذكور فقد اتفقت كتب السنة الصحيحة المعتمدة على أن الرسول إنما قاله حين أمرهم بتبليغ حديثه إلى من بعدهم، فقد أخرج البخاري في باب ما ذكر عن بني إسرائيل من طريق عبد الله بن عمرو - أن النبي قال: «بلغوا عني ولو آية، وحدثوا عن بني إسرائيل ولا حرج، ومن كذب علي متعمدا فليتبوأ مقعده من النار»، وروى مسلم من طريق أبى سعيد الخدري قال: قال رسول الله: «لا تكتبوا عنى، ومن كتب عنى غير القرآن فليمحه، وحدثوا عني ولا حرج، ومن كذب على متعمدًا فليتبوأ مقعده من النار»، وروى الترمذي عن ابن عباس عن النبي -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- قال: «اتقوا الحديث عنى إلا ما علمتم، فمن كذب على متعمدا فليتبوأ مقعده من النار» وروى الإمام أحمد عن أبي موسى الغافقي أنه قال: إن رسول الله كان آخر ما عهد إلينا أن قال: «عليكم بكتاب الله، وسترجعون إلى قوم يحبون الحديث عني، فمن قال على ما لم أقل فليتبوأ مقعده من النار، ومن حفظ شيئًا فليتحدث به»، ورواه غيرهم أيضًا بهذا المعنى.

---

(١) السنة ومكانتها للسباعي. ط المكتب الإسلامي (١/٢٣٨)

وظاهر من هذه الروايات أن النبي -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- وقد علم أن الإسلام سينتشر وسيدخل فيه أقوام من أجناس مختلفة - نبه بصورة قاطعة على وجوب التحري في الحديث عنه، وتجنب الكذب عليه بما لم يقله، ووجه الخطاب في ذلك إلى صحابته، لأنهم هم المبلغون إلى أمته من بعده، وهم شهداء نبوته ورسالته، وليس في هذه الروايات إشارة قط إلى أن هذا الحديث إنما قيل لوقوع تزوير على النبي" (١)

ثم تناول الدكتور مصطفى السباعي - بالتضعيف - روايتين غريبتين في هذا المجال وردتا في بعض كتب الحديث، وذكرتا سببا آخر للحديث غير ما تقدم، وبعد أن بين وجوه الضعف في هاتين الروايتين قال: "بهذا نعلم أنه سواء كان سبب الحديث ما ذكرته كتب السنة المعتمدة، أو ما جاء في هاتين الروايتين اللتين حكم عليهما بعض النقاد بعدم الصحة، فليس فيه ما يدل على حصول الوضع في عهد الرسول، فاستظهار ذلك خطأ قائم على غير أساس فلا يصح الذهاب إليه، لاسيما وأن من أول نتائجه نسبة الكذب إلى أصحاب الرسول عَلَيْهِ السَّلَامُ، وهو مناف للحق والواقع والمعروف من تاريخ هؤلاء الأصحاب، ومخالف لما ذهب إليه جمهور المسلمين من عد التهم على الإطلاق، لم يشذ في ذلك إلا الشيعة وطوائف الخوارج والمعتزلة، كما سبق - فان الأستاذ كان يريد بما استظهره الإشارة إلى هذا الرأي المنبوذ، والتمهيد لما سيذكره عن أبي هريرة، ونقد الصحابة بعضهم لبعض، ليضع بذلك (أول لغم) في بناء السنة، فقد أخطأ الطريق، وجانب الحق، وبني أمرًا خطيرًا على ظنون لا يؤيدها تاريخ صحيح ولا حديث ثابت". (٢)

---

(١) السنة ومكانتها في التشريع الإسلامي (ص: ١٧٨، ١٧٩)

(٢) المصدر السابق (ص: ١٨٠، ١٨١)

أسباب الوضع في التفسير

لا فرق بين أسباب الوضع في التفسير وأسباب الوضع في الحديث، فالأسباب واحدة، لأن التفسير - في عصر صدر الإسلام - كان يعتبر بابًا من أبواب الحديث، وقسما من أقسامه، فهؤلاء الذين كانوا يفسرون القرآن آنذاك - إنما كانوا يفسرونه بالمأثور، أي بما ورد عن الرسول - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - أو ما نقل عن الصحابة والتابعين.

ومن ثم فان الوضع في الحديث شمل - فيما شمل- مجال التفسير، ذلك لأن الوضاعين لم يضعوا الأحاديث في غرض واحد، بل كانوا يضعون الأحاديث في أغراض متعددة، وفنون شتي، وفنون شتي، كانوا يضعون الأحاديث في فضائل الأشخاص والأمكنة والأزمان، وفى الترغيب والترهيب، وفي الحلال والحرام وفي الزهد والتصوف، وفي الوعظ والقصص، وأيضًا كانوا يضعون الأحاديث في فضائل القرآن وفي التفسير بوجه عام.

والأسباب التي دعت الوضاعين إلى الوضع كثيرة، وقد أشرنا إلى بعضها فيما سبق، ويمكننا هنا أن نوجز هذه الأسباب فيما يلي:

أولاً: الزندقة:

ونعني بها كراهية الإسلام دينا ودولة - فقد ظهر في العصور الأولى للإسلام جماعة من الزنادقة كانوا يعتنقون الإسلام في الظاهر، ويبطنون الكفر في قلوبهم، وهؤلاء الزنادقة كانوا دائمًا حربا على الإسلام والمسلمين، فبين حين وآخر كانوا يكيدون للإسلام بدس الترهات والأباطيل، وترويجها بين الناس على أنها من تعاليم الدين، وكانوا يقصدون - من وراء ذلك - فتنة المؤمنين في دينهم، وإثارة البلبلة في نفوسهم، وتمزيق وحدة الأمة

الإسلامية، ولقد كانوا -في كثير من الأحيان- يضعون الأحاديث التي تتضمن بعض هذه الترهات والأباطيل، وينسبونها -كذبًا- إلى الرسول أو إلى أحد من الصحابة والتابعين، لكي تروج بين الناس على أنها من سنة الرسول، وبذلك يفسدون على الناس دينهم.

ومن هؤلاء الزنادقة عَبْدَ الْكَرِيمِ بْنَ أَبِي الْعَوْجَاءِ [1] الذي قتل وصلب في زمن المهدى، قال ابن عدى: لما أخذ ليضرب عنقه قال: "وضعت فيكم أربعة آلاف حديث، أحرم فيها الحلال وأحلل الحرام" [2].

ومنهم بيان بن سمعان النهدي[3] الذى ظهر بالعراق بعد المائة، وادعى – لعنه الله – إلاهية على كرم الله وجهه، وزعم مزاعم فاسدة، فقتله خالد ابن عبد الله القسري على ذلك وأحرقه بالنار [4]

---

(١) وقع في نسخة المؤلف رحمه الله العرجاء والصواب العوجاء كما يظهر من ترجمتنا له. هو عبد الكريم بن أبي العوجاء خال معن بن زائدة الزنديق الوضاع، عده أبو الفرج الأصبهاني من متكلمي البصرة، وقال: كان يفسد الأحداث، قتله محمد بن سليمان العباسي أمير البصرة بعد الستين ومائة. انظر: الميزان (٢٥٣)، لسان الميزان (٤/٥١ – ٥٢)، والأغاني (٣/٢٤ – ٢٥)

(٢) تدريب الراوي (١/٢٨٤)

(٣) هو بيان بن سمعان النهدي من بني تميم، ظهر بالعراق بعد المائة، وقال بإلهية علي، وأن فيه جزءًا إلهيًا متحدًا بناسوته، ثم من بعده في ابنه محمد بن الحنفية، ثم في أبي هاشم ولد ابن الحنفية، ثم من بعده في بيان هذا قال ابن نمير: قتله خالد بن عبد الله القسري وأحرقه بالنار. ميزان الاعتدال (١/٣٥٧). راجع: البداية والنهاية (٩/٣٥٠)، والوسائل في معرفة الأوائل للسيوطي (ص: ١٣١-١٣٢)

(٤) الباعث الحثيث (ص ٩٢)، الملل والنحل للشهرستاني (١/١٣٦).

ومنهم محمد بن سعيد الشامي المصلوب[١]، قال أحمد بن حنبل: "قتله أبو جعفر المنصور في الزندقة، حديثه حديث موضوع" [٢]. وحكى عنه الحاكم أنه روى عن حميد عن أنس مرفوعًا: «أنا خاتم النبيين لا نبي بعدى إلا أن يشاء الله» وقال: وضع هذا الاستثناء لما كان يدعو إليه من الإلحاد والزندقة والدعوة إلى التنبي[٣].

والخلاصة: أن الزنادقة وضعوا طائفة كبيرة من الأحاديث يفسدون بها الدين، فقد روى العقيلي بسنده إلى حماد بن زيد قال: (وضعت الزنادقة على رسول الله أربعة عشر ألف حديث)[٤]؛ ولكن الله -عَزَّوَجَلَّ- قيض للأمة الإسلامية من يحفظ لها دينها من إفساد هؤلاء الزنادقة وعبثهم، فقام جهابذة الحديث ونقاده ببيان هذه الأحاديث الموضوعة، وكشفوا للناس عن زيفها وبطلانها، قيل لعبد الله بن المبارك. هذه الأحاديث الموضوعة، فقال: تعيش لها الجهابذة ﴿إِنَّا نَحۡنُ نَزَّلۡنَا ٱلذِّكۡرَ وَإِنَّا لَهُۥ لَحَٰفِظُونَ﴾[٥].

---

(١) محمد بن سعيد المصلوب، قال أحمد: قتله أبو جعفر في الزندقة. حديثه حديث موضوع. الجرح والتعديل (٢٦٢/٧). وقال أيضًا: عمدًا كان يضع الحديث كما في رواية أبي داود عنه. ضعفاء العقيلي (٧/٤)، الكشف الحثيث (٦٦٨). وقال أيضًا: كان كذابًا. المجروحين (٢٤٧/٢). وقال النسائي: الكذابون المعروفون بوضع الحديث أربعة: وذكره منهم. الكشف الحثيث (٦٦٨)

(٢) الباعث الحثيث (ص: ٩٢)، خلاصة تذهيب الكمال للخزرجي (٤٠٧/٢)

(٣) تفسير القرطبي (٧٨/١) وتدريب الراوي (٢٨٤/١)

(٤) تدريب الراوي (٢٨٤/١)

(٥) المصدر السابق (٢٨٢/١) والآية هي رقم ٩ من سورة الحجر.

ثانيًا: الخلافات السياسية والدينية:

فقد انقسم المسلمون بعد مقتل عثمان -رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ- وخلافة علي-رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ- إلى فرق متعددة، كالشيعة[1] والخوارج[2] والمرجئة[3] والمعتزلة[4] وغير ذلك،

---

(١) الشيعة: هم الذين شايعوا عليا -رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ- على الخصوص وقالوا بإمامته وخلافته نصا ووصاية إما جليا وإما خفيا، واعتقدوا ان الامامة لا تخرج من أولاده وإن خرجت فبظلم يكون من غيره أو بتقية من عنده. انظر مقالات الإسلاميين (٦٥/١) وما بعدها، الملل والنحل (٦٨/٢)

(٢) الخوارج هي أول بدعة ظهرت في هذه الأمة؛ لأن زعيمهم خرج على النبي -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- وهو ذو الخويصرة من -بني تميم- حين قسم النبي -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- ذهيبة جاءت فقسمها بين الناس، فقال له هذ الرجل: يا محمد اعدل ... الحديث. فكان هذا أول خروج على الشريعة، ثم صارت بدعتهم في عهد الصحابة، وما زالوا يتوالون. والخوارج هم الذين خرجوا على الخليفة الرابع علي بن أبي طالب بعد قبوله -رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ- للتحكيم فيما اختلف فيه هو ومعاوية رضي الله عنه بعد معركة صفين ثم تشعبوا بعد ذلك إلى فرق متعددة منهم الحرورية والأزارقة والنجدات والصفرية والإباضية وغيرهم. وهم متفقون على أن العبد يصير كافرًا بالذنب، وهم يكفرون عثمان وعليًا وطلحة والزبير وعائشة، ويعظمون أبا بكر وعمر. انظر: مقالات الإسلاميين واختلاف المصلين (١٦٧/١) وما بعدها.

(٣) المرجئة: هي إحدى الفرق الكلامية التي تنتسب إلى الإسلام، ذات المفاهيم والآراء العقدية الخاطئة في مفهوم الإيمان التي لم يعد لها كيان واحد، حيث انتشرت مقالتهم في كثير من الفرق، فمنهم من يقول إن الإيمان قول باللسان وتصديق بالقلب فقط وهم مرجئة الفقهاء وهؤلاء أخرجوا العمل عن مسمى الإيمان، وبعضهم يقصره على قول اللسان وهم الكرامية، والبعض الآخر يكتفي في تعريفه بأنه التصديق وهم الماتريدية ومن وافقهم من الأشاعرة، وغالى بعضهم فقالوا إنه المعرفة وهو قول الجهم بن صفوان. انظر: الملل والنحل (١٦١/١)، والموسوعة الميسرة (١١٥٣/٢)

(٤) المعتزلة هي فرقة من الفرق الإسلامية، ويسمون بأصحاب العدل والتوحيد ويلقبون بالقدرية والعدلية وقد ظهرت هذه الفرقة في زمن الحسن البصري عندما حدث الخلاف بينه وبين واصل بن عطاء في قضية القدر والمنزلة بين المنزلتين، وقيل لهم معتزلة لاعتزالهم قول الأمة في دعواهم أن الفاسق من أمة الإسلام لا مؤمن ولا كافر. والمعتزلة هم أرباب الكلام وأصحاب الجدل، ويقولون إنهم سموا معتزلة لأن الحسن بن علي -رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا- عندما بايع

وكان لكل فرقة من هذه الفرق مذهب وآراء في السياسة والدين، كما كانت كل فرقة تحاول أن تتلمس سندًا شرعيًا لمذهبها وآرائها في كتاب الله تعالى وسنة رسوله، فاذا لم تجد دليلا صريحًا في القرآن لجأت إلى التعسف في تأويل النصوص، وتحميل ألفاظ القرآن ما لا تحتمل، وأيضًا إذا لم تجد ما يؤيدها من السنة سارعت إلى وضع الأحاديث انتصارًا لرأيها، وتشهيرًا بغيرها.

والرافضة[1] -وهم طائفة من غلاة الشيعة- أكثر هذه الفرق كذبا

معاوية بن أبي سفيان -رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا- سلم إليه الأمر، اعتزلوا الحسن ومعاوية -رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا- وجميع الناس، وذلك أنهم كانوا من أصحاب علي، ولزموا منازلهم ومساجدهم، وقالوا: نشتغل بالعلم والعبادة، فسموا بذلك معتزلة؟! وهذا غير صحيح وإنما قيل لتحسين صورتهم، اوالأول أشهر وأصوب. والمعتزلة عشرون فرقة وقيل ثماني عشرة فرقة وهم: الجبائية، والضرارية، والجاحظية، والهذيلية، والنظامية، والعطائية، والبهنسية، والقوطية، والقصبية، والهابطية، والرعينية، والميسوية، والبعجورية، والعبادية، والمعمرية، والإسكافية، والمقبورة، والغفارية، وهذه الفرقة الضالة هي التي ابتدعت القول بخلق القرآن، وقد اتفقت جميع طوائف المعتزلة على نفي رؤية الله -تعالى- بالأبصار في دار القرار، وعلى أن العبد قادر وخالق لأفعاله خيرها وشرها، وعلى أن المؤمن إذا مات من غير توبة عن كبيرة فعلها استحق الخلود في النار، وكم من مصائب وبلايا. وأصولهم خمسة: ١/ العدل، ٢/ التوحيد، ٣/ الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، ٤/ المنزلة بين المنزلتين، ٥/ الوعد والوعيد. انظر: الملل والنحل (ص: ٣٩)، والفرق بين الفرق (ص: ١٥) والمعتزلة وأصولهم الخمسة (ص: ١٤)، عقائد الثلاث والسبعين فرقة (١/٣٢٥ - ٤٤١)، التبيين والرد (ص: ٤٩)

(١) الرافضة فرقة من شيعة الكوفة، سموا بذلك لأنهم رفضوا أي تركوا زيد بن علي بن الحسين - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ- حين نهاهم عن الطعن في الصحابة، فلما عرفوا مقالته، وأنه لا يبرأ من الشيخين رفضوه، ثم استعمل هذا اللقب في كل من غلا في هذا المذهب، وأجاز الطعن في الصحابة. اهـ من المصباح المنير. ويقال لهم: الروافض: هم الذين رفضوا إمامة الشيخين أبي بكر وعمر، ثم افترقوا بعد وفاة علي إلى فرق عدة. وتجمعهم أصول عدة، منها: القول بالإمامة والعصمة والرجعة. الفرق بين الفرق للبغدادي (ص: ٢١)، الفصل لابن حزم (٤/١٢٩)

ووضعا للحديث، فقد سئل مالك بن أنس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عن الرافضة، فقال: "لا تكلمهم ولا ترو عنهم فانهم يكذبون"، وقال شريك بن عبد الله القاضي - وقد كان معروفًا بالتشيع مع الاعتدال فيه: "أحمل عن كل من لقيت إلا الرافضة فانهم يضعون الحديث ويتخذونه دينًا". (١)

وروى الخطيب بسنده عن حماد ابن سلمة قال: "أخبرني شيخ من الرافضة أنهم كانوا يجتمعون على وضع الأحاديث" (٢).

أما الخوارج فقد كان بعضهم يضع الأحاديث، وان كان وضعهم للحديث قليلا إذا قيسوا بغيرهم من أصحاب البدع والأهواء. ذكر القرطبي -في مقدمة تفسيره أن شيخًا من شيوخ الخوارج قال بعد أن تاب: "إن هذه الأحاديث دين، فانظروا ممن تأخذون دينكم فانا كنا إذا هوينا أمرًا صيرناه حديثًا" (٣).

وأما المرجئة فقد وضعوا الأحاديث نصرة لآرائهم، قال الحاكم: "كان محمد بن القاسم الطايكاني من رءوس المرجئة، وكان يضع الحديث على مذهبهم"(٤)

وبالجملة فان أصحاب البدع والأهواء كان لهم دور بارز في هذا المجال، روى ابن حبان - في الضعفاء- بسنده إلى عبد الله بن يزيد المقرئ قال: "أن رجلا من أهل البدع رجع عن بدعته فجعل يقول: أنظروا هذا الحديث عمن تأخذونه، فانا كنا إذا رأينا رأيًا جعلنا له حديثًا" (٥).

---

(١) السنة ومكانتها من التشريع الإسلامي (ص ٧٩، ٨٠) نقلا عن كتاب منهاج السنة.

(٢) تدريب الراوي (١/٢٨٥)

(٣) تفسير القرطبي (١/٧٨)

(٤) تدريب الراوي (١/٢٨٥)

(٥) المصدر السابق

ولقد تنبه المحدثون -منذ عصر مبكر من عصور الإسلام- إلى هذه الظاهرة السيئة التي اشتهر بها أصحاب البدع والأهواء، ألا وهي ظاهرة الوضع في الحديث، فكانوا لا يقبلون حديثهم ولا يروون عنهم - روى مسلم صحيحه عن ابن سيرين قال: "لَمْ يَكُونُوا يَسْأَلُونَ عَنِ الْإِسْنَادِ، فَلَمَّا وَقَعَتِ الْفِتْنَةُ قَالُوا: سَمُّوا لَنَا رِجَالَكُمْ فَيُنْظَرُ إِلَى أَهْلِ السُّنَّةِ فَيُؤْخَذُ حَدِيثُهُمْ، وَيُنْظَرُ إِلَى أَهْلِ الْبِدَعِ فَلَا يُؤْخَذُ حَدِيثُهُمْ" (١)

هذا ما يتعلق بالخلافات العقدية، أما ما يتعلق بالخلافات الفقهية فقد حملت هذه الخلافات بعض الفقهاء من الجهلة المتعصبين إلى وضع الأحاديث للتنويه بإمام دون إمام، أو نصرة رأى فقهى على آخر وهلم جرا.

قال الإمام السيوطي -رَحِمَهُ ٱللَّهُ- بصدد الحديث عن أمثلة من هذه الأحاديث الموضوعة: "قيل لمأمون بن أحمد الهروي: ألا ترى إلى الشافعي ومن تبعه بخراسان، فقال: حدثنا أحمد بن عبد الله - حدثنا عبيد الله بن معدان الأزدي عن أنس مرفوعا: (يكون في أمتي رجل يقال له: محمد بن ادريس أضر على أمتى من إبليس، ويكون في أمتي رجل يقال له: أبو حنيفة، هو سراج أمتى، هو سراج أمتى، وقيل لمحمد بن عكاشة الكرماني: إن قومًا يرفعون أيديهم في الركوع وفي الرفع منه، فقال حدثنا المسيب بن واضح، حدثنا ابن المبارك عن يونس بن يزيد عن الزهري عن أنس مرفوعًا: من رفع يديه في الركوع فلا صلاة له(٢).

---

(١) أخرجه مسلم في مقدمة كتابه الصحيح - باب بيان أن الإسناد من الدين. (١/١٥) باب (٥)

(٢) تدريب الراوي (١/٢٧٧، ٢٧٨)

ثالثًا: استهواء العامة والتكسب بالوعظ والقصص:

فقد ظهرت جماعة يعظون الناس في زمن التابعين وتابعيهم في المساجد والأسواق، كانوا يعرفون بالقصاص، وكانوا يتكسبون مما يلقونه على الناس من قصص وعظات، وأحاديث وحكايات، وكلما كان القصص منهم أغرب كان التفات الناس حولهم أشد، وعلماء الناس لهم أكثر، ولقد كان هؤلاء القصاص يستميلون الناس ويستهوونهم بالغرائب والمناكير، والأباطيل والأساطير، وكانوا - في هذا المجال - يستبيحون لأنفسهم الكذب في الحديث، فيضعون على رسول الله كما يقول الإمام القرطبي - أحاديث بأسانيد صحاح قد حفظوها، ثم يذكرون الموضوعات بتلك الأسانيد[1]، وكان لهم في ذلك جرأة ووقاحة وصفاقة وجه، ويذكر المحدثون - في هذا الصدد قصة مشهورة عن الإمام أحمد بن حنبل ويحيى ابن معين، فقد روى ابن الجوزي بإسناده إلى أبي جعفر بن محمد الطيالسي قال: "صلي أحمد بن حنبل ويحيى بن معين في مسجد الرصافة، فقام بين أيديهم قاص، فقال: حدثنا أحمد بن حنبل ويحيى بن معين، قالا: حدثنا عبد الرازق عن معمر عن قتادة عن أنس قال: قال رسول الله: من قال لا إله إلا الله خلق الله من كل كلمة طيرا منقاره من ذهب، وريشه من مرجان، وأخذ في قصة نحوا من عشرين ورقة، فجعل الإمام أحمد بن حنبل ينظر إلى يحيى بن معين، وجعل يحيى بن معين ينظر إلي أحمد، فقال له: حدثته بهذا؟ فيقول: والله ما سمعت هذا إلا الساعة، فلما فرغ من قصصه أخذ العطيات[2] ثم قعد

---

(١) تفسير القرطبي (١/٧٩)

(٢) كذا وردت في كتاب المؤلف رحمه الله وفي نسخة الشيخ أحمد شاكر على ألفية السيوطي في الحديث: "وأخذ العطيات" والصواب فيما نظن هي (القُطَيْعَاتِ) حيث ورد في أكثر من مصدر هكذا مثل الموضوعات لابن الجوزي، وفي "مختصر تاريخ دمشق" =

ينتظر بقيتها، فقال له يحيى بن معين بيده: تعال، فجاء متوها لنوال فقال له يحيى: من حدثك بهذا الحديث؟ فقال أحمد بن حنبل ويحيى بن معين، فقال: أنا يحيى بن معين، وهذا أحمد بن حنبل ما سمعنا بهذا قط في حديث رسول الله، فقال: لم أزل أسمع أن يحيى بن معين أحمق ما تحققت هذا إلا الساعة، كأن ليس يحيى بن معين وأحمد بن حنبل غيركما، وقد كتبت عن سبعة عشر أحمد بن حنبل ويحيى بن معين، فوضع أحمد كمه على وجهه، وقال: دعه يقوم، فقام كالمستهزئ بهما" [١].

ومن المؤسف حقًا أن هؤلاء القصاص الجهال الذين تشبهوا بأهل العلم، وتجرؤوا على أن يكذبوا على الله ورسوله قد وجدوا من العامة آذانا صاغية ولقى العلماء منهم أذى كثيرا، وعنتًا كبيرا. فقد ذكر السيوطي في كتابه: "تحذير الخواص من أكاذيب القصاص": "أن أحد هؤلاء القصاص جلس ببغداد، فروى تفسير قوله تعالي: ﴿عَسَىٰٓ أَن يَبۡعَثَكَ رَبُّكَ مَقَامٗا مَّحۡمُودٗا﴾[٢])) وزعم أن نبي الله يجلس مع الله على عرشه، فبلغ ذلك محمد بن جرير الطبري المفسر فغضب من ذلك، وبالغ في إنكاره، وكتب على باب داره: (سبحان من ليس له أنيس، ولا له على عرشه جليس) فثارت عليه عوام بغداد، ورجموا بيته بالحجارة، حتى استد بابه بالحجارة وعلت عليه" [٣].

=

(٢٩٨/٢٧): «وأخذ قطاعه» وغيلاهما والمقصود بها "الدنانير والدراهم في خرقة يضعها على الارض"

(١) الباعث الحثيث (ص: ٩٣، ٩٤) وقد شكك الأستاذ الدكتور محمد أبو شهبة في كتابه: في أصول الحديث (ص: ٧٦) في صحة هذه القصة التي تحكى عن أحمد بن حنبل ويحيى بن معين، ولكنه قال: إن التشكك لا يعود على أصل الفكرة بالنقض.

(٢) سورة الإسراء: ٧٩

(٣) السنة ومكانتها في التشريع الإسلامي (ص ٧٦) نقلا عن كتاب (الإسلام والحضارة).

رابعًا: الجهل بالدين مع القصد الحسن:

وهو ما فعله بعض الزهاد والعباد والجهلة، فقد كانوا يضعون الأحاديث. في مجال الترغيب والترهيب - حسبة، زاعمين أنهم بذلك يتقربون إلى الله، ويحسبون أنهم يحسنون صنعًا، وإذا ما حاول أحد أن يقدم النصح لهم، وينبههم إلى قبح صنعهم، وأنهم داخلون تحت طائلة الوعيد الشديد الذي جاء في قول الرسول -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-: «من كذب عليّ متعمدا فليتبوأ مقعده من النار»، فإن هؤلاء الجهلة يقولون: (نحن ما كذبنا عليه، وإنما كذبنا له)، أي لصالح الدين في زعمهم الفاسد.

وفي مقدمة من استباح هذا العمل القبيح طائفة تسمى ب-"الكرامية"[1] جوزت - كما يقول السيوطي في التدريب - وضع الأحاديث في الترغيب والترهيب، واستدلوا على ذلك - بما روى في بعض طرق الحديث: «من كذب علي متعمدًا ليضل به الناس»، وحمل بعضهم حديث: «من كذب علي» أي: قال إنه شاعر أو مجنون، وقال بعضهم: إنما نكذب له لا عليه: قال السيوطي: "وهو- أي الذي قالوه من جواز الوضع في الترغيب

---

(١) الكرامية - بتشديد الراء - جماعة من المبتدعة ينسبون الى زعيم لهم يسمى: محمد بن كرام أحد المتكلمين الذين يذهبون الى التجسيم والتشبيه في ذات الله تعالى وصفاته (تعالى الله عما يقولون علوا كبيرا). وهي إحدى فرق المرجئة وسموا بذلك نسبة إلى محمد بن كرام من أهل سجستان، وهم يثبتون صفات الله تعالى إلا أنهم ينتهون فيها إلى التجسيم والتشبيه، ولهم في الإيمان قول منكر حيث زعموا أن الإيمان هو الإقرار والتصديق دون القلب، والمنافقون عندهم مؤمنون. انظر: اعتقادات فرق المسلمين والمشركين (ص ٦٧) والفرق بين الفرق (٢٠٢).

والترهيب – خلاف إجماع المسلمين الذين يعتد بهم" (١).

وقد شنع كثير من العلماء على هؤلاء وأمثالهم الذين يظن بهم الصلاح في الدين، فينخدع الناس فيهم بتصديق ما يضعون من أحاديث، وقام العلماء كذلك بالرد على الشبهة التي تعلقوا بها في هذا المجال، وبينوا أن الرسول –صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ– لا يحتاج في كمال شريعته إلى ما يختلقه هؤلاء الوضاعون، فعملهم هذا إنما يدل على كمال جهلهم وقلة عقلهم، وفي ذلك يقول الحافظ ابن كثير: "ومنهم –أي من الذين يضعون الحديث– متعبدون، يحسبون أنهم يحسنون صنعًا، يضعون أحاديث فيها ترغيب وترهيب، وفى فضائل الأعمال، ليعمل بها، وهؤلاء طائفة من الكرامية وغيرهم، وهم من أشر ما فعل هذا، لما يحصل بضررهم من الغرر على كثير ممن يعتقد صلاحهم، فيظن صدقهم، وهم شر من كل كذاب في هذا الباب، وقد انتقد الأئمة كل شيء فعلوه من ذلك، وسطروه عليهم في زبرهم، عارا على واضعي ذلك في الدنيا، ونارا وشنارا في الآخرة، قال رسول الله –صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ–: «من كذب علي متعمدا فليتبوأ مقعده من النار» وهذا متواتر عنه، قال بعض هؤلاء الجهلة: نحن ما كذبنا عليه، إنما نكذب له، وهذا من كمال جهلهم، وقلة عقلهم، وكثرة فجورهم وافترائهم، فانه –عَلَيْهِ السَّلَامُ– لا يحتاج في كمال شريعته وفضلها إلى غيره) (٢)

ومن هذا المنطلق وضع جماعة من الجهال كثيرًا من الأحاديث في فضائل القرآن ترغيبًا للناس في تلاوته، وعللوا ذلك بأنهم وجدوا الناس قد انصرفوا عن القرآن، وانشغلوا عنه بعلوم أخرى، فوضعوا من الأحاديث في

---

(١) تدريب الراوي (١/٢٨٣، ٢٨٤) بتصرف.

(٢) الباعث الحثيث (ص ٨٥ ، ٨٦)

فضل القرآن ما يحبب الناس في قراءته والإقبال عليه، ولقد كان لما صنعه هؤلاء الجهلة من الوضاعين أثر سيء في كتب المسلمين، فوجدنا بعض العلماء الذين لا خبرة لهم بفن الحديث، وليست لديهم معرفة بطرقه ورجاله يحشدون في كتبهم ومؤلفاتهم هذا النوع من الأحاديث الموضوعة التي تذكر في باب الترغيب والترهيب، ومن هؤلاء الإمام أبو حامد الغزالي – وهو أحد رجال التصوف البارزين – فقد ملأ كتابه: "إحياء علوم الدين" بالأحاديث الموضوعة، من غير أن يتنبه إلى أنها موضوعة فضلا عن أن ينبه عليها. قال ابن الجوزي –رَحِمَهُ ٱللَّهُ–: "وجاء أبو حامد الغزالي فصنف لهم أي للمتصوفة – كتاب (الإحياء) علي طريقة القوم، وملأه بالأحاديث الباطلة وهو لا يعلم بطلانها" (١).

خامسًا: التزلف إلى الخلفاء والأمراء:

فقد قام بعض علماء السوء بوضع الأحاديث التي يظن أنها ترضى هوى الخلفاء، وتذيل الحظوة لديهم، والقرب منهم، فاستحبوا العمى على الهدى، وكذبوا على رسول –صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ–، رغبة في دنيا يصيبونها، أو متاع زائل يحصلون عليه.

ومن أمثلة ذلك: ما فعله غياث بن إبراهيم النخعي(٢) فقد دخل على

---

(١) تلبيس إبليس (ص ١٦٦)

(٢) غياث بن إبراهيم النخعي الكوفي أبو عبد الرحمن ابن عم حفص بن غياث، روى عنه بقية بن الوليد وغيره، قال ابن حبان في المجروحين: (١٩١/٢) "كان يضع الحديث على الثقات ويأتي بالمعضلات عن الأثبات، روى عنه العراقيون لا يحل كتبة حديثة إلا على جهة التعجب، وذكر روايته إلا مع أهل الصناعة والأذكار". انظر: ميزان الاعتدال (٣٣٧/٣)؛ الجرح والتعديل (ج ٣/ق ٥٧/٢)؛ ولسان الميزان (٤٢٢/٤)

المهدى العباسي – وكان المهدى يحب الحمام ويلعب به – فاذا أمامه حمام، فقيل له: حدث أمير المؤمنين، فقال: حدثنا فلان عن فلان أن النبي قال: «لا سبق إلا في فصل أو خف أو حافر أو جناح»، وزاد في الحديث «أو جناح»، فأمر له المهدى بجائزة، فلما قام قال: أشهد على قفاك أنه قفا كذاب على رسول الله –صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ–، ثم قال المهدى: أنا حملته على ذلك، ثم أمر بذبح الحمام، ورفض ما كان فيه[1]

ويُروى أن هذه الحكاية إنما حدثت مع الخليفة هارون الرشيد، وأن الذي تولى كبرها قاض من قضاة الرشيد، اسمه أبو البختري[2]، وأن الرشيد لما أمر بالحمام أن يذبح قيل له: وما ذنب الحمام! فقال: من أجله كذب على رسول الله –صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ– [3].

ومن أمثلة هذا النوع كذلك ما فعله مقاتل بن سليمان مع المهدى العباسي فقد حكى أبو عبد الله وزير المهدى قال: قال المهدى: ألا ترى إلى ما يقول لي هذا – يعنى (مقاتلا) –! قال: إذا شئت وضعت لك أحاديث في العباس، قلت: لا حاجة لي بها[4].

---

(١) الباعث الحثيث (ص ٩٤) تدريب الراوي (١/٢٨٥، ٢٨٦).

(٢) أبو البختري، قاضي الرشيد، وهو متهم بالكذب. قال أحمد: أبو البختري وهب بن وهب البغدادي كان من أكذب الناس. قال إسحاق: كما قال. كان كذاباً. يعني – أبا البختري. وقد حكم عليه أحمد في رواية الحمصي بأنه مطروح الحديث. وفي رواية أبي طالب بأنه يضع الحديث. انظر: تاريخ بغداد (١٣/٤٥٥، ٤٥٦)، الجرح والتعديل (٩/٢٥)، والكامل (٧/٢٥٢٦) جمهرة أنساب العرب (ص ١١٩)

(٣) تفسير القرطبي (١/٧٩، ٨٠)

(٤) الباعث الحثيث (ص ٩٤)

سادسًا: التعصب للجنس أو المكان:

فقد وضعت الشُّعُوبِيَّة (١) بعض الأحاديث التي تفضل الفرس على العرب، واللغة الفارسية على غيرها، مثل حديث: «أن كلام الله حول العرش بالفارسية، وأن الله إذا أوحى أمرًا فيه لين أوحاه بالفارسية، وإذا أوحى أمرا فيه شدة أوحاه بالعربية» قال الشوكاني: "هذا الحديث رواه ابن عدى عن أبي أُمامة مرفوعا، وهو موضوع وباطل لا أصل له، وكل ما ورد في هذا المعنى فهو موضوع، وقد تعسف من زعم غير ذلك". (٢)

كذلك وضعت أحاديث في فضل بعض البلدان بدافع التعصب الممقوت

---

(١) الشُّعُوبِيَّة – بالضم– فرقة تحقر أمر العرب، وتفضل العجم عليهم، وإنما نسب إلى الجمع لأنه صار علما لغلبته على الجيل الواحد كالأنصار، ويطلق هذا اللفظ على فريق من الناس لا يرون للعرب فضلًا على غيرهم؛ بل وبالغوا في ذلك وذهبوا إلى تنقصهم والحط من قدرهم فسموا بالشعوبية والفوا في ذلك الكتب. فقيل: ان زياد بن أبيه حين استلحقه معاوية بأبيه وخشى الا تقر العرب له بذلك صنع كتاب "المثالب" وعدد نقائص العرب كما أن النضر بن شميل الحميرى وخالد بن سلمة المخزومى وضعا كتابا في مثالب العرب ومناقبها وصنع الهيثم بن عدى كتابا طعن فيه على أشراف العرب وصنع أبو عبيدة –وكان أبوه يهوديًا وكان يعير بذلك– كتابا في مثالب العرب امتاز بالسعة والاستقصاء ثم جاء علان بن الحسن الشعوبى الوزاق الزنديق فألف كتابا في مثالب العرب بدأه بمثالب بنى هاشم ثم بطون قريش ثم سائر العرب انظر البيان والتبيين والتعليق عليه (٣/٥)، خزانة الأدب (٢/٥١٩) وقال ابن منظور في لسان العرب "مادة شعب" (١/٥٠٠): قد غلبت الشعوب، بلفظ الجمع، على جيل العجم حتى قيل لمحتقر امر العرب شعوبى، أضافوا إلى الجمع لغلبته على الجيل الواحد، كقولهم أنصارى، والشعوب: فرقة لا تفضل العرب على العجم، والشعوبى الذى يصغّر شأن العرب، ولا يرى لهم فضلًا على غيرهم. اهـ. وانظر أيضًا تاج العروس مادة "شعب" (١/٣٢١).

(٢) الفوائد المجموعة في الأحاديث الموضوعة (ص: ٣١٤) بتصرف.

مثل حديث: "جِنَانُ هَذِهِ الدُّنْيَا. دِمَشْقُ مِنَ الشَّامِ، وَمَرْوُ مِنْ خُرَاسَانَ، وَصَنْعَاءُ الْيَمَنِ. وَجَنَّةُ هَذِهِ الْجِنَّانِ صَنْعَاءُ"[١]

قال الشوكاني: "وقد توسع المؤرخون في ذكر الأحاديث الباطلة في فضائل البلدان، ولا سيما بلدانهم، فانهم يتساهلون في ذلك غاية التساهل، ويذكرون الموضوع ولا ينبهون عليه، فليحذر المتدين من اعتقاد شيء منها أو روايته، فان الكذب في هذا قد كثر، وجاوز الحد، وسببه ما جبلت عليه القلوب من حب الأوطان والشغف بالمنشأ". [٢]

---

(١) قال الشوكاني: "ذكره بعض المؤرخين من اليمنيين، ولم أقف عليه في كتاب من كتب الحديث". الفوائد المجموعة (ص: ٤٢٨).

(٢) المصدر السابق (ص: ٤٣٦، ٤٣٧) بتصرف.

أسئلة تدريبية

س١ ما المقصود بالوضع في الحديث؟ وما هو الحديث الموضوع؟ وما هو اثم مرتكبه؟

س٢ بيِّن بالتفصيل متي بدأ الوضع؟

س٣ هناك أسباب عديدة للوضع في الحديث فصل القول في اثنين منها.

س٤ يعد من أسباب الوضع التعصب للجنس أو المكان فكيف ذلك؟ مع التمثيل.

س٥ تعد الزندقة من أسباب الوضع فكيف ذلك؟ مع التمثيل.

س٦ تعد الخلافات السياسية والدينية من أسباب الوضع فكيف ذلك؟ مع التمثيل.

س٧ من أسباب الوضع استهواء العامة والتكسب بالوعظ والقصص بين ذلك مع التمثيل.

س٨ من أسباب الوضع الجهل بالدين مع القصد الحسن بين ذلك مع التمثيل.

س٩ من أسباب الوضع التزلف إلى الخلفاء والأمراء بين ذلك مع التمثيل.

أمارات الوضع

الأمارات التي تدل على الوضع كثيرة، ويمكننا أن نقسم هذه الأمارات إلى قسمين:

القسم الأول: أمارات في سند الحديث.

القسم الثاني: أمارات في متن الحديث.

أولاً: أمارات الوضع في سند الحديث، وهي ما تتعلق برواته ورجاله، وأهمها ما يلي:

١. أن ينفرد برواية الحديث راو معروف بالكذب لدى علماء الجرح والتعديل، بحيث لا يشاركه في رواية هذا الحديث أحد من الثقات، فتلك أمارة قوية على أن هذا الحديث موضوع، ومثال ذلك حديث: (أن ابن عباس قال: سألت النبي عن الكلمات التي تلقاها آدم من ربه – قال: سأل بحق محمد وعلى وفاطمة والحسن والحسين إلا تبت على فتاب عليه، قال الدارقطني: تفرد به عمرو بن ثابت وقد قال يحيى: إنه لا ثقة ولا مأمون، وقال ابن حبان: يروي الموضوعات. [(١)]

ومما هو جدير بالذكر هنا أن علماء الجرح والتعديل لهم معرفة واسعة بالوضاعين والكذابين، قال النسائي: "الكذابون المعروفون بوضع الأحاديث أربعة: ابن أبي يحيى بالمدينة، والواقدي ببغداد، ومقاتل بخراسان ومحمد بن سعيد المصلوب بالشام"[(٢)]، وأيضًا ذكر السيوطي أن أوهى الطرق إلى ابن عباس هو طريق الكلبي عن أبي صالح عن ابن عباس، فان انضم إلى

---

(١) المصدر السابق (ص: ٣٩٤، ٣٩٥)

(٢) تدريب الراوي (١/٢٨٧)

ذلك رواية محمد بن مروان السدي الصغير فهي سلسلة الكذب[1].

٢- أن يقر الراوي بأنه وضع الحديث، فيؤخذ حينئذ بإقراره، لأن الإقرار - كما يقولون- سيد الأدلة، ومثال ذلك الحديث الذي رواه نوح ابن أبي مريم عن عكرمة عن ابن عباس في فضائل القرآن سورة سورة فقد اعترف نوح بوضعه، وقال: "إني رأيت الناس قد أعرضوا عن القرآن واشتغلوا بفقه أبى حنيفة ومغازي ابن إسحاق فوضعت هذا الحديث حسبة". [2]

كما اعترف ميسرة بن عبدربه بأنه وضع حديثًا مماثلا في فضائل القرآن، فقد قيل لميسرة: من أين جئت بهذه الأحاديث، من قرأ كذا فله كذا، قال: وضعتها أرغب الناس. [3]

٣- أن يروى الراوي الحديث عن شيخ لم يثبت لقياه له كأن يكون الشيخ قد مات قبل أن يولد هذا الراوي، وقد اهتم المحدثون بمعرفة وفيات الرواة ومواليدهم ومقدار أعمارهم، وهو فن عظيم يعرف به اتصال السند وانقطاعه، ويعرف به كذلك الكذابون والمدلسون، قال سفيان الثوري: "لما استعمل الرواة الكذب استعملنا لهم التاريخ"، وقال حفص بن غياث: "إذا اتهمتم الشيخ فحاسبوه بالسنين"؛ يعنى سنه وسن من كتب عنه، وقال

---

(١) الإتقان (٢/١٨٩). وقَالَ السُّيُوطِيّ فِي تدريب الرَّاوِي «وَأَمَّا أَوْهَى أَسَانِيدِ ابْنِ عَبَّاسٍ مُطْلَقًا: فَالسُّدِّيُّ الصَّغِيرُ مُحَمَّدُ بْنُ مَرْوَانَ، عَنِ الْكَلْبِيِّ، عَنْ أَبِي صَالِحٍ عَنْهُ. قَالَ شَيْخُ الْإِسْلَامِ: هَذِهِ سِلْسِلَةُ الْكَذِبِ لَا سِلْسِلَةُ الذَّهَبِ." تدريب الراوي في شرح تقريب النواوي (١/١٩٨) وأما سلسلة الذهب في رواية مالك عن نافع عن ابن عمر تسمى عند العلماء سلسلة الذهب. كذا عند ابن حجر في التهذيب (١٠/٤١٢)، والذهبي في سير أعلام (٥/١٢،٩٧/٤١٣،٦).

(٢) تدريب الراوي (١/٢٨٢).

(٣) المصدر السابق (١/٢٨٣).

حسان بن يزيد: "لم نستعن على الكذابين بمثل التاريخ، نقول للشيخ: سنة كم ولدت؟ فاذا أقر بمولده عرفنا صدقه من كذبه". [1]

وفى هذا المجال يذكر المحدثون بعض الحوادث الطريفة التي تعرفوا فيها - بواسطة التاريخ - على الكذابين من الرواة الذين لم يثبت لقياهم لمن يروون عنهم، ومن هذه الطرائف ما ذكره الحاكم - قال: "لما قدم علينا محمد بن حاتم الكشي فحدث عن عبد بن حميد، سألته عن مولده، فقال: إنه ولد سنة ستين ومائتين، فقلت لأصحابنا: إنه يزعم أنه سمع منه بعد موته بثلاث عشرة سنة". [2]

٤- أن تدل الحالة النفسية للراوي على كذبه فيما يرويه، ومثال ذلك ما أخرجه الحاكم عن سيف بن عمر التميمي قال: "كنت عند سعد بن طريف فجاء ابنه من الكتاب يبكي، فقال: مالك؟ قال: ضربني المعلم، قال: لأخزينهم اليوم، حدثني عكرمة عن ابن عباس مرفوعًا: معلمو صبيانكم شراركم، أقلهم رحمة لليتيم، وأغلظهم على المسكين". [3]

فهذا الحديث قد دلت على وضعه قرينة في الراوي، وهذه القرينة تتمثل في حالة الغضب التي سيطرت عليه، بسبب ضرب المعلم لولده، فدفعته إلى اختلاق هذا الحديث، وذلك واضح من تصدير الحديث بقوله: "لأخزينهم اليوم".

---

(١) المصدر السابق (٢/٣٥٠).

(٢) الباعث الحثيث (ص: ٢٦٧).

(٣) تدريب الراوي (١/٢٧٧).

ثانيًا: الأمارات التي تكون في متن الحديث أي نصه ولفظه فإليك بيانها:

١. أن يكون الحديث ركيكًا، ولا يعقل أن يصدر عن الرسول الذي أعطى جوامع الكلم، فتلك قرينة قوية تشهد للحديث بالوضع، والركاكة قد تكون راجعة إلى اللفظ، وقد تكون راجعة إلى المعنى، وقد تكون راجعة إلى الأمرين معًا، قال الحافظ ابن حجر: "الْمَدَارُ فِي الرِّكَّةِ عَلَى رِكَّةِ الْمَعْنَى، فَحَيْثُمَا وُجِدَتْ دَلَّ عَلَى الْوَضْعِ، وَإِنْ لَمْ يَنْضَمَّ إِلَيْهِ رِكَّةُ اللَّفْظِ؛ لِأَنَّ هَذَا الدِّينَ كُلُّهُ مَحَاسِنُ، وَالرِّكَّةُ تَرْجِعُ إِلَى الرَّدَاءَةِ... قَالَ: أَمَّا رَكَاكَةُ اللَّفْظِ فَقَطْ فَلَا تَدُلُّ عَلَى ذَلِكَ، لِاحْتِمَالِ أَنْ يَكُونَ رَوَاهُ بِالْمَعْنَى، فَغَيَّرَ أَلْفَاظَهُ بِغَيْرِ فَصِيحٍ، ثُمَّ إِنْ صَرَّحَ بِأَنَّهُ مِنْ لَفْظِ النَّبِيِّ -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- فَكَاذِبٌ". (١)

وقال الربيع بن خيثم: "إن للحديث ضوءا كضوء النهار تعرفه، وظلمة كظلمة الليل تنكره"، وقال ابن الجوزي: (الحديث المنكر يقشعر له جلد الطالب للعلم، وينفر منه قلبه في الغالب"، وقال البلقيني: "وشاهد هذا أن إنسانًا لو خدم إنسانًا سنين، وعرف ما يحب وما يكره، فادعى إنسان أنه كان يكره شيئًا يعلم ذلك أنه يحبه، فبمجرد سماعه يبادر إلى تكذيبه". (٢)

٢. أن يكون مخالفًا لصريح القرآن الكريم، أو السنة النبوية أو الإجماع القطعي، فهذا يدل على أن الحديث موضوع.

فمثال ما يخالف صريح القرآن حديث: «إذا روى عنى حديث فاعرضوه على كتاب الله فاذا وافقه فاقبلوه، وإن خالفه فردوه»، فقد ذكر الشوكاني أن هذا الحديث من وضع الزنادقة، ثم قال: "على أن في هذا الحديث الموضوع نفسه ما يدل على رده، لأنا إذا عرضناه على كتاب الله -عَزَّ وَجَلَّ- خالفه، ففي

---

(١) المصدر السابق (١/٢٧٦).

(٢) المصدر السابق (١/٢٧٥، ٢٧٦).

كتاب الله -عَزَّوَجَلَّ-: ﴿وَمَآ ءَاتَىٰكُمُ ٱلرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَىٰكُمۡ عَنۡهُ فَٱنتَهُواْۚ﴾ (١) ونحو هذا من الآيات (٢).

ومثال ما يخالف السنة الصحيحة حديث: «إذا حدثتم عنى بحديث يوافق الحق فخذوا به، حدثت به أو لم أحدث» (٣)، فهو مناقض لقول الرسول في الحديث الصحيح المتواتر **«من كذب عليّ متعمدًا فليتبوأ مقعده من النار».**

ومثال ما يخالف الإجماع القطعي حديث: «من قضي صلوات من الفرائض في آخر جمعة من رمضان كان ذلك جابرا لكل صلاة فاتته في عمره إلى سبعين سنة»(٤)، فان هذا يخالف ما أجمع عليه علماء الإسلام من أن الصلاة الفائتة لا تسقط عن المكلف بحال، ولا يقوم مقامها شيء من العبادات الأخرى.

---

(١) سورة الحشر: ٧

(٢) الفوائد المجموعة في الأحاديث الموضوعة (ص: ٢٩١).

(٣) قَالَ الْعقيلِيَ: لَيْسَ لَهُ إِسْنَادٌ يَصِحُّ، وَقَالَ يَحْيَى هَذَا الحَدِيث وَضعه الزَّنَادِقَة، وَقَالَ الْخطابِيَ: لَا أصلَ لَهُ» «اللآلئ المصنوعة في الأحاديث الموضوعة» (١/١٩٥).

(٤) قَالَ عَلِيٌّ الْقَارِيُّ فِي مَوْضُوعَاتِهِ الصُّغْرَى وَالْكُبْرَى بَاطِلٌ قَطْعِيًّا لأَنَّهُ مُنَاقِضٌ للإِجْمَاعِ عَلَى أَنَّ شَيْئًا مِنَ الْعِبَادَاتِ لَا يَقُومُ مَقَامَ فَائِتَةٍ سَنَوَاتٍ ثُمَّ لَا عِبْرَةَ بِنَقْلِ صَاحِبِ النِّهَايَةِ وَلا بَقِيَّةِ شُرَّاحِ الْهِدَايَةِ لأَنَّهُمْ لَيْسُوا مِنَ الْمُحَدِّثِينَ وَلا أَسْنَدُوا الْحَدِيثَ إِلَى أَحَدٍ من المخرجين انتهى. وَذكره الشَّوْكَانِيُّ فِي الْفَوَائِدِ الْمَجْمُوعَةِ فِي الأَحَادِيثِ الْمَوْضُوعَةِ بِلَفْظِ مَنْ صَلَّى فِي آخِرِ جُمُعَةٍ مِنْ رَمَضَانَ الْخَمْسَ صَلَوَاتِ الْمَفْرُوضَةِ فِي الْيَوْمِ وَاللَّيْلَة قَضَت عَنْهُ مَا أَخَلَّ بِهِ مِن صَلاةِ سَنَةٍ. وَقَالَ هَذَا مَوْضُوع بِلَا شكّ وَلم أَجِدهُ فِي شَيْء من الْكتب الَّتِي جمع مصنفوها فِيهَا الأَحَادِيث الْمَوْضُوعَة وَلَكِن اشْتهر عِنْد جمَاعَة من المتفقهة بِمَدِينَة صنعاء فِي عصرنا هَذَا وَصَارَ كثير مِنْهُم يفْعَلُونَ ذَلِكَ وَلَا أَدْرِي من وضع لَهُم. فقبح الله الْكَذَّابين انتهى». الآثار المرفوعة في الأخبار الموضوعة (ص: ٨٥).

٣. أن يكون مخالفًا للعقل بحيث لا يقبل التأويل، ويلتحق به ما يدفعه الحس والمشاهدة، ومثال ذلك ما رواه ابن الجوزي من طريق عبد الرحمن ابن زيد بن أسلم عن أبيه عن جده مرفوعًا: «إن سفينة نوح طافت بالبيت سبعا، وصلت عند المقام ركعتين» (١)، وقد عرف عبد الرحمن بن زيد هذا بمثل هذه الغرائب، حتى قال الشافعي - فيما نقله صاحب التهذيب -: "ذكر رجل لمالك -يعنى الإمام- حديثًا منقطعًا، فقال: اذهب إلى عبد الرحمن ابن زيد بن أسلم يحدثك عن أبيه عن نوح". (٢)

ومن أمثلة ما يخالف العقل كذلك ما رواه ابن الجوزي من طريق محمد بن شجاع الثلجي عن حبان بن هلال عن حماد بن سلمة عن أبى الْمُهَزِّمِ عن أبي هريرة مرفوعا: «إن الله خلق الفرس، فأجراها فعرقت، فخلق منها نفسه»(٣) قال السيوطي -في تعليقه على هذا الحديث-: "هذا لا يضعه

---

(١) تدريب الراوي (ج ١ ص ٢٧٨).

(٢) الباعث الحثيث (ص: ٩١).

(٣) تدريب الراوي (٢٧٨/١)، يقول الذهبي -رَحِمَهُ ٱللَّهُ- في "ميزان الاعتدال" (٥٧٨/٣، ٥٧٩): "هذا مع كونه من أبين الكذب هو من وضع الجهمية ليذكروه في معرض الاحتجاج به على أن نفسه اسم لشيء من مخلوقاته، فكذلك إضافة كلامه إليه من هذا القبيل إضافة ملك وتشريف، كبيت الله، وناقة الله، ثم يقولون: إذا كانت نفسه -تعالى- إضافة ملك فكلامه بالأولى".

وبكل حال فما عد مسلم هذا في أحاديث الصفات، تعالى الله عن ذلك. وقد بين ابن تيمية -رَحِمَهُ ٱللَّهُ- في كتابه " نقض المنطق (ص: ١١٩) "أن غالية المثبتة يروون أحاديث موضوعة في الصفات كحديث عرق الخيل ونزوله عشية عرفة على الجمل الأورق حتى يصافح المشاة ويعانق الركبان وتجليه لنبيه في الأرض، أو رؤيته له على كرسي بين السماء والأرض، أو رؤيته إياه في الطواف، أو في بعض سكك المدينة، إلى غير ذلك من الأحاديث الموضوعة".

مسلم، بل ولا عاقل، والمتهم به محمد بن شجاع كان زائغًا في دينه. وفيه أبو الْمُهَزِّمِ، قال شعبة: رأيته، لو أعطى درهمًا وضع خمسين حديثًا". [1]

٤. **أن يكون مخالفًا لحقائق التاريخ**، ومثال ذلك حديث: «لما أسري بي إلى السماء أدخلني جبريل الجنة، فناولني تفاحة فأكلتها، فصارت نطفة في صلبي، فلما نزلت واقعت خديجة، ففاطمة من تلك النطفة»، فهذا مخالف للواقع. إذ من الثابت تاريخيًا أن فاطمة -رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا- ولدت قبل بعثة الرسول -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-، قال الشوكاني في التعقيب على هذا الحديث: "قال الذهبي في تلخيص المستدرك: هذا كذب جلي، وقال ابن حجر: فاطمة ولدت قبل ليلة الإسراء بالإجماع، وقال الذهبي: فاطمة ولدت قبل النبوة فضلا عن الإسراء". [2]

٥. **أن يشتمل الحديث على مجازفات ومبالغات لا تصدر عن عاقل**، كأن يكون فيه وعيد شديد على أمر صغير، أو وعد عظيم على فعل حقير، وهذا كثير في أحاديث القصاص ومن على شاكلتهم، فمثال النوع الأول حديث: «من أعان تارك الصلاة بلقمة فكأنما أعان على قتل الأنبياء كلهم»، فقد حكم السيوطي -فيما نقله عنه الشوكاني- على هذا الحديث بأنه موضوع[3].

ومثال النوع الثاني: ما ذكره الشوكاني في مجال الصلاة وهو حديث: «من علق في مسجد قنديلا صلى عليه سبعون ألف ملك حتى ينطفي ذلك القنديل، ومن بسط فيه حصيرًا صلى عليه سبعون ألف ملك حتى ينقطع

---

(١) تدريب الراوي (١/٢٧٨).

(٢) الفوائد المجموعة في الأحاديث الموضوعة (ص: ٣٨٩).

(٣) المصدر السابق (ص: ٢٨)

ذلك الحصير»، قال الشوكاني: "في إسناده عمر بن صبح كذاب".[1]

٦. **أن يكون الراوي رافضيًا والحديث في فضائل أهل البيت**، فهذه قرينة تدل على أن الحديث موضوع، ومثال ذلك حديث: «خلقت أنا وعلى من نور، وكنا على يمين العرش قبل أن يخلق آدم بألفي عام، ثم خلق الله آدم، فانقلبنا في أصلاب الرجال، ثم جعلنا في صلب عبد المطلب، ثم شق أسماؤنا من اسمه، فالله محمود وأنا محمد، والله الأعلى وعلي وعلي»، قال الشوكاني عن هذا الحديث -: "هو موضوع، وضعه جعفر بن أحمد ابن على بن بيان، وكان رافضيًا وضاعًا".[2]

ومما هو جدير بالذكر هنا أن الرافضة اشتهروا بوضع الأحاديث في فضل على وآل البيت، وفي ذلك يقول ابن الجوزي: "وغلو الرافضة في حب على رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ حملهم على أن وضعوا أحاديث كثيرة في فضائله أكثرها تشينه وتؤذيه، وقد ذكرت منها جملة في كتاب (الموضوعات)، منها: (أن الشمس غابت، ففاتت عليا صلاة العصر، فردت له الشمس)، وهذا من حيث النقل موضوع، لم يروه ثقة، ومن حيث المعنى فان الوقت قد فات، وعودها طلوع متجدد، فلا يرد الوقت، وكذلك وضعوا أن فاطمة اغتسلت ثم ماتت، وأوصت أن تكتفى بذلك الغسل، وهذا من حيث النقل كذب، ومن حيث المعنى قلة فهم، لأن الغسل عن حدث الموت، فكيف يصح قبله".[3]

---

(١) المصدر السابق (ص: ٢٦)

(٢) المصدر السابق (ص: ٣٤٣)

(٣) تلبيس إبليس (ص: ٩٩)

الآثار السيئة للوضع

لقد ترتب على حركة الوضع آثار سيئة وعميقة في حياة المسلمين، ففي مجال التأليف نجد بعض علماء الدين الذين لهم قدم راسخة في ميادين العلم المختلفة إلا أن بضاعتهم مزجاة في علم الحديث، نجدهم ينساقون - بحسن نية - في الجري وراء هذه الأحاديث الموضوعة، فيوردون الكثير منها في كتبهم ومؤلفاتهم، وذلك كما فعل الإمام حجة الاسلام الغزالي في كتابه: "إحياء علوم الدين"، والعلامة جار الله الزمخشري في تفسير "الكشاف" وغيرهم ممن ألفوا في مجال التصوف أو التفسير أو الفقه أو علم الكلام أو التاريخ ولقد كان لإيراد هذه الموضوعات في كتب هؤلاء أثر بالغ في حياة المسلمين العملية والفكرية على السواء، حيث راجت هذه الأحاديث بين كثير من الناس، وانخدعوا بتصديقها، واطمأنوا إليها، كيف لا، وقد انخدع بها قبلهم أئمة كبار، وعلماء أجلاء.

أما أثر ذلك من الناحية العملية فقد يصدق المسلم حديثًا موضوعا في مجال العبادات مثلا، فيعمل به على أساس أنه من الدين والدين منه براء، وحينئذ يصبح ما دسه الملاحدة والزنادقة في نظره جزءا من تعاليم الدين، وأما أثر ذلك من الناحية الفكرية فما أعظم الضرر الذي يلحق المسلم عندما تتقلب أمامه الحقائق، وتختل لديه المقاييس، ويعتقد الباطل حقًا والكذب صدقًا، فيعيش في ضلال مبين.

كذلك من الآثار السيئة لحركة الوضع في مجال التفسير أننا نجد -في بعض الأحيان- أقوالا متعارضة في تفسير القرآن الكريم لبعض الصحابة والتابعين، ويكون التعارض بين الأقوال حقيقيًا لا مكان فيه للتوفيق، بل قد نجد - أحيانا - قولين متعارضين في تفسير آية واحدة ينسبان إلى

صحابي واحد، مما يوهم الجهال بأنه شخص متناقض مع نفسه، ولكننا عندما نعرض القولين على مناهج المحدثين نجد أن أحد القولين هو الذى تصح نسبته إلى صاحبه لصحة السند الذي روى به، بينما القول الآخر موضوع عليه، قد وضعه كذاب أو زنديق، وفى هذه الحالة فان من الواجب الاعتماد على الصحيح دون غيره، وغني عن البيان أن الذي أوقعنا في هذه البلبلة الفكرية هو تلك الحركة المشبوهة والمسمومة، حركة الوضع في التفسير.

يضاف إلى ذلك أيضًا أن كثيرًا من المستشرقين والمبشرين أعداء الإسلام اتخذوا من هذه الأحاديث الموضوعة سلاحًا لمحاربة الإسلام، وتوجيه الطعون إليه، وقد تصيدوا من هذه الأحاديث ما يكون منافيًا للعقل، أو مخالفًا للواقع، وأثاروا بها الشبهات حول الإسلام أو القرآن أو الرسول - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ -، أو الصحابة رضوان الله عليهم أجمعين، واستندوا في هذا كله - إلى ورود هذه الأحاديث في بعض كتب المسلمين التي أشرنا إليها، وجهلوا أو تجاهلوا الحقيقة العلمية الثابتة، وهي أنه ليس كل ما يذكر في هذه الكتب صحيحًا، بل هذه الكتب التي اعتمدوا عليها تشتمل على الغث والسمين، والأصيل والدخيل، والصحيح والعليل.

ونكتفى هنا بمثال واحد مما أورده المستشرقون من شبهات؛ فقد اتهم المستشرق اليهودي جولد تسيهر الصحابي الجليل عبد الله بن عباس - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا - بالتناقض في مسألة الذبيح، وهل هو إسماعيل أو إسحاق، فمرة ذكر الرواة عنه أنه قال: إن الذبيح هو إسماعيل، ومرة أخرى ذكر الرواة عنه أنه قال إن الذبيح هو إسحاق، وعد هذا من ابن عباس تناقضًا في الرأي وفى ذلك يقول (جولد تسيهر): (ولا نستطيع - على الرغم من كثرة

الزيف القليل الفائدة أن نقدر حق القدر ذلك النشاط الذي حفظ به الرواة المعلومات الهائلة، الفياضة بالأقوال المتعارضة دون مبالاة ولا اكتراث، وأول ما يتبادر للنظر في ذلك النطاق هو تلك الظاهرة الغريبة، حيث تسند إلى ابن عباس أقوال تصور آراء شديدة التناقض، لا تقبل توفيقًا ولا تسوية ويوجد مثال لذلك في مسألة الخلاف التي كثر حولها الجدل قديمًا: أي ابني إبراهيم أراد أبوه أن يذبحه طوعا لأمر الله) -ثم قال بعد أن استعرض كلا الرأيين المتعارضين في هذا المجال-: (هكذا يقف الرأيان جميعًا، أحدهما بإزاء الآخر، كلاهما ثابت بالنقل، مدعوم بالسند الكافي لإقناع مطالب العلماء الإسلاميين، فيستطيع فريق إسحاق أن يرجع - عن طريق أبي هريرة إلى العالم اليهودي: كعب الأحبار، وهو من أهم مصادر الرواية للإسرائيليات والنصرانيات في الأساطير الإسلامية، بل لقد ذكر العباس - عم الرسول- الذي يقال إنه استند إلى النبي نفسه في ذلك شاهدا لتأييد فريق إسحاق، بيد أن الحجة الكبرى في مسائل تفسير القرآن هو دائما ابن عباس، فيظهر ابن عباس نفسه إذن على أنه أساس الإسناد عند كلا الفريقين، وتسوق كلتا الروايتين قوله المدعوم برجال السلسلة في نسق جيد دليلا على صحة مذهب كل منهما، ففريق إسحاق يتخذ عكرمة، وفريق إسماعيل يتخذ الشعبي أو مجاهد عمدة في الرواية المباشرة عن ابن عباس أنه حسم في هذا الموضوع بما يوافق رأى كل منهما[١].

هذا ما يقوله (جولد تسيهر) الذى أراد أن يصور لنا ابن عباس بصورة الرجل الذي يناقض نفسه، وكذب (جولد تسيهر) فيما يقول، لأن الرواية التي تنسب إلى ابن عباس أنه قال: "إن الذبيح هو إسماعيل" أصح من

---

(١) مذاهب التفسير الإسلامي (ص: ٩٨) وما بعدها.

الرواية الأخرى، وهي التي يجب أن يعتمد عليها في هذا الموضوع، وينبغي أن تحسم مادة الخلاف فيه، واستمع معي إلى أستاذنا الجليل الدكتور محمد حسين الذهبي، فقد رد على هذا المستشرق ردا علميًا مفصلا ومدعمًا بالدليل حيث يقول –رَحِمَهُ ٱللَّهُ–: "وهذا ما حكم به الأستاذ جولد تسيهر على التفسير بالمأثور في كتابه، وكل ما قاله في هذا الموضوع لا يعدو أن يكون محاولات فاشلة، يريد من ورائها أن يظهر ابن عباس خاصة، ومن تكلم في التفسير من الصحابة عامة بمظهر الشخص الذى يناقض نفسه في الكلمة الواحدة، أو الموضوع الواحد، كما يرمى من وراء ذلك إلى أن يصرف نظر المسلمين عن هذه الثروة الضخمة التي خلفها لهم السلف الصالح في التفسير زعما أن هذا التناقض الموجود بين الروايات نتيجة لاختلاف وجهات النظر من شخص واحد أو أشخاص، و تفسير هذا شأنه نحن في حل من التزامه، لأنهم قالوا بعقولهم،، ونحن مشتركون معهم في هذا القدر

ونحن لا ننكر أن هناك اختلافًا بين السلف في التفسير، كما لا ننكر أن هناك اختلافا بين قولين أو أقوال لشخص واحد منهم، ولكن هذا الاختلاف قلنا عنه – فيما سبق مفصلا – إن معظمه يرجع إلى اختلاف عبارة وتنوع، لا اختلاف تناقض وتضاد، فما كان من هذا القبيل فالجمع بينه سهل ميسور، وما لم يمكن فيه الجمع فالمتأخر من القولين عن الشخص الواحد مقدم إن استويا في الصحة عنه، وإلا فالصحيح المقدم.

أما إذا تعارضت أقوال جماعة من الصحابة وتعذر الجمع أو الترجيح فيقدم ابن عباس على غيره، لأن النبي بشره بذلك حيث قال: «اللهم علمه التأويل»، وقد رجح الشافعي قول زيد في الفرائض لحديث «أفرضكم زيد»

وأما ما ساقه على سبيل المثال من اختلاف الرواية عن ابن عباس في تعيين الذبيح فقد رجعت إلى ابن جرير في تفسيره، فوجدته قد ذكر عن ابن عباس هاتين الروايتين المختلفتين، وساق كل رواية منهما بأسانيد تتصل إلى ابن عباس، بعضها يرفعه إلى الرسول ا، وبعضها موقوف عليه.

وابن جرير -كما نعلم- لم يلتزم الصحة في كل ما يرويه، ولو أننا عرضنا هاتين الروايتين على قواعد المحدثين في نقد الرواية والترجيح لتبين لنا - بكل وضوح وجلاء - أن الرواية القائلة بأن الذبيح هو إسماعيل أصح من غيرها وأرجح مما يخالفها، لأنها مؤيدة بأدلة كثيرة، يطول ذكرها، وأيضًا فان الرواية التي يذكرها ابن جرير عن ابن عباس مرفوعة إلى رسول الله له ومفيدة أن الذبيح هو إسحاق في سندها الحسن بن دينار عن علي بن زيد، والحسن بن دينار متروك، وعلي بن زيد منكر الحديث كما ذكره الحافظ ابن كثير في تفسيره.

أما باقي الروايات الموقوفة على ابن عباس والتي تفيد أن الذبيح هو إسحاق فهي - وإن كانت صحيحة الأسانيد - محمولة على أن ما تضمنته من أن الذبيح هو إسحاق كان رأى ابن عباس في أول الأمر، لأنه سمع ذلك من بعض الصحابة الذين كانوا يحدثون في مثل هذا بما سمعوه من كعب وغيره من مسلمي اليهود، ثم علم بعد أن ذلك قول اليهود فرجع عنه وصرح بنقيضه، كما قال ابن جرير: "حدثني يونس، أخبرنا ابن وهب، أخبرني عمر بن قيس عن عطاء بن أبي رباح عن عبد الله بن عباس أنه قال: المفدى إسماعيل، وزعمت اليهود أنه إسحاق، وكذبت اليهود، وهذا الأثر صحيح عن ابن عباس، إسناده على شرط الصحيح، وهو - كما ترى - صريح في تكذيب اليهود فيما زعموه، وهو يقضي على كل أثر بخلافه،

وبهذا الطريق تنتظم الآثار الواردة عن ابن عباس في هذا الباب، قال ابن كثير في تفسيره – بعد ما ساق الروايات في أن الذبيح هو إسحاق.. (وهذه الأقوال – والله أعلم – كلها مأخوذة عن كعب الأحبار، فانه لما أسلم في الدولة العمرية جعل يحدّث عمر –رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ– عن كتبه قديمًا، فربما استمع له عمر –رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ–، وترخص الناس في استماع ما عنده، ونقلوا ما عنده عنه، غثها وسمينها، وليس لهذه الأمة – والله أعلم – حاجة إلى حرف واحد مما عنده". (١)

وقفة مع مفسر في دفاعه عن الأحاديث الموضوعة:

تبين لنا مما سبق المقصود من الحديث الموضوع وكيف أنه مختلق مكذوب على النبي –صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ– ولذلك اعتبره العلماء شر أنواع الضعيف وحذروا من نقله وروايته إلا على سبيل البيان والتنبيه على وضعه وكذبه، ومن هذا القبيل الأحاديث الموضوعة في فضائل سور القرآن سورة سورة، والتي اختلقها أبو عصمة نوح بن أبى مريم وغيره من جهلة المتصوفة.

ومع هذا وذاك فقد وقفت على كلام لبعض المفسرين ليقضى منه العجب في دفاعه عن إيراده الأحاديث الموضوعة –فضلًا عن الضعيفة– في تفسيره، وتفسير الزمخشري، والبيضاوي، وأبي السعود!! هذا المفسر هو إسماعيل حقي الواعظ الصوفي المتوفي سنة ١١٣٧هـ فقد نفقت عليه في تفسيره المسمى "**روح البيان في تفسير القرآن**" الأحاديث الضعيفة والموضوعة نفقًا كبيرًا، إذ كان رَحِمَهُ اللَّهُ تعالى لا يَدَ له بعلم الحديث، وقال عنه الشيخ الكوثري

(١) التفسير والمفسرون (١/١٦١) وما بعدها.

في "المقالات" إنه لا يتحاشى عن النقل من كل كتاب، وعن كل من هب ودب![1].

ومن ثم... يقول الشيخ إسماعيل حقي دفاعًا عن إيراده الأحاديث الموضوعة في تفسيره: واعلم أن الأحاديث التي ذكرها صاحب "الكشاف" في أواخر هذه السورة – أي سورة التوبة – وتبعه القاضي البيضاوي، والمولى أبو السعود– يعني الأحاديث الموضوعة في فضائل سور القرآن– من أجلَّة المفسرين، قد أكثر العلماء القول فيها، فمن مثبت، ومن نافٍ، بناءً على زعم وضعها كالإمام الصغاني وغيره.

واللائح لهذا العبد الفقير سامحه الله القدير: أن تلك الأحاديث لا تخلو إما أن تكون صحيحة قوية، أو سقيمة ضعيفة أو مكذوبة موضوعة.

فإن كانت صحيحة قوية فلا كلام فيها، وإن كانت ضعيفة الأسانيد، فقد اتفق المحدثون على أن الحديث الضعيف يجوز العمل به في الترغيب والترهيب فقط.

وإن كانت موضوعة فقد ذكر الحاكم وغيره أن رجلًا من الزهاد انتدب في وضع الأحاديث في فضل القرآن وسوره، فقيل له: لم فعلت هذا؟ فقال: رأيت الناس زهدوا في القرآن، فأحببت أن أرغبهم فيه، فقيل له: إن النبي ﷺ– قال: "من كذب على متعمدًا فليتبوأ مقعده من النار" [2]. فقال: أنا ما كذبت عليه، إنما كذبت له!!!

(١) انظر المقالات للكوثري (ص: ٤٨٣ – ٤٨٤).

(٢) حديث متواتر ورد بألفاظ متعددة هذا أشهرها. نظم المتناثر في الحديث المتواتر للكتاني (ص: ٢٨).

أراد: أن الكذب عليه يؤدى إلى هدم قواعد الإسلام، وإفساد الشريعة والأحكام، وليس كذلك الكذب له فإنه للحث على اتباع شريعته، واقتفاء أثره في طريقته، قال الشيخ عز الدين بن عبد السلام: الكلام وسيلة إلى المقاصد، فكل مقصود محمود يمكن التوصل إليه بالصدق والكذب جميعًا، فالكذب حرام، فإن أمكن التوصل إليه بالكذب دون الصدق فالكذب فيه مباح إن كان تحصيل ذلك المقصود مباحًا، وواجب إن كان ذلك المقصود واجبًا، فهذا ضابطه، انتهى. أ.هـ (١)

وهذا غلط جسيم جدًا، واستدلال باطل نعوذ بالله منه، وما أدرى كيف صدر من الشيخ حقي وهو ممن قيل فيه: الفقيه الأصولي؟!

ولعل نزعته الغالية في التصوف هي التي هونت عليه مثل هذا القول، فنسأل الله السلامة والصون، والقرآن الكريم غنى عن الكذب في فضله وفضل تلاوته وتاليه. وكلام الشيخ ابن عبد السلام غير وارد في هذا الصدد إطلاقًا وجزمًا، وإنما هو في تحصيل حق مغتصب أو دفع ظلم مداهم، أو نحو ذلك، أما أن يستدل به على سواغية الكذب على رسول الله -صَلَّىٰ ٱللَّٰهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- بدعوى أن ذلك كذب له لا كذب عليه!

وأن المحرم إنما هو الكذب عليه، فهذه مغالطة مكشوفة ساقطة، نقضها العلماء من أول يوم صدرت فيه بقوله -صَلَّىٰ ٱللَّٰهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- "من قال على ما لم أقل فليتبوأ مقعده من النار" إذ هو شامل الكذب عليه أو له على سواء، ويشهد لذلك أيضًا قوله تعالى: ﴿وَٱجْتَنِبُواْ قَوْلَ ٱلزُّورِ﴾(٢) فإنه يشمل بإطلاقه تحريم الكذب له وعليه والله قرنه بالشرك حيث قال: ﴿فَٱجْتَنِبُواْ ٱلرِّجْسَ مِنَ

(١) روح البيان في تفسير القرآن (٩٧٧/١) آخر تفسير سورة التوبة.

(١) سورة الحج: ٣٠

ٱلۡأَوۡثَٰنِ وَٱجۡتَنِبُواْ قَوۡلَ ٱلزُّورِ﴾.

والمؤمن لا يتصور منه الكذب على أقل الناس شأنًا، فكيف إذا كذب على رسول الله -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- المبلغ عن الله تعالى؟!! ثم زعم ذلك: نصرة منه للشريعة المطهرة، وتأييدًا لصاحبها!! ولو أبيح مثل هذا المبدأ الضال المضل - الكذب له -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- بدعوى الغاية المستحسنة منه لارتفع الأمان عن السنة المطهرة! لاحتمال أن يكون كل حديث منها من ذلك السبيل(١).

فهذا الفهم الخاطئ هو الذي حدا ببعض غلاة المتصوفة وجهلتهم إلى وضع الأحاديث في الترغيب والترهيب بزعم أنه كذب للرسول - صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- لا عليه، وكذبوا في قولهم، وضلوا في فهمهم. وهؤلاء المتصوفة الجهلة هم الذين عناهم يحيى بن سعيد القطان حينما قال: " لم نر أهل الخير في شيء أكذب منهم في الحديث" (٢).

وهم الذين عناهم أبو عاصم النبيل حينما قال: "ما رأيت الصالحين يكذبون في شيء أكثر من الحديث" (٣).

يقول الإمام اللكنوي -رَحِمَهُ اللهُ- في كتاب "الآثار المرفوعة في الأخبار الموضوعة" بعد أن أورد جملة من الروايات التي تحذر من الكذب على النبي -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- وتتوعد الكذاب بالنار يوم القيامة ما نصه: "قد ثبت من هذه الروايات أن الوضع على النبي -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- ونسبة ما لم يقله إليه حرام مطلقًا، ومستوجب لعذاب النار سواء كان ذلك في الحلال والحرام، أو ترغيب، أو ترهيب، أو غير ذلك، فبطل ظن بعض الوضاعين

---

(١) حاشية الشيخ عبد الفتاح أبو غدة على هامش الأجوبة الفاضلة للإمام اللكنوي (ص ١٣٤).

(٢) مقدمة صحيح مسلم (١/٧٩).

(٣) الوسيط في علوم ومصطلح الحديث (ص ٣٤٩).

الجهلة أن الكذب عليه -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- للترغيب والترهيب يجوز، لأنه كذب لـه لا عليه. وأيضًا ثبت من الروايات المذكورة أنه كما أن الكذب عليه -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- قولًا وعملًا بأن ينسب إليه قولًا لم يقله، وعملًا لم يفعله من أكبر الكبائر، كذلك نسبة فضيلة أو مرتبة لم تثبت وجودها في الذات المقدسة النبوية بالآيات أو الأحاديث المعتبرة إلى ذاته المطهرة أيضًا من أكبر الكبائر.

فليتيقظ الوعاظ المذكرون، وليحذر القصاص والخطباء الآمرون الزاجرون حيث ينسبون كثيرًا من الأمور إلى الحضرة المقدسة التي لم يثبت وجودها فيها، ويظنون أن في ذلك أجرًا عظيمًا لإثبات فضل الذات المقدسة وعلو قدرها، ولا يعلمون أن في الفضائل النبوية التي ثبتت بالأحاديث الصحيحة غنية عن تلك الأكاذيب الواهية، ولعمرى فضائله -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- خارجة عن حد الإحاطة والإحصاء، ومناقبه التي فاق بها على جميع الورى كثيرة جدًا من غير انتهاء، فأي حاجة إلى تفضيله بالأباطيل؟ بل هو موجب للإثم العظيم، وضلالته عن سواء السبيل. أهـ[1]

---

(١) الآثار المرفوعة في الأخبار الموضوعة (ص ٣٦).

جهود العلماء في مقاومة الوضع

ولأن الأمر جد خطير لم يكتف علماء الإسلام بما وضعوه من أمارات وقرائن لمعرفة الحديث الموضوع، بل قاموا كذلك - في سبيل الحفاظ على السنة - بجهود موفقة ومشكورة لمقاومة حركة الوضع في الحديث، وهذه الجهود تتمثل فيما يلي:

أولاً: المبادرة إلى تدوين السنة:

لم تدون السنة في عصر النبي الله، ولا في عصر الصحابة -رضي الله عنهم- ، وإنما بدأ تدوينها في عصر التابعين، وهو العصر الذي كثر فيه الوضع في الحديث، وانتشرت الموضوعات بين الناس انتشارا كبيرا، ويذكر المؤرخون أن أمير المؤمنين عمر بن عبد العزيز -رضي الله عنه- هو أول من فكر في تدوين سنة النبي -صلى الله عليه وسلم-- وكان ذلك على رأس المائة الأولي من هجرة الرسول، فقد كتب عمر بن عبد العزيز إلى أبى بكر ابن حزم - عامله وقاضيه على المدينة - يقول: انظر ما كان من حديث رسول الله فاكتبه، فاني خفت دروس العلم وذهاب العلماء وأوصاه أن يكتب له ما عند عمرة بنت عبد الرحمن الأنصارية والقاسم بن محمد بن أبي بكر، وكذلك كتب إلى عماله في أمهات المدن الإسلامية بجمع الحديث، وممن كتب إليه بذلك الإمام محمد بن شهاب الزهري.[1]

ومنذ ذلك الحين أقبل العلماء على جمع السنة، وتدوين الحديث بهمة موفورة ونشاط بالغ، وجد عظيم، ولم يكد ينتهي القرن الثالث الهجري حتى

---

(١) انظر: الحديث والمحدثون (ص ٢٤٤)، في أصول الحديث (ص ١٠٠)، السنة ومكانتها في التشريع الإسلامي (ص ١٠٢)

كانت الأحاديث النبوية مجموعة في كتب معتمدة مثل كتاب الموطأ للإمام مالك، وكتاب المسند للإمام أحمد، وصحيح البخاري، وصحيح مسلم، وسنن الترمذي والنسائي وابن ماجة وأبي داود، وغيرها من الكتب التي حفظت لنا هذا التراث العظيم الذى تركه لنا رسول الإنسانية محمد ا، وبهذا العمل الجليل حال علمائنا الكرام بين الوضاعين وبين ما أرادوه من الإفساد والعبث في سنة الرسول -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-.

ثانيًا: وضع علم الجرح والتعديل:

ومن الجهود المباركة كذلك في مقاومة حركة الوضع في الحديث أن علماء نا الأجلاء قاموا بوضع علم يتعلق برجال الحديث، وهو ما يعرف بعلم الجرح والتعديل، وهذا العلم يبحث فيه عن أحوال الرواة وأمانتهم وثقتهم وعدالتهم وضبطهم، أو عكس ذلك من كذب أو غفلة أو نسيان.

ويصف الدكتور مصطفى السباعي هذا العلم بأنه من أجل العلوم التي نشأت عن تلك الحركة المباركة - يعنى حركة العلماء وجهودهم في مقاومة الوضع - لا نعرف له مثالا أيضًا في تاريخ الأمم الأخرى، وقد أدى إلى نشأة هذا العلم حرص العلماء علي الوقوف على أحوال الرواة، حتي يميزوا بين الصحيح وغيره، فكانوا يختبرون بأنفسهم من يعاصرونهم من الرواة، ويسألون السابقين ممن لم يعاصرونهم، ويعلنون رأيهم فيهم دون تحرج ولا تأثم، إذ كان ذلك ذبا عن دين الله وسنة رسوله -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-، وقد قيل للبخاري: إن بعض الناس ينقمون عليك التاريخ يقولون: فيه اغتياب الناس، فقال: إنما روينا ذلك رواية، ولم نقله من عند أنفسنا، وقد قال النبي -

صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-: «بئس أخو العشيرة المغتاب»[1].

وإذن فالباعث على وضع هذا العلم هو صيانة السنة والذب عنها، وتمييز ما صح من الأحاديث عن غيره، وقد أجاز العلماء الجرح وهو بيان حالة الراوي من كذَّب، أو، فسق، أو جهل، أو زندقة، أو اعتقاد فاسد ونحو ذلك. لما يترتب عليه من صيانة الشريعة والذب عنها، وبيان ما تطرق إلى السنة وهي الأصل الثاني للدين – من أحاديث موضوعة وضعيفة ومنكرة وشاذة، ولا يعد تجريح الراوي هنا من باب الغيبة المحرمة شرعًا قال أبو بكر بن خلاد ليحيى بن سعيد: أما تخشى أن يكون هؤلاء الذين تركت حديثهم خصماءك عند الله؟ فقال: لأن يكونوا خصماني أحب إلي من أن يكون خصمي رسول الله -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-، يقول لي: (لم لا تذب الكذب عن حديثي)

وقال أَبُو تُرَابٍ النَّخْشَبِيُّ لأحمد بن حنبل: لا تغتب العلماء، فقال له أحمد ويحك، هذا نصيحة، ليس هذا غيبة، وقال بعض الصوفية لابن المبارك: تغتاب؟ قال: اسكت، إذا لم نبين كيف نعرف الحق من الباطل.[2]

والجرح له مراتب أشدها ثلاثة – وفيها يكون الراوي ساقطًا لا يكتب حديثه ولا يعتبر به – وهي:

المرتبة الأولى –وهي أقلها– أن يقولوا: (مردود الحديث، أو ضعيف جدًا، أو طرحوا حديثه، أولا يساوى شيئًا).

المرتبة الثانية –وتزداد قبحًا عن الأولى– أن يقولوا: (متروك الحديث، أو

---

(١) السنة ومكانتها في التشريع الإسلامي (ص ١٠٦).

(٢) تدريب الراوي (٢/٣٦٩)

ساقط، أو لا يعتبر بحديثه، أو متهم بالكذب أو بالوضع)

المرتبة الثالثة -وهي أقبح المراتب الثلاثة- أن يقولوا: (كذاب. أو دجال، أو وضاع، أو يضع الأحاديث) [(١)]

ومما يدل على الدقة المتناهية لدى علماء الجرح والتعديل أنهم قالوا: إن الذي يكذب في حديث الرسول -صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- لا تقبل روايته بحال، وإن تاب عن الكذب، بخلاف الذى يكذب في حديث الناس، ثم يتوب: فان روايته تقبل بعد التوبة، وفى ذلك يقول الحافظ ابن كثير: "التائب من الكذب في حديث الناس تقبل روايته، خلافًا لأبي بكر الصَّيْرَفِيّ، فأما إن كان قد كذب في الحديث متعمدًا فنقل ابن الصلاح عن أحمد بن حنبل وأبي بكر الحميدي شيخ البخاري: أنه لا تقبل روايته أبدًا، وقال أبو الْمُظَفَّرِ السَّمْعَانِيُّ: من كذب في خبر واحد وجب إسقاط ما تقدم من حديثه [(٢)]، وعلق الشيخ أحمد شاكر على كلام ابن كثير هذا فقال: (ورد النووي هذا، فقال - في شرح مسلم-: "المختار القطع بصحة توبته، وقبول روايته كشهادته، كالكافر إذا أسلم»، والراجح ما قاله أحمد بن حنبل ومن معه تغليظًا وزجرا بليغًا عن الكذب على رسول الله -صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-، لعظم مفسدته، فانه يصير شرعًا مستمرًا إلى يوم القيامة، بخلاف الكذب على غيره والشهادة فان مفسدتهما قاصرة ليست عامة، فلا يقاس الكذب في الرواية على الكذب في الشهادة أو في غيرها، ولا على أنواع المعاصي الأخرى". [(٣)]

---

(١) انظر تدريب الراوي (٣٤٧/١)

(٢) الباعث الحثيث (ص ١١٢).

(٣) المصدر السابق (ص ١١٣).

هذا والكتب التي ألفها العلماء في مجال الجرح والتعديل كثيرة، منها ما أفرد لذكر الثقات فقط مثل كتاب الثقات لابن حبان، ومنها ما أفرد لذكر الضعفاء والمتروكين فقط مثل كتاب الكامل لا بن عدى، ومنها ما جمع فيه بين الثقات والضعفاء مثل تواريخ البخاري الثلاثة: الكبير وهو مرتب على حروف المعجم، والأوسط والصغير وهما مرتبان على السنين.

ثالثًا: تصنيف الكتب في بيان الأحاديث الموضوعة:

ثم تتبع علماؤنا الاجلاء جزاهم الله خيرًا عن الإسلام وأهله - الأحاديث الموضوعة، وأفردوها بالجمع والتأليف، وبينوا ما في أسانيدها من الرواة الوضاعين، وما في متونها من إمارات الوضع، وعلامات الكذب، حتى لا ينخدع بها أحد من المسلمين، وبذلك أسدوا أجل الخدمات للسنة النبوية الشريفة على صاحبها أفضل الصلاة والسلام، ومن أشهر الكتب التي ألفت في هذا المجال مما يلي:

١. كتاب "**الموضوعات**" للحافظ أبي الفرج ابن الجوزي المتوفي سنة ٥٩٧ هـ ومما يؤخذ على هذا الكتاب أن ابن الجوزي تساهل فيه كثيرا، بحيث أدخل في الموضوع ما ليس منه مثل الأحاديث الضعيفة التي لا دليل فيها على الوضع، وقد ذكر السيوطي - في التدريب - أن فيه الحسن والصحيح؛ ثم قال: (وأغرب من ذلك أن فيه حديثًا من صحيح مسلم وهو ما رواه من طريق أبي عامر العقدي عن أفلح بن سعيد عن عبد الله بن رافع عن أبي هر هريرة قال: قال -صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-: «إن طالت بك مدة أوشك أن ترى قومًا يغدون في سخط الله، ويروحون في امنته، في أيديهم مثل أذناب البقر». قال شيخ الإسلام -يعنى الحافظ ابن حجر-: لم أقف في كتاب الموضوعات على شيء حكم عليه بالوضع، وهو في أحد

الصحيحين - غير هذا الحديث، وإنها لغفلة شديدة منه. [١]

كما يقول ابن حجر - عن كتاب الموضوعات هذا -: "غالب ما في كتاب ابن الجوزي موضوع، والذي ينتقد عليه - بالنسبة إلى ما لا ينتقد - قليل جدا، وفيه من الضرر أن تظن ما ليس بموضوع موضوعًا عكس الضرر بمستدرك الحاكم، فانه يظن ما ليس بصحيح صحيحًا، ويتعين الاعتناء بانتقاد الكتابين، فان الكتابين في تساهلهما عدم الانتفاع بهما إلا لعالم بالفن، لأنه ما من حديث إلا ويمكن أن يكون قد وقع فيه التساهل". [٢]

٢. كتاب **"اللآلئ المصنوعة في الأحاديث الموضوعة"** للحافظ جلال الدين السيوطي المتوفى سنة ٩١١ هـ، وقد ذكر السيوطي في التدريب أنه اختصره من كتاب ابن الجوزي، فعلق أسانيده، وذكر منها ما تمس إلي-ه الحاجة، وأتى بالمتون وكلام ابن الجوزي عليها، وتعقب كثيرًا منها، وتتبع كلام الحفاظ في تلك الأحاديث، خصوصًا ما ذكره شيخ الإسلام ابن حجر في تصانيفه. [٣]

وللسيوطي أيضًا كتاب آخر في هذا المجال، وهو ذيل اللآلئ المصنوعة، زاد فيه ما فات ابن الجوزي في الموضوعات. [٤]

٣. كتاب **"الفوائد المجموعة في الأحاديث الموضوعة"** للإمام أبي عبد الله محمد بن على الشوكاني المتوفى سنة ١٢٥٠هـ لكنه أدرج فيه كثيرًا من

---

(١) تدريب الراوي (٢٧٨/١) وما بعدها (بتصرف).

(٢) المصدر السابق (٢٧٩/١).

(٣) المصدر السابق بتصرف في العبارة.

(٤) السنة ومكانتها في التشريع الإسلامي (ص ١١٧).

الأحاديث التي لم تبلغ درجة الوضع، بل ومنها صحاح وحسان، قلد في ذلك ابن الجوزي وأضرا به من المتساهلين [1]

٤. كتاب **"تذكرة الموضوعات"** للحافظ أبي الفضل محمد بن طاهر المقدسي المتوفى سنة ٥٠٧هـ، وقد ذكر فيه الأحاديث التي رواها الكذبة والمجروحون، والضعفاء والمتروكون.

(١) الحديث والمحدثون (ص: ٤٨٩)

أسئلة تدريبية

س١ ما هي أمارات الوضع في سند الحديث؟

س٢ ما هي الأمارات التي تكون في متن الحديث؟

س٣ هناك جملة من الآثار السيئة للوضع بينها مع التمثيل لما تذكر.

س٤ تصدي العلماء في مقاومة الوضع وكانت لهم في هذا المجال جهود تكلم عن تلك الجهود بشيء من التفصيل.

نماذج من الأحاديث الموضوعة في التفسير

لقد كان التفسير من الميادين الفسيحة التي كثر فيها الوضع، وجال فيها الوضاعون وصالوا، ونشطوا فيها نشاطًا كبيرًا، فتارة كان الوضاعون يضعون الأحاديث في أسباب النزول بغية أن يفسروا القرآن في ضوئها على حسب أهوائهم، وتارة أخرى كانوا يضعون الأحاديث في المراد من بعض الآيات انتصارًا لمذهب معين، وطورًا كانوا يضعون الأحاديث في تحديد المعنى للآيات، مثلما فعل الباطنية الذين كانوا يفسرون القرآن تفسيرًا رمزيًا ويستدلون على تفاسيرهم تلك ببعض الأحاديث الموضوعة.

وقد انتشر الوضع في التفسير منذ عصر مبكر من عصور الإسلام، حتى أنه يروى عن الإمام أحمد بن حنبل المتوفى سنة ٢٤١ هـ، أنه قال: "ثلاثة ليس لها أصل: التفسير والملاحم والمغازي". وفي رواية: "ثلاثة كتب لا أصل لها: المغازي والملاحم والتفسير". (١)

واختلف العلماء في فهم المراد من كلام ابن حنبل هذا، وماذا يريد بعبارته تلك، فقال الخطيب البغدادي: "هذا محمول على كتب مخصوصة في هذه المعاني، غير معتمد عليها، لعدم عدالة ناقليها، وزيادة القصاص فيها، فأما كتب الملاحم فجميعها بهذه الصفة، وليس يصح في ذكر

---

(١) المغازي جمع مغزى، يقال: غزا يغزوا غزوا ومغزى، وأصل الغزو القصد، ومغزى الكلام مقصده، والمراد بالمغازي هنا ما وقع من قصد النبي -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- الكفار بنفسه أو بجيش من قبله، أي ما يعم الغزوات والسرايا الحربية، أما الملاحم فجمع ملحمة، والملحمة هي الحرب ذات القتل الشديد كما في لسان العرب، وتطلق أحياناً على القتال في الفتنة أو الوقعة العظيمة في الفتنة، ولعل هذا المعنى الأخير هو المراد هنا، فالملاحم هي حروب الفتنة التي وقعت أو تقع بين المسلمين بعضهم مع بعض ولم يثبت فيها سوى أحاديث قليلة.

الملاحم المرتقبة والفتن المنتظرة غير أحاديث يسيرة، وأما كتب التفسير فمن أشهرها كتابا الكلبي ومقاتل بن سليمان، وقد قال الإمام أحمد في تفسير الكلبي: من أوله إلى آخره كذب. قيل له فيحل النظر فيه؟ قال: لا، وقال أيضًا: كتاب مقاتل قريب منه"، وأما المغازي فمن أشهرها كتب محمد بن اسحاق: وكان يأخذ عن أهل الكتاب، وقال الشافعي: كتب الواقدي كذب، وليس في المغازي أصح من كتاب موسى بن عقبة". (١)

ويرى بعض العلماء أن المراد من كلام الإمام أحمد هو أن ما لم يصح من الأحاديث - في مجال التفسير- كثير جدًا إذا قيس بالصحيح، ومثل التفسير المغازي والملاحم، قال ابن تيمية: "ومعلوم أن المنقول في التفسير أكثره كالمنقول في المغازي والملاحم) ولهذا قال الإمام أحمد: "ثلاثة أمور ليس لها إسناد: التفسير والملاحم والمغازي"، ويروى: "ليس لها أصل" أي إسناد، لأن الغالب عليها المراسيل". (٢)

وقال الزركشي: "لطالب التفسير مآخذ كثيرة، أمهاتها أربعة: الأول النقل عن الرسول -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-، وهذا هو الطراز الأول، لكن يجب الحذر من الضعيف فيه والموضوع فانه كثير، وإن سواد الأوراق سواد في القلب، قال الميموني: سمعت أحمد بن حنبل يقول: ثلاثة كتب ليس لها أصول: المغازي والملاحم والتفسير، قال المحققون من أصحابه: ومراده أن الغالب أنها ليس لها أسانيد صحاح متصلة، وإلا فقد صح من ذلك كثير". (٣)

وسواء أكان المراد من العبارة هذا أم ذاك فانه يغلب على الظن أن هذه

(١) الحديث والمحدثون (ص: ٤٨٦)

(٢) مقدمة في أصول التفسير (ص: ٥٨ - ٥٩)

(٣) البرهان في علوم القرآن (٢/١٥٦)

العبارة قيلت بسبب انتشار ظاهرة الوضع في التفسير، في هذا العصر المبكر الذي عاش فيه الإمام أحمد بن حنبل -رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ-.

وأيضًا يذكر شيخ الإسلام ابن تيمية في أوائل القرن الثامن الهجري أن كثيرًا من كتب التفسير مشحون بالأحاديث الموضوعة التي لا أصل لها فيقول: "وفي التفسير من هذه الموضوعات قطعة كبيرة، مثل الحديث الذي يرويه الثعلبي والواحدي والزمخشري في فضائل سور القرآن سورة سورة، فإنه موضوع باتفاق أهل العلم، والثعلبي نفسه كان فيه خير ودين، ولكنه كان حاطب ليل. ينقل ما وجد في كتب التفسير من صحيح وضعيف وموضوع، والواحدي صاحبه، كان أبصر منه بالعربية، لكن هو أبعد السلامة واتباع السلف، والبغوي تفسيره مختصر من الثعلبي. لكنه صانه الأحاديث الموضوعة والآراء المبتدعة، والموضوعات في كتب التفسير كثيرة، منها الأحاديث الكثيرة الصريحة في الجهر بالبسملة، وحديث على الطويل في تصدقه بخاتمه في الصلاة، فانه موضوع باتفاق أهل العلم، ومثل ما روى في قوله ﴿وَلِكُلِّ قَوْمٍ هَادٍ﴾ [1] إنه علي، ﴿وَتَعِيَهَآ أُذُنٌ وَٰعِيَةٌ﴾ [2] أذنك يا علي". [3]

وبعد فإليك أمثلة من الأحاديث الموضوعة في التفسير، وما قاله العلماء فيها، والله المستعان.

---

(١) سورة الرعد: ٧

(٢) سورة الحاقة: ١٢.

(٣) مقدمة في أصول التفسير (ص: ٧٥) وما بعدها

المثال الأول: قصة الغرانيق:

ذكر بعض المفسرين عند تفسير قوله تعالى: ﴿وَمَآ أَرۡسَلۡنَا مِن قَبۡلِكَ مِن رَّسُولٖ وَلَا نَبِيٍّ إِلَّآ إِذَا تَمَنَّىٰٓ أَلۡقَى ٱلشَّيۡطَٰنُ فِيٓ أُمۡنِيَّتِهِۦ فَيَنسَخُ ٱللَّهُ مَا يُلۡقِي ٱلشَّيۡطَٰنُ ثُمَّ يُحۡكِمُ ٱللَّهُ ءَايَٰتِهِۦۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٞ﴾ [(١)] رواية باطلة في سبب نزول هذه الآية الكريمة، ملخصها: أن الرسول -صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- لما نزلت عليه سورة (النجم) أخذ يتمرؤها على الناس، ويلقيها على مسامع المشركين، فلما بلغ قوله تعالى: ﴿أَفَرَءَيۡتُمُ ٱللَّٰتَ وَٱلۡعُزَّىٰ ١٩ وَمَنَوٰةَ ٱلثَّالِثَةَ ٱلۡأُخۡرَىٰٓ﴾. ألقى الشيطان بعد ذلك في قراءة الرسول -صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- جملتين فاسدتين. هما: تلك الغرانيق العلا[(٢)]، وإن شفاعتهن لترتجى»، فسر المشركون بذلك سرورًا عظيما، لأنه ذكر آلهتهم بخير، فلما سجد الرسول -صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- في آخر السورة سجد معه المشركون.

وتقول الرواية - إمعانًا في نسج خيوط هذه القصة - أن هذه الكلمة فشت في الناس وأظهرها الشيطان حتى بلغت أرض الحبشة، وأن كثيرًا من المهاجرين إلى الحبشة رجعوا إلى مكة، إثر حدوث ذلك، ظنًا منهم أن مشركي مكة قد أسلموا. [(٣)]

وممن انخدع بتصديق هذه الرواية الباطلة من المفسرين العلامة جار الله الزمخشري، حيث يقول: "والسبب في نزول هذه الآية أن رسول الله -

---

(١) سورة الحج: ٥٣.

(٢) الغَرَانِيق هَاهُنَا: الأصْنَام، وَهِيَ فِي الأَصل الذكُور مِنْ طَيْر المَاء، واحِدُها: غُرْنُوق وغُرْنَيْق، سُمِّي بِهِ لِبَيَاضِهِ، وَكَانُوا يَزْعمون أَنَّ الأَصْنَامَ تُقَرِّبُهم مِنَ اللهِ وتَشْفَع لَهُمْ، فشُبِّهَت بِالطُّيُورِ الَّتِي تَعْلُو فِي السَّماء وتَرْتَفع". النهاية في غريب الحديث والأثر (٣/٣٦٤)

(٣) تفسير ابن كثير (٥/٤٣٨)، وتفسير الآلوسي (١٧/١٧٦)

صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- لما أعرض عن قومه وشاقوه، وخالفه عشيرته ولم يشايعوه على ما جاء به تمنى - فرط ضجره من إعراضهم، ولحرصه وتهالكه على إسلامهم أن لا ينزل عليه ما ينفرهم، لعله يتخذ ذلك طريقًا إلى استمالتهم واستنزالهم عن غيهم وعنادهم، فاستمر به ما تمناه، حتى نزلت عليه سورة (النجم) - في نادى قومه، وذلك التمني في نفسه - فأخذ يقرؤها، فلما بلغ قوله تعالى: ﴿وَمَنَوٰةَ ٱلثَّالِثَةَ ٱلْأُخْرَىٰٓ﴾ ألقى الشيطان في أمنيته التي تمناها، أي وسوس إليه بما شيعها به، فسبق لسانه على سبيل السهو أو الغلط إلى أن قال: (تلك الغرانيق العلا، وإن شفاعتهم لترتجي) - وروى الغرانقة - ولم يفطن له حتى أدركته العصمة فتنبه عليه، وقيل: نبهه جبريل -عَلَيْهِ السَّلَامُ-، أو تكلم الشيطان بذلك فأسمعه الناس، فلما سجد في آخرها سجد معه جميع من في النادي، وطابت نفوسهم وكان تمكين الشيطان من ذلك محنة من الله وابتلاء، زاد المنافقون به شكا وظلمة، والمؤمنون نورا وإيقانا، والمعنى: أن الرسل والأنبياء من قبلك كانت هجير اهم[١] كذلك، إذا تمنوا مثل ما تمنيت مكن الله الشيطان، ليلقى في أمانيهم مثل ما ألقي في أمنيتك، إرادة امتحان من حولهم، والله -سبحانه له أن يمتحن عباده بما شاء من صنوف المحن، وأنواع الفتن، ليضاعف ثواب الثابتين، ويزيد في عقاب المذبذبين[٢]

وقد ذكر كثير من العلماء أن هذه الرواية مختلفة ولا أصل لها، وأنها من وضع الزنادقة وأعداء الدين، وبينوا كذلك ما تنطوي عليه هذه القصة

---

(١) يقال: مازال ذلك هجيراه - بكسر الهاء وتشديد الجيم - أي دأبه وشأنه وعادته، اه من لسان العرب.

(٢) تفسير الكشاف (٦٥/٢)

الخرافية من أدلة الفساد، وشواهد الكذب، قال الإمام الآلوسي -رَحِمَهُ ٱللَّهُ-: وقد أنكر كثير من المحققين هذه القصة. فقال البيهقي: هذه القصة غير ثابتة من جهة النقل، وقال القاضي عياض - في الشفاء -: (يكفيك في توهين هذا الحديث أنه لم يخرجه أحد من أهل الصحة، ولا رواه ثقة بسند صحيح سليم متصل، وإنما أولع به وبمثله المفسرون والمؤرخون المولعون بكل غريب، المنافقون من الصحف كل صحيح وسقيم، وفى (البحر) [(١)]. أن هذه القصة سئل عنها الإمام محمد بن إسحاق، جامع السيرة النبوية. فقال: هذا من وضع الزنادقة. وصنف في ذلك كتابًا، وذكر الشيخ أبو منصور الماتريدي - في كتاب: "حصص الأنقياء": الصواب أن قوله: (تلك الغرانيق العلا) من جملة إيحاء الشيطان إلى أوليائه من الزنادقة، حتى يلقوا بين الضعفاء وأرقاء الدين، ليرتابوا في صحة الدين، وحضرة الرسالة بريئة من مثل هذه الرواية).

وذكر غير واحد أنه يلزم على القول بأن الناطق بذلك النبي -صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- بسبب إلقاء الشيطان الملبس بالملك أمور:

- منها تسلط الشيطان عليه -صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- وهو -صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- بالإجماع معصوم من الشيطان، لاسيما في مثل هذا من أمور الوحي والتبليغ والاعتقاد، وقد قال سبحانه: ﴿إِنَّ عِبَادِى لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَٰنٌ﴾ [(٢)]. وقال تعالى: ﴿إِنَّهُۥ لَيْسَ لَهُۥ سُلْطَٰنٌ عَلَى ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟﴾ [(٣)] إلى غير ذلك.

- ومنها زيادته -صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- في القرآن ما ليس منه وذلك مما يستحيل

(١) يريد كتاب (البحر المحيط) لأبي حيان الأندلسي.

(٢) سورة الحجر: ٤٢

(٣) سورة النحل: ٩٩

عليه -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- لمكان العصمة، ومنها اعتقاد النبي -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- ما ليس بقرآن أنه قرآن، مع كونه بعيد الالتئام متناقضًا ممتزج المدح بالذم، وهو خطأ شنيع لا ينبغي أن يتساهل في نسبته إليه -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-.

- ومنها أنه إما أن يكون -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- عند نطقه بذلك معتقدًا ما اعتقده المشركون من مدح آلهتهم بتلك الكلمات، وهو كفر محال في حقه -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-، وإما أن يكون معتقدًا معنى آخر مخالفًا لما اعتقدوه، ومباينًا لظاهر العبارة، ولم يبينه لهم مع فرحهم وادعائهم أنه مدح آلهتهم، فيكون مقرًا لهم على الباطل، وحاشاه -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- أن يقر ذلك.
- ومنها كونه -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- اشتبه عليه ما يلقيه الشيطان بما يلقيه عليه الملك، وهو يقتضي أنه -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- على غير بصيرة فما يوحي إليه، ويقتضي أيضًا جواز تصور الشيطان بصورة الملك، ملبسًا على النبي، ولا يصح ذلك كما قال -في الشفاء- لا في أول الرسالة ولا بعدها، والاعتماد في ذلك دليل المعجزة.(١)

وعلى الرغم من أن هذه الرواية ظاهرة البطلان، وتفوح منها رائحة الوضع نجد الحافظ ابن حجر يميل إلى تصديق هذه الرواية، ويجهد نفسه في تأويل ما جاء فيها، ويأخذ على أبي بكر بن العربي والقاضي عياض إنكارهما لصحة هذه الرواية، فيقول بعد أن ساق طرقًا لابن عباس وغيره: (وكاها سوى طريق سعيد بن جبير إما ضعيف وإما منقطع، لكن كثرة الطرق تدل على أن للقصة أصلا، مع أن لها طريقين آخرين مرسلين،

---

(١) تفسير الآلوسي (١٧/١٧٧).

رجالها علي شرط الصحيحين» ثم قال: (وقد تجرأ أبو بكر بن العربي كعادته، فقال: ذكر الطبري في ذلك روايات كثيرة باطلة، لا أصل لها، وهو إطلاق مردود عليه، وكذا قول عياض: هذا الحديث لم يخرجه أحد من أهل الصحة، ولا رواة ثقة بسند سليم متصل، مع ضعف نقلته، واضطراب رواياته، وانقطاع إسناده، وكذا قوله: ومن حملت عنه هذه القصة من التابعين والمفسرين لم يسندها أحد منهم، ولا رفعها إلى صاحب، وأكثر الطرق عنهم في ذلك ضعيفة واهية، قال: وقد بين البزار أنه لا يعرف من طريق يجوز ذكره إلا طريق أبي بشر عن سعيد ابن جبير مع الشك الذى وقع في وصله، وأما الكلبي فلا تجوز الرواية عنه القوة ضعفه، ثم رده عن طريق النظر بأن ذلك لو وقع لارتد كثير ممن أسلم قال: ولم ينقل ذلك.. انتهى.

وجميع ذلك لا يتمشى على القواعد، فان الطرق إذا كثرت وتباينت مخارجها دل ذلك على أن لها أصلا، وقد ذكرت أن ثلاثة أسانيد منها على شرط الصحيح، وهي مراسيل يحتج بمثلها من يحتج بالمرسل، وكذا من لا يحتج به لاعتضاد بعضها ببعض، وإذا تقرر ذلك تعين تأويل ما وقع فيها مما يستنكر، وهو قوله: (ألقى الشيطان على لسانه: تلك الغرانيق العلا، وإن شفاعتهم لترتجى) فان ذلك لا يجوز حمله على ظاهره، لأنه يستحيل عليه أن يزيد في القرآن عمدا ما ليس منه، وكذا سهوا إذا كان مغايرا لما جاء به من التوحيد لمكان عصمته، وقد سلك العلماء في ذلك مسالك، فقيل: جرى ذلك على لسانه حين أصابته سنة، وهو لا يشعر، فلما علم بذلك أحكم الله آياته، وهذا أخرجه الطبري عن قتادة، ورده عياض بأنه لا

يصح، لكونه لا يجوز على النبي من ذلك، ولا ولاية للشيطان عليه في النوم، وقيل: إن الشيطان ألجأه إلى أن قال ذلك بغير اختياره، ورده ابن العربي بقوله تعالى -حكاية عن الشيطان -: ﴿وَمَا كَانَ لِيَ عَلَيْكُم مِّن سُلْطَانٍ﴾ [1] الآية، قال لو كان للشيطان قوة على ذلك لما بقى لأحد قوة في طاعة، وقيل: إن المشركين كانوا إذا ذكروا آلهتهم وصفوهم بذلك، فعلق ذلك بحفظه، فجرى على لسانه لما ذكرهم سهوا، وقد رد ذلك عياض فأجاد، وقيل: لعله قالها توبيخًا للكفار، قال عياض: وهذا جائز إذا كانت هناك قرينة تدل على المراد، ولا سيما وقد كان الكلام - في ذلك الوقت - في الصلاة جائزًا، وإلى هذا نحا الباقلاني، وقيل: إنه لما وصل إلى قوله: ﴿وَمَنَوٰةَ ٱلثَّالِثَةَ ٱلْأُخْرَىٰٓ﴾، خشى المشركون أن يأتي بعدها بشيء يذم آلهتهم به، فبادروا إلي ذلك الكلام، فخلطوه في تلاوة النبي -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-، على عادتهم في قولهم: ﴿لَا تَسْمَعُوا۟ لِهَٰذَا ٱلْقُرْءَانِ وَٱلْغَوْا۟ فِيهِ﴾ [2]، ونسب ذلك للشيطان، لكونه الحامل لهم على ذلك، أو المراد بالشيطان شيطان الإنس، وقيل: المراد بالغرانيق العلا الملائكة، وكان الكفار يقولون: (الملائكة بنات الله) ويعبدونها، فسيق ذكر الكل ليرد عليهم بقوله تعالى: ﴿أَلَكُمُ ٱلذَّكَرُ وَلَهُ ٱلْأُنثَىٰ﴾ [3]، فلما سمعه المشركون حملوه على الجميع، وقالوا: قد عظم الهتنا، ورضوا بذلك، فنسخ الله تلك الكلمتين، وأحكم آياته، وقيل: كان النبي يرتل القرآن، فارتصده الشيطان في سكتة من السكتات، ونطق بتلك

(١) سورة إبراهيم: ٢٢

(٢) سورة فصلت: ٢٦

(٣) سورة النجم: ٢١

الكلمات، محاكيًا نغمته بحيث. سمعه من دنا إليه، فظنها من قوله وأشاعها، قال: وهذا أحسن الوجوه)[1]

بيد أن جمهور علماء الإسلام القدامى والمحدثين رفضوا - بشدة - هذه القصة المشبوهة جملة وتفصيلا، وشككوا في صحة هذه الرواية الخطيرة التي تحمل في طياتها ما ينافي عصمة الرسول، ويطعن في صميم نبوته، وهل هناك أخطر على عقيدة المسلم من أن يظن - بمقتضي هذه الرواية - أن النبي تسلط الشيطان عليه، أو تمكن من إلقاء الكلام على لسانه: ﴿كَبُرَتْ كَلِمَةً تَخْرُجُ مِنْ أَفْوَٰهِهِمْ إِن يَقُولُونَ إِلَّا كَذِبًا﴾[2]، ومن هؤلاء العلماء الذين شككوا في صحة هذه الرواية الإمام عبد الحق بن عطية - أحد رجالات التفسير بالأندلس في أوائل القرن السادس الهجري، وكان معاصرًا للقاضي أبي بكر بن العربي والقاضي عياض بن موسى اليحصبي - فقد قال ابن عطية - فيما نقله عنه القرطبي: "وهذا الحديث الذى فيه (هي الغرانيق العلا) وقع في كتب التفسير ونحوها، ولم يدخله البخاري ولا مسلم، ولا ذكره - في علمي - مصنف مشهور، بل يقتضى مذهب أهل الحديث أن الشيطان ألقي، ولا يعينون هذا السبب ولا غيره، ولا خلاف أن إلقاء الشيطان إنما هو لألفاظ مسموعة، بها وقعت الفتنة، ثم اختلف الناس في صورة هذا الإلقاء، فالذي في التفاسير - وهو مشهور - القول أن النبي تكلم بتلك الألفاظ على لسانه، وحدثني أبي -رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ- أنه لقى بالمشرق من شيوخ العلماء والمتكلمين قال: هذا لا يجوز على النبي -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-، وهو المعصوم في التبليغ، وإنما الأمر أن الشيطان نطق بلفظ اسمعه الكفار عند

---

(١) فتح الباري (٨/٤٣٩، ٤٤٠) ط المطبعة السلفية.

(٢) سورة الكهف:٥.

قول النبي: ﴿أَفَرَءَيۡتُمُ ٱللَّٰتَ وَٱلۡعُزَّىٰ ١٩ وَمَنَوٰةَ ٱلثَّالِثَةَ ٱلۡأُخۡرَىٰٓ ﴾، وقرب صوته من صوت النبي: حتى التبس الأمر على المشركين، وقالوا: محمد قرأها، وقد روى نحو هذا التأويل عن الإمام أبي المعالي، وقيل: الذي ألقى شيطان الإنس، كقوله -عَزَّوَجَلَّ-: ﴿وَٱلۡغَوۡاْ فِيهِ﴾" [1]

وممن ذهب كذلك إلى عدم صحة هذه الرواية وبين أن معنى الآية لا يتوقف عليها الإمام شهاب الدين الألوسي البغدادي المتوفى سنة ١٢٧٠هـ فقد قال - بعد أن ذكر بالتفصيل وجهة نظر أولئك الذين حكموا بصحة هذه الرواية-: "لكن إثبات صحة الخبر أشد من خَرْط الْقَتَادِ [2]، فان الطاعنين فيه - من حيث النقل علماء أجلاء، عارفون بالغث والسمين من الأخبار، وقد بذلوا الوسع في تحقيق الحق فيه، فلم يروه إلا مردودا، وما ألقى الشيطان إلى أوليائه معدودا، وهم أكثر ممن قال بقبوله، ومنهم من هو أعلم منه، ويغلب على الظن أنهم وقفوا على رواته في سائر الطرق، فرأوهم مجروحين، وفات ذلك القائل بالقبول، ولعمرى أن القول بأن هذا الخبر مما ألقاه الشيطان على بعض السنة الرواة، ثم وفق الله تعالي جمعًا من خاصته لا بطاله أهون من القول بأن حديث الغرانيق مما ألقاه الشيطان على لسان رسول الله، ثم نسخه -سُبۡحَانَهُۥوَتَعَالَىٰ-، لاسيما وهو مما لم يتوقف علي صحته أمر ديني، ولا معنى آية ولا سوى أنه يتوقف عليه حصول

---

(١) تفسير القرطبي (٨١/١٢)

(٢) القتاد - كسحاب- شجر صلب له شوك كالإبر، وخرط الشجر يخرطه . من باب ضرب وقتل - انتزع الورق منه اجتذاباً بالكف. وفي المثل (من دون ذلك خَرْطُ الْقَتَادِ) «هذا مثل من أمثال العرب، القتاد: شجيرة شاكة غليظة أصول الشوك، فلذلك يضرب خرطه مثلاً في الأمر الشديد، لأنه غاية الجهد». الكامل في اللغة والأدب (٢٦٠/١)

شبه في قلوب كثير من ضعفاء المؤمنين، لا تكاد تدفع إلا بجهد جهيد، ويؤيد عدم الثبوت مخالفته لظواهر الآيات، فقد قال سبحانه... في وصف القرآن - ﴿لَا يَأْتِيهِ ٱلْبَٰطِلُ مِنۢ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِۦ تَنزِيلٌ مِّنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ﴾ [١] والمراد بالباطل ما كان باطلا في نفسه، وذلك الملقى كذلك". [٢]

ثم قال الألوسى - بعد ذلك -: "وأنت تعلم أن تفسير الآية - أعني قوله تعالى: ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَا﴾ إلخ - لا يتوقف على ثبوت أصل لهذه القصة، وأقرب ما قيل في تفسيرها - على القول بعدم الثبوت - هو وما أرسلنا من قبلك رسولا ولا نبيًا إلا وحاله أنه إذا قرأ شيئا من الآيات ألقى الشيطان الشبه والتخيلات فيما يقرؤه على أوليائه ليجادلوه بالباطل، ويردوا ما جاء به، كما قال تعالى: ﴿وَإِنَّ ٱلشَّيَٰطِينَ لَيُوحُونَ إِلَىٰٓ أَوْلِيَآئِهِمْ لِيُجَٰدِلُوكُمْ﴾ [٣]، وقال سبحانه: ﴿وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوًّا شَيَٰطِينَ ٱلْإِنسِ وَٱلْجِنِّ يُوحِي بَعْضُهُمْ إِلَىٰ بَعْضٍ زُخْرُفَ ٱلْقَوْلِ غُرُورًا﴾ [٤]، وهذا كقولهم سماع قراءة الرسول - صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ -: ﴿إِنَّمَا حَرَّمَ عَلَيْكُمُ ٱلْمَيْتَةَ﴾ [٥] -: إنه يحل ذبيح نفسه ويحرم ذبيح الله تعالى، و قولهم - على ما في بعض الروايات، عند سماع قراءته - صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ -: ﴿إِنَّكُمْ وَمَا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ حَصَبُ جَهَنَّمَ﴾ [٦] -: إن عيسى عبد من دون الله تعالى، والملائكة عليهم السلام عبدوا من دون الله تعالى، ومعنى قوله

---

(١) سورة فصلت: ٤٢.

(٢) تفسير الآلوسي (١٨٢/١٧)

(٣) سورة الأنعام: ١٢١.

(٤) سورة الأنعام: ١١٢

(٥) سورة النحل: ١١٥

(٦) سورة الأنبياء: ٩٨.

تعالى: ﴿فَيَنسَخُ ٱللَّهُ مَا يُلۡقِي ٱلشَّيۡطَٰنُ ثُمَّ يُحۡكِمُ ٱللَّهُ ءَايَٰتِهِۦ﴾ أي فيبطل الله ما يلقيه الشيطان من تلك الشبه، ويذهب به بتوفيق النبي صلي الله عليه وسلم لرده، أو بإنزال ما يرده، ﴿ثُمَّ يُحۡكِمُ ٱللَّهُ ءَايَٰتِهِۦ﴾ أي يأتي بها محكمة مثبتة لا تقبل الرد بوجه من الوجوه، وعلى ذلك فهذه الآية مسوقة لتسلية النبي - صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيۡهِ وَسَلَّمَ - بأن السعي في إبطال الآيات أمر معهود، وإنه لسعى مردود."[١]

وأيضًا من العلماء المعاصرين الذين هاجموا هذه الأسطورة، وردوا بالأدلة العلمية - أقوال أولئك الذين مالوا إلى تصديقها العالم السوري المحقق الشيخ محمد ناصر الدين الألباني، فقد ألف كتابًا في إبطال هذه القصة، أسماه: «نصب المجانيق لنسف قصة الغرانيق» والحمد لله الذي هدانا لهذا وما كنا لنهتدي لولا أن هدانا الله.

المثال الثاني: قصة أم المؤمنين زينب بنت جحش - رَضِيَ ٱللَّهُ عَنۡهَا -:

وفي تفسير قول الله تعالى: ﴿وَإِذۡ تَقُولُ لِلَّذِيٓ أَنۡعَمَ ٱللَّهُ عَلَيۡهِ وَأَنۡعَمۡتَ عَلَيۡهِ أَمۡسِكۡ عَلَيۡكَ زَوۡجَكَ وَٱتَّقِ ٱللَّهَ وَتُخۡفِي فِي نَفۡسِكَ مَا ٱللَّهُ مُبۡدِيهِ وَتَخۡشَى ٱلنَّاسَ وَٱللَّهُ أَحَقُّ أَن تَخۡشَىٰهُ﴾ [٢] يورد بعض المفسرين رواية باطلة تتعلق بالسيدة زينب بنت جحش - رَضِيَ ٱللَّهُ عَنۡهَا -، وتقول هذه الرواية: إن الرسول - صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيۡهِ وَسَلَّمَ - ذهب لكى يزور زيد بن حارثة فلم يجده، ووجد زوجته (زينب بنت جحش)، فوقع نظره عليها، وأعجب بها، وتعلق قلبه بحبها، ثم انصرف وهو يقول: (سبحان مقلب القلوب)، ويزعم أصحاب هذه الرواية أن هذا هو المراد من

---

(١) تفسير الآلوسى (١٧/١٨٦، ١٧٣) بشيء من التصرف في النقل.

(٢) سورة الأحزاب: ٣٧.

قوله تعالى: ﴿ وَتُخْفِي فِي نَفْسِكَ مَا ٱللَّهُ مُبْدِيهِ وَتَخْشَى ٱلنَّاسَ وَٱللَّهُ أَحَقُّ أَن تَخْشَىٰهُ﴾، فقد أخفى الرسول حبها في قلبه آنذاك، ولكن الله أظهره بزواج الرسول -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- من زينب بعد ذلك.

ومن المفسرين الذين انساقوا وراء هذه الرواية الباطلة جار الله الزمخشري فقد قال: "﴿أَمْسِكْ عَلَيْكَ زَوْجَكَ﴾: يعني زينب بنت جحش -رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا-، وذلك أن رسول الله -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- أبصرها بعدما أنكحها إياه يقصد زيدا - فوقعت في نفسه، فقال: (سبحان الله مقلب القلوب) وذلك أن نفسه كانت تجفو عنها قبل ذلك لا تريدها، ولو أرادتها لاختطها، وسمعت زينب بالتسبيحة، فذكرتها لزيد ففطن، وألقى الله في نفسه كراهة صحبتها، والرغبة عنها لرسول الله -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-، فقال لرسول الله: إني أريد أن أفارق صاحبتي، فقال: مالك؟ أرابك منها شيء؟ قال: لا والله ما رأيت منها إلا خيرًا، ولكنها تتعاظم على لشرفها وتؤذيني، فقال له: أمسك عليك زوجك واتق الله، ثم طلقها بعد، فلما اعتدت قال رسول الله -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-: ما أجد أحدا أوثق في نفسي منك، اخطب على زينب، قال زيد: فانطلقت فاذا هي تخمر عجينها، فلما رأيتها عظمت في صدري، حتى ما أستطيع أن أنظر إليها حين علمت أن رسول الله -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- ذكرها، فوليتها ظهري، وقلت: يا زينب أبشري، إن رسول الله -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- يخطبك، ففرحت وقالت: ما أنا بصانعة شيئًا حتى أؤامر ربي فقامت إلى مسجدها، ونزل القرآن ﴿زَوَّجْنَٰكَهَا﴾، فتزوجها رسول الله -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-، ودخل بها". (١)

كذلك ردد ابن القيم هذه الأكذوبة في كتاب من كتبه، فقال: "وهذا سيد

---

(١) تفسير الكشاف (٢/٢١٣).

الأولين والآخرين، ورسول رب العالمين -صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- نظر إلى زينب بنت جحش رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهَا، فقال: (سبحان مقلب القلوب) وكانت تحت زيد بن حارثة، مولاه، فلما هم بطلاقها قال له: (اتق الله وأمسك عليك زوجك). فلما طلقها زوجها الله سبحانه من رسوله -صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-، من فوق سبع سماوات، فكان هو وليها وولى تزويجها من رسول الله -صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- وعقد عقد نكاحها من فوق عرشه، وأنزل على رسوله: ﴿وَإِذْ تَقُولُ لِلَّذِيٓ أَنْعَمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَأَنْعَمْتَ عَلَيْهِ أَمْسِكْ عَلَيْكَ زَوْجَكَ وَٱتَّقِ ٱللَّهَ وَتُخْفِي فِي نَفْسِكَ مَا ٱللَّهُ مُبْدِيهِ وَتَخْشَى ٱلنَّاسَ وَٱللَّهُ أَحَقُّ أَن تَخْشَىٰهُ﴾" (١).

والحق أن هذه الرواية لا أصل لها ولا سند، وقد حكم المحققون من علماء الإسلام بأنها باطلة نقلا، وعقلا، وإليك بعض ما قالوه في هذا الصدد:

١- ذكر الإمام الآلوسي في البداية المعنى الصحيح للآية، وأن المراد من قوله تعالى: ﴿وَتُخْفِي فِي نَفْسِكَ مَا ٱللَّهُ مُبْدِيهِ﴾ هو ما أوحاه الله تعالى إلي نبيه من أن زينب سيطلقها زيد، ويتزوجها الرسول صلي الله عليه وسلم من بعده، وقال الآلوسي: (وإلي هذا ذهب أهل التحقيق من المفسرين كالزهري وبكر بن العلاء والقشيري والقاضي أبى بكر بن العربي وغيرهم(٢)، ثم بعد ذلك نعى الآلوسي على القصاص ما ذكروه في هذا المقام من كلام باطل لا يعول عليه، ولا ينبغي قبوله والالتفات إليه، لأنه مما يجب تنزيه ساحة الرسول -صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- عن مثله.

---

(١) الجواب الكافي لمن سأل عن الدواء الشافي لا بن القيم (ص ١٩٨) وما بعدها.

(٢) الفهر - بالكسر- الحجر قدر ما يدق به الجوز ونحوه، وقيل: الحجر ملء الكف، ويؤنث، وسحق الشيء يسحقه سحقاً -كمنعه -: دقه أشد الدق، وقيل: السحق الدق الرقيق. اهـ من القاموس ولسان العرب.

وفى ذلك يقول الآلوسي: (وللقصاص في هذه القصة كلام لا ينبغي أن يجعل في حيز القبول، منه ما أخرجه ابن سعد والحاكم عن محمد بن يحيى بن حبان أنه -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- جاء إلى بيت زيد فلم يجده، وعرضت زينب عليه دخول البيت، فأبى أن يدخل، وانصرف راجعًا يتكلم بكلام لم تفهم منه سوى (سبحان الله العظيم، سبحان مصرف القلوب)، فجاء زيد فأخبرته بما كان، فأتى رسول الله -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- فقال له: بلغني يا رسول الله أنك جئت بمنزلي فعلا دخلت يا رسول الله، لعل زينب أعجبتك فأفارقها، فقال -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-: ﴿أَمْسِكْ عَلَيْكَ زَوْجَكَ وَاتَّقِ اللَّهَ﴾ فما استطاع زيد إليها سبيلا بعد، ففارقها، وفي تفسير عن بن إبراهيم أنه -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- أتى بيت زيد، فرأى زينب جالسة وسط حجرتها، تسحق طيبًا بفهر لها، فلما نظر إليها قال: (سبحان خالق النور، تبارك الله أحسن الخالقين) فرجع، فجاء زيد فأخبرته الخبر، فقال لها: لعلك وقعت في قلب رسول الله -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-، فهل لك أن أطلقك حتى أزوجك رسول الله -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-، فقالت: أخشى أن تطلقني ولا يتزوجني، فجاء إلى رسول الله -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-، فقال له: أريد أن أطلق زينب، فأجابه بما قص الله تعالى، إلى غير ذلك مما لا يخفى على المتبع، وفى شرح (المواقف) أن هذه القصة مما يجب صيانة النبي -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- عن مثله(١).

٢. كما فند القرطبي هذه الرواية الساقطة، وبين ما تشتمل عليه من مساس بشخص الرسول -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-. فقال: (فأما ما روى أن النبي -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- هوى زينب امرأة زيد - وربما أطلق بعض المجان لفظ (عشق) - فهذا إنما يصدر عن جاهل بعصمة النبي عن مثل هذا، أو

---

(١) تفسير الآلوسي (٢٢/٢٤، ٢٥).

مستخف بحرمته، قال الترمذي الحكيم في (نوادر الأصول) وأسند إلى علي بن الحسين قوله -: فعلي بن الحسين جاء بهذا من خزانة العلم جواهرًا من الجواهر، ودرا من الدرر أنه إنما عتب الله عليه في أنه قد أعلمه أن ستكون هذه من أزواجك، فكيف قال بعد ذلك لزيد: (أمسك عليك زوجك، وأخذتك خشية الناس أن يقولوا: تزوج امرأة ابنه والله أحق أن تخشاه[١].

٣. كذلك أشار الحافظ ابن كثير إلي هذه الرواية الهابطة، وبين أنها غير صحيحة، ومن ثم أعرض عن ذكرها، فقال في تفسير الآية: "ذكر ابن جرير وابن أبي حاتم ههنا آثارًا عن بعض السلف رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ، أحببنا أن نضرب عنها صفحًا، لعدم صحتها، فلا نوردها»، ثم أورد ابن كثير - بعد ذلك - رواية علي بن الحسين التي أشار إليها القرطبي في تفسيره، والتي سبق ذكرها منذ قليل، فقال: (وقال ابن أبي حاتم: حدثنا أبى، حدثني علي بن هاشم بن مرزوق، حدثنا ابن عينية عن على بن زيد جدعان قال: سألني علي بن الحسين: ما يقول الحسن[٢] في قوله: ﴿وَتُخْفِي فِي نَفْسِكَ مَا ٱللَّهُ مُبْدِيهِ﴾؟ فذكرت له[٣]، فقال: لا، ولكن الله أعلم نبيه أنها ستكون من أزواجه قبل أن يتزوجها، فلما أتاه زيد ليشكوها إليه قال: ﴿أَمْسِكْ عَلَيْكَ زَوْجَكَ وَٱتَّقِ ٱللَّهَ﴾ فقال: قد أخبرتك أني مزوجكها، وتخفي في نفسك ما الله مبديه[٤].

٤. كما أضرب الحافظ ابن حجر -في فتح الباري- كذلك عن إيراد هذا

(١) تفسير القرطبي (١٤/١٩١)

(٢) لعله يقصد الحسن البصري المتوفى سنة ١١٠ هـ وهو من كبار التابعين الذين اشتهروا بالوعظ والتفسير.

(٣) يبدو أنه ذكر له جانبا من هذا القصص المشين الذي نتعرض لرده هنا.

(٤) تفسير ابن كثير (١/٤٢٠).

القصص المشين، وذكر أنه لا ينبغي التشاغل به، وبين القول الصحيح في تفسير الآية، فقال: (وقد أخرج ابن أبي حاتم هذه القصة من طريق السدي، فساقها سياقًا واضحًا حسنا، ولفظه: بلغنا أن هذه الآية نزلت في زينب بنت جحش، وكانت أمها أميمة بنت عبد المطلب عمة رسول الله -صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- ، وكان رسول الله أراد أن يزوجها زيد بن حارثة مولاه، فكرهت ذلك، ثم إنها رضيت بما صنع رسول الله -صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-؛ فزوجها إياه، ثم أعلم الله -عَزَّوَجَلَّ- نبيه -صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- بعد أنها من أزواجه فكان يستحي أن يأمر بطلاقها، وكان لا يزال يكون بين زيد وزينب ما يكون بين الناس، فأمره رسول الله أن يمسك عليه زوجه، وأن يتقي الله، وكان يخشى الناس أن يعيبوا عليه، ويقولوا: تزوج امرأة ابنه، وكان قد تبنى زيدا - وعنده من طريق علي بن زيد عن علي بن الحسين بن علي قال: أعلم الله نبيه -صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- أن زينب ستكون من أزواجه قبل أن يتزوجها، فلما أتاه زيد يشكوها إليه، وقال له: اتق الله وأمسك عليك زوجك قال الله: قد أخبرتك أني مزوجكها، وتخفي في نفسك ما الله مبديه.

وقد أطنب الترمذي الحكيم في تحسين هذه الرواية، وقال إنها من جواهر العلم المكنون، وكأنه لم يقف على تفسير السدي الذي أوردته، وهو أوضح سياقا، وأصح إسنادًا إليه، لضعف علي بن زيد بن جدعان، وروى عبد الرزاق عن معمر عن قتادة قال: جاء زيد بن حارثة، فقال: يا رسول الله إن زينب اشتد عليّ لسانها، وأنا أريد أن أطلقها، فقال له: اتق الله وأمسك عليك زوجك، قال: والنبي -صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- يحب أن يطلقها، ويخشى قالة الناس.

ووردت آثار أخرى أخرجها ابن ابي حاتم والطبري، ونقلها كثير من المفسرين لا ينبغي التشاغل بها، والذى أوردته منها هو المعتمد، والحاصل

أن الذى كان يخفيه النبي -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- هو إخبـ--ار الله إياه أنها ستصير زوجته، والذي كان يحمله على إخفاء ذلك خشية قول الناس: تزوج امرأة ابنه، وأراد الله إبطال ما كان أهل الجاهلية عليه من أحكام التبني بأمر لا أبلغ في الإبطال منه، وهو تزوج امرأة الذى يدعى ابنا، ووقوع ذلك من إمام المسلمين، ليكون أدعي لقبولهم، وإنما وقع الخبط في تأويل متعلق الخشية والله أعلم(١)

وأيضًا يقول أحد علمائنا المعاصرين - في التعليق على كلام ابن القيم سالف الذكر رحم الله ابن القيم وعفا عنه فقد انزاق - بحسن نية - إلى ما نسبه المغرضون أعداء الإسلام، لينالوا من مقام نبيه ويطعنوا في خلقه، غير مبالين بشهادة الله له ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾ (٢) ومنطوق آيات الأحزاب ومفهومها يعلنان شناعة هذا القول المفترى ويتبرآن من هذه الآثار الموضوعة، ويردان على من في قلوبهم مرض، وليس فيها شيء يشين رسول الله أو يحط من شأنه، معاذ الله وحقيقة الأمر أن المولى اقتضت حكمته أن يضع حدًا لما جرت عليه عادة الحرب من التبني وإعطاء الأدعياء جميع الحقوق والأحكام التي تخص الأبناء الحقيقيين، من الميراث وحرمة النسب وتحريم تزوج المتبنى بزوجة المتبنى بعد طلاقها، كما هو الحال في زوجة الابن الحقيقي. (٣)

ثم أخذ في شرح الآيات الكريمة من سورة الأحزاب على أساس من هذا

---

(١) فتح الباري (٨/٥١٣، ٥٢٤)

(٢) سورة القلم: ٤.

(٣) الجواب الكافي لمن سأل عن الدواء الشافي بتحقيق الأستاذ الشيخ محمود عبد الوهاب فايد (ص: ١٩٨، ١٩٩)

الفهم السليم والمنطق القويم، وقال بعد ذلك: (هذا هو الحق الذي يؤيده القرآن بمنطوقه ومفهومه، ومعاذ الله أن يكون الرسول قد اشتهى زينب بعد أن زوجها هو لزيد مولاه، ولو كان له فيها رغبة لتزوجها أول الأمر، وقد كانت - ذلك الوقت - ممتنعة على زيد، و نافرة منه، وزاهدة في الزواج به، فكيف تمتد عينه إليها بعد أن أصبحت ذات بعل والله يقول: ﴿وَلَا تَمُدَّنَّ عَيْنَيْكَ إِلَىٰ مَا مَتَّعْنَا بِهِۦٓ أَزْوَٰجًا مِّنْهُمْ زَهْرَةَ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا لِنَفْتِنَهُمْ فِيهِ﴾ [1]، أكان الله يسمح له بعد هذا النهي بأن يتبع هواه، ويساير شهوته؟ سبحانك هذا بهتان عظيم[2]

والخلاصة: أن هذه الرواية مختلفة ولا أصل لها، وأنها من وضع الزنادقة والملاحدة الذين أرادوا أن يشيروا بها الشبهات حول الرسول -صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-، ويشككوا الناس في رسالته، ويصوروه على أنه رجل شهواني يصدر عن نزوات نفسه، وتسيطر عليه ملذات حسه، ولكن أنى لهم ذلك، والرسول -صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- في عصمته وفى كمال خلقه وعظمته - أقوى من أن تنال منه تلك المحاولات الدنيئة، أو المقالات الرخيصة، إنه القمة الشامخة في عليائها، فهل يضيرها عواء الذئاب أو نباح الكلاب، ويرحم الله الشاعر الذي يقول:

كَنَاطِحٍ صَخْرَةً يَوْمًا لِيُوهِنَهَا ... فَلَمْ يَضِرْهَا وَأَوْهَى قَرْنَهُ الْوَعِلُ[3]

---

(١) سورة طه: ١٣١.

(٢) الجواب الكافي (ص: ٢٠٢).

(٣) البيت من البسيط للأعشى ميمون في يزيد بن مسهر الشيباني، ورواية الديوان والكامل:
... يوما ليفلقها ...... وأوهى ...

المثال الثالث: الأحاديث الموضوعة في فضائل القرآن:

لقد وضع بعض الناس – كما سبق أن ذكرنا – أحاديث في فضائل القرآن الكريم، ونسبوا هذه الأحاديث – كذبًا – إلى الرسول، وكانوا يعتقدون أنهم بذلك يتقربون إلى الله تعالى، ويحسبون أنهم يحسنون صنعًا، وقد برروا عملهم هذا بأنهم وجدوا الناس قد تشاغلوا عن القرآن الكريم بكتب الفقه والمغازي، فأرادوا – بهذه الأحاديث التي وضعوها – أن يرغبوا الناس في قراءة القرآن الكريم، فهؤلاء الجهال قد وضعوا تلك الأحاديث بحسن نية، إلا أن هذا لا يعفيهم من تحمل مسئولية الكذب، ولن يكون ذلك شفيعًا لهم يوم القيامة عندما يحاسبهم الله تعالى على ما وضعوا من أكاذيب وما اقترفوا من آثام.

وقد اشتهر من هؤلاء الكذابين أربعة، وضعوا الأحاديث في فضائل القرآن، وأسهموا بنصيب وافر في هذا الميدان:

الأول: هو أبو عصمة نوح بن أبي مريم، فقد روى الحاكم بسنده إلى أبي عمار المروزي أنه قيل لأبي عصمة هذا: من أين ذلك، عن عكرمة عن ابن عباس في فضائل القرآن سورة سورة وليس عند أصحاب عكرمة هذا، فقال: إني رأيت الناس قد أعرضوا عن القرآن، واشتغلوا بفقه أبي حنيفة، ومغازي ابن إسحاق، فوضعت هذا الحديث حسبة، وكان يقال لأبي عصمة هذا: نوح الجامع، قال ابن حبان: جمع كل شيء إلا الصدق.[1]

والثاني هو ميسرة بن عبد ربه[2]، فقد روى ابن حبان في الضعفاء عن ابن

---

(١) تدريب الراوي (١/٢٨٢)

(٢) ميسرة بن عبد ربه الفارسي ثم البصري. هو صاحب حديث فضائل القرآن الطويل. وقال الدارقطني: متروك. وقال أبو حاتم: كان يفتعل الحديث. وقال البخاري: يرمى بالكذب. قال ابن الجوزي في كتابه "الضعفاء والمتروكون" (١٥١/٣): "ميسرة بن عبد ربه التستري =

مهدي قال: قلت لميسرة بن عبد ربه: من أين جئت بهذه الأحاديث: من قرأ كذا فله كذا؟ قال: وضعتها أرغب الناس، وكان ميسرة هذا غلامًا يتزهد ويهجر شهوات الدنيا، وغلقت أسواق بغداد لموته، ومع ذلك كان يضع الحديث. (١)

الثالث والرابع هما بَزِيعُ بْنُ حَسَّانَ (٢) ومَخْلَدُ بْنُ عَبْدِ الْوَاحِدِ (٣) فقد قيل

= الْفَارِسِي الْبَصْرِيّ التراس يروي عَن ابْن جريج وَالثَّوْري وَمَالك ويروي عَن دَاوُد بن المحبر كتاب (الْعقل) تصنيفه وَقَالَ يحيى لَيْسَ بِشَيْء وَقَالَ البُخَارِيّ يَرْمِي ميسرَة بِالْكَذِبِ وَقَالَ ابْن حَمَّاد كَانَ كذابا وَقَالَ أَبُو دَاوُد أقرّ ميسرَة بِوَضْع الحَدِيث وَقَالَ النَّسَائِيّ وَالدَّارَقُطْنِيّ مَتْرُوك وَقَالَ أَبُو زرْعَة كَانَ يضع الحَدِيث وضعا قد وضع فِي فَضَائِل قزوين نَحْو أَرْبَعِينَ حَدِيثا وَكَانَ يَقُول ((إِنِّي أحتسب فِي ذَلِك)) وَقَالَ الْعقيلِيّ أَحَادِيثه بَوَاطِيلُ لَا يحل كتب حَدِيثه إِلَّا اعْتِبَارا وَقَالَ ابْن حبَان كَانَ يروي الموضوعات عَن الْأَثْبَات وَيَضَع المعضلات على الثِّقَات لَا يحل كتب حَدِيثه إِلَّا على الِاعْتِبَار". راجع: الميزان (٢٣٠/٤)، لسان الميزان (١٣٨/٦)، المجروحين (٣١٥/٢).

(١) المصدر السابق (٢٨٣/١)

(٢) بَزِيعُ بْنُ حَسَّانَ أَبُو الْخَلِيلِ الْخَصَّافُ بَصْرِيٌّ، روى عن هشام بن عروة، والأعمش، وعنه عبد الرحمن بن المبارك العيشي. قال أبو حاتم عنه: "ذاهب الحديث" وقال ابن حبان في المجروحين (١٨٩/١ – ١٩٠): "يأتي عن الثقات بأشياء موضوعات كأنه المتعمد لها" وقال عنه الدارقطني: "متروك" وقال الحاكم: "يروي أحاديث موضوعة ويرويها عن الثقات". قال ابن حجر: قال البرقاني عن الدارقطني متروك. لسان الميزان (١٢/٢) انظر: الجرح والتعديل (ج ١/ق ٤٢١/١)، الضعفاء والمتروكون للدارقطني (٢٦٠/١)، ميزان الاعتدال (٣٠٦/١ – ٣٠٧)، ولسان الميزان (١١/٢ – ١٢)

(٣) مَخْلَدُ بْنُ عَبْدِ الْوَاحِدِ أَبُو الْهُذَيْلِ الْبَصْرِيّ، روى عن علي بن زيد، وحميد الطويل، وعنه عامر بن سيار، ضعفه أبو حاتم، وابن حبان، والذهبي. اتهمه الذَّهَبِيّ بِخَبَر أبي بن كَعْب الطَّوِيل فِي فَضَائِل السُّور. انظر: تنزيه الشريعة المرفوعة عن الأخبار الشنيعة الموضوعة (١١٧/١)، الجرح والتعديل لابن أبي حاتم (٣٤٨/٨)، المجروحين لابن حبان (٤٣/٣)، =

أنهما وضعا معًا الحديث الطويل عن أُبي بن كعب – مرفوعًا – في فضل القرآن سورة سورة، أو أن أحدهما وضعه والآخر سرقه، قال الشوكاني: حديث: (من قرأ فاتحة الكتاب أعطي من الأجر كذا) فذكر فضل سورة سورة إلى آخر القرآن، رواه العقيلي عن أبي بن كعب مرفوعًا، قال ابن المبارك: أظن الزنادقة وضعته، والآفة من بزيع، وروي – بإسناد آخر أيضًا رواه ابن أبي داود – والآفة من مخلد بن عبد الواحد، ولهذا الحديث طرق كلها باطلة موضوعة، وذكر الخليلي في الإرشاد عن ابن عباس مرفوعًا وفي إسناده نوح بن أبي مريم، وقد أقر بأنه الواضع له: فقبح الله الكذابين ولا خلاف بين الحفاظ بأن حديث أُبي بن كعب هذا موضوع، وقد اغتر به جماعة من المفسرين، فذكروه في تفاسيرهم، كالثعلبي والواحدي والزمخشري ولا جرم فليسوا من أهل هذا الشأن)[١]

وقال العراقي – تعليقًا على من ذكره من المفسرين –: "لكن من أبرز إسناده منهم كالأولين فهو أبسط لعذره، إذ أحال ناظره على الكشف عن سنده، وإن كان لا يجوز له السكوت عليه، وأما من لم يبرز سنده وأورده بصيغة الجزم فخطؤه أفحش". [٢]

وإليك أمثلة مما ذكره الزمخشري من هذه الأحاديث الموضوعة في أواخر تفسيره لبعض السور:

١. في آخر سورة النازعات أورد في تفسيره هذا الحديث: (من قرأ سورة

ميزان الاعتدال للذهبي (٨٣/٤)

(١) الفوائد المجموعة في الأحاديث الموضوعة (ص ٢٩٦)

(٢) تدريب الراوي (٢٨٩/١)

﴿وَٱلنَّٰزِعَٰتِ﴾ كان ممن حبسه الله في القبر والقيامة حتى يدخل الجنة قدر صلاة المكتوبة)

٢. وفي آخر سورة الانفطار أورد في تفسيره هذا الحديث: (من قرأ سورة ﴿إِذَا ٱلسَّمَآءُ ٱنفَطَرَتۡ﴾ كتب الله له بعدد كل قطرة من السماء حسنة وبعدد كل قبر حسنة).

٣. وفى آخر سورة البروج ذكر في تفسيره هذا الحديث: (من قرأ سورة البروج أعطاه الله بعدد كل يوم جمعة وكل يوم عرفة يكون في الدنيا عشر حسنات)

٤. وفي آخر سورة الفجر ذكر في تفسيره هذا الحديث: (من قرأ سورة الفجر في الليالي العشر غفر له، ومن قرأها في سائر الأيام كانت له نورًا يوم القيامة).

٥. وفى آخر سورة الضحى ذكر في تفسيره هذا الحديث: (من قرأ سورة ﴿وَٱلضُّحَىٰ﴾ جعله الله فيمن يرضى لمحمد أن يشفع له، وعشر حسنات يكتبها الله له بعدد كل يتيم وسائل).

٦. وفى نهاية سورة التين أورد في كشافه هذا الحديث: (من قرأ سورة ﴿وَٱلتِّينِ﴾ أعطاه الله خصلتين: العافية واليقين، ما دام في دار الدنيا، وإذا مات أعطاه الله من الأجر بعدد من قرأ هذه السورة)

٧. وفى نهاية سورة التكاثر جاء في تفسيره هذا الحديث: (من قرأ ﴿أَلۡهَىٰكُمُ ٱلتَّكَاثُرُ﴾ لم يحاسبه الله بالنعيم الذي أنعم به عليه في دار الدنيا، وأعطى من الأجر كأنما قرأ ألف آية).

٨. وفى نهاية سورة الكوثر جاء في الكشاف هذا الحديث: من قرأ سورة

الكوثر سقاه الله من كل نهر في الجنة، ويكتب له عشر حسنات بعدد كل قربان قربه العباد في يوم النحر أو يقربونه).

٩. وفي آخر سورة الكافرون ذكر في الكشاف هذا الحديث: من قرأ سورة الكافرون فكأنما قرأ ربع القرآن، وتباعدت منه مردة الشياطين، وبرئ من الشرك، ويعافى من الفزع الأكبر.

١٠. وفى آخر سورة الفلق جاء في الكشاف هذا الحديث: (من قرأ المعوذتين فكأنما قرأ الكتب التي أنزلها الله تعالى كلها).

هذا – ومما يجدر التنبيه إليه في هذا المقام أن معظم ما أورده المفسرون في فضل سور القرآن موضوع، ماعدا أحاديث معينة صحت في فضائل بعض السور، وقد بينها الإمام السيوطي فقال: "واعلم أن السور التي صحت الأحاديث في فضائلها: الفاتحة والزهراوان(١) والأنعام، والسبع الطول(٢) مجملة، والكهف، ويس، والدخان، والملك، والزلزلة والنصر والكافرون والإخلاص والمعوذتان، وما عداها لم يصح فيه شيء" (٣)

المثال الرابع: الأحاديث الموضوعة في فضائل علي – رضي الله عنه –:

سبق أن ذكرنا أن الشيعة – ولا سيما الروافض منهم – وضعوا كثيرًا من الأحاديث في فضل علي بن أبي طالب كرم الله وجهه، وآل بيته رضوان الله عليهم. ويقتضي البحث هنا أن نذكر من هذه الأحاديث ما يتعلق بتفسير القرآن الكريم، ونكتفي في هذا المجال ببعض الأمثلة وهي:

---

(١) الزهراوان هما البقرة وآل عمران

(٢) السبع الطول هي البقرة وآل عمران والنساء والمائدة والأنعام والأعراف، واختلف في السابعة فقيل: هي الأنفال وبراءة، وقيل: هي يونس، وقيل: هي الكهف.

(٣) تدريب الراوي (١/٢٩٠).

١. في تفسير قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱلَّذِينَ يُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤۡتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَهُمۡ رَٰكِعُونَ ﴾ [١] يذكر المفسرون روايات تفيد أن علي بن أبي طالب كان قائمًا يصلي، فمر سائل وهو راكع؛ فأعطاه خاتمه، فنزلت: ﴿إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ ٱللَّهُ﴾.

وقد ذكر ابن كثير في تفسيره أن هذه الروايات لا يصح شيء منها بالكلية، لضعف أسانيدها وجهالة رجالها[٢]، كما قال ابن تيمية: إن هذا الحديث موضوع باتفاق أهل العلم. [٣]

٢. وفي تفسير قوله تعالى: ﴿أَلۡقِيَا فِي جَهَنَّمَ كُلَّ كَفَّارٍ عَنِيدٖ﴾ [٤] وضعت الشيعة هذا الحديث: "إذا كان يوم القيامة قال الله لي ولعلي بن أبي طالب: أَدْخِلا الجنة من أَحْبَكما، وأدخلا النار من أبغضكما، فذلك قوله تعالى: ﴿أَلۡقِيَا فِي جَهَنَّمَ كُلَّ كَفَّارٍ عَنِيدٖ﴾".

وقد قال الشوكاني عن هذا الحديث: "في إسناده يحيى بن عبد الحميد الحماني، وهو كذاب، وإسحاق بن محمد بن أبان النخعي، وهو الواضع له".[٥]

٣. وفى تفسير قوله تعالى: ﴿وَٱلنَّجۡمِ إِذَا هَوَىٰ﴾ يذكرون في سبب نزول السورة هذا الحديث الموضوع: "لما عرج بالنبي إلى السماء السابعة أراه الله من العجائب في كل سماء، فلما أصبح جعل يحدث الناس عن عجائب

---

(١) سورة المائدة: ٥٥

(٢) تفسير ابن كثير (١٣٠/٣)

(٣) مقدمة في أصول التفسير (ص ٧٨)

(٤) سورة ق: ٢٤

(٥) الفوائد المجموعة في الأحاديث الموضوعة (ص ٣٨٢).

ربه، وكذبه من كذبه من أهل مكة، وصدقه من صدقه، فعند ذلك انقض نجم من السماء، فقال النبي -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-: في دار مَن وقع هذا النجم فهو خليفتي من بعدي، وطلبوا ذلك النجم، فوجدوه في دار علي بن أبي طالب -رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ-، فقال أهل مكة: ضل محمد وغوى، وهوى أهل بيته ومال إلى ابن عمه. فعند ذلك نزلت هذه السورة: ﴿وَٱلنَّجۡمِ إِذَا هَوَىٰ﴾. [1]

وهذه الرواية يلوح عليها آثار الوضع، لاسيما وأنها تتحدث عن مشكلة من أعقد وأعضل المشاكل التي واجهت المسلمين بعد وفاة الرسول -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-، ألا وهي الخلافة، والشيعة - كما هو معروف - يزعمون أن عليا هو الخليفة بعد رسول الله -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-، وقد حكم الإمام الشوكاني على الحديث السابق بالوضع، فقال: "رواه الجوزقاني عن ابن عباس مرفوعًا، وفى إسناده ثلاثة كذابون، وهو موضوع بلا ريب" [2].

٤. وفي تفسير قول الله تعالى: ﴿وَيُطۡعِمُونَ ٱلطَّعَامَ عَلَىٰ حُبِّهِۦ مِسۡكِينٗا وَيَتِيمٗا وَأَسِيرًا ٨ إِنَّمَا نُطۡعِمُكُمۡ لِوَجۡهِ ٱللَّهِ لَا نُرِيدُ مِنكُمۡ جَزَآءٗ وَلَا شُكُورًا﴾ [3] وضعت الشيعة هنا قصة طويلة في سبب النزول، ملخصها أن الحسن والحسين مرضًا، فنذر علي وفاطمة وجارية لهما إن شفاهما الله تعالى أن يصوموا ثلاثة أيام شكرًا، فشفاهما الله تعالى، فصاموا اليوم الأول، وعندما جاء المغرب، وحان وقت الإفطار مر عليهم مسكين، فآثروه بالطعام، ولم يذوقوا إلا الماء، وأصبحوا صائمين، وفى اليوم الثاني مر عليهم يتيم فآثروه بالطعام، ولم يذوقوا إلا الماء، وأصبحوا صائمين، وفى اليوم الثالث مر عليهم أسير،

---

(١) سورة النجم: ١.

(٢) الفوائد المجموعة في الأحاديث الموضوعة (ص ٣٦٩).

(٣) سورة الإنسان: ٨، ٩.

آثروه بالطعام، ولم يذوقوا إلا الماء، فلما أصبحوا أخذ علي -رضي الله عنه- الحسن والحسين، وأقبلوا إلى رسول الله -صلى الله عليه وسلم-، ورآهم يرتعشون - كالفراخ - من شدة الجوع، ثم قام الرسول -صلى الله عليه وسلم- فانطلق معهم إلي فاطمة -رضي الله عنها- فرآها في محرابها قد التصق بطنها بظهرها، وغارت عيناها من شدة الجوع، فرق لذلك الرسول -صلى الله عليه وسلم-. وهنا هبط جبريل بسورة الإنسان، وفيها: ﴿وَيُطْعِمُونَ ٱلطَّعَامَ عَلَىٰ حُبِّهِۦ مِسْكِينًا وَيَتِيمًا وَأَسِيرًا ٨ إِنَّمَا نُطْعِمُكُمْ لِوَجْهِ ٱللَّهِ لَا نُرِيدُ مِنكُمْ جَزَآءً وَلَا شُكُورًا﴾

قال الألوسي - تعليقًا على هذه القصة - والخبر مشهور بين الناس، وذكره الواحدي في كتاب (البسيط) وعليه قول بعض الشيعة:

إلام ألام وحتى متى ... أعاتب في حب هذا الفتى

فهل زوجت غيرَه فاطم ... وفي غيره هل أتى

وتعقب بأنه خبر موضوع مفتعل، كما ذكره الترمذي وابن الجوزي، وآثار الوضع ظاهرة عليه لفظا ومعنى. (١)

كما يقول القرطبي عن هذا الحديث: "قال الترمذي الحكيم عبد الله في "نوادر الأصول": فهذا حديث مزوق مزيف، قد تطرف فيه صاحبه، حتي تشبه على المستمعين، فالجاهل بهذا الحديث يعض شفتيه تلهفًا ألا يكون بهذه الصفة، ولا يعلم أن صاحب هذا الفعل مذموم، وقد قال الله تعالى في تنزيله: ﴿وَيَسْـَٔلُونَكَ مَاذَا يُنفِقُونَۖ قُلِ ٱلْعَفْوَ﴾ (٢) وهو الفضل الذي يفضل، عن نفسك وعيالك، وجرت الأخبار عن رسول الله المتواترة بأن «خير الصدقة

---

(١) تفسير الألوسي = روح المعاني (١٥/١٧٤)

(٢) سورة البقرة: ٢١٩

ما كان عن ظهر غنى»، «وابدأ بنفسك ثم بمن تعول»، وافترض الله على الأزواج نفقة أهاليهم وأولادهم، وقال رسول الله: «كفى بالمرء إنما أن يضيع من يقوت»، أفيحسب عاقل أن عليًا جهل هذا الأمر حتي أجهد صبيانا صغارًا من أبناء خمس أو ست على جوع ثلاثة أيام ولياليهن؟ حتى تضوروا من الجوع، وغارت العيون منهم، لخلاء أجوافهم، حتى أبكى رسول الله ما بهم من الجهد، هب أنه آثر عليٌ نفسه هذا السائل فهل كان يجوز له أن يحمل أهله على ذلك؟ وهب أن أهله سمحت بذلك لعلي فهل جاز له أن يحمل أطفاله على جوع ثلاثة أيام بلياليهن؟ ما يروج مثل هذا إلا على حمقى جهال، أبى الله لقلوب متنبهة أن تظن بعلي مثل هذا". [1]

طائفة أخرى من الروايات الضعيفة والموضوعة على الإمام علي -رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ- في التفسير:

من ذلك ما أخرجه الطبري والبغوي والواحدي في أسبابه[2] عن الحسين والشعبي ومحمد بن كعب القرظي في قوله تعالى: ﴿أَجَعَلْتُمْ سِقَايَةَ ٱلْحَآجِّ وَعِمَارَةَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ كَمَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ وَجَٰهَدَ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾[3] قال: نزلت في علي بن أبي طالب والعباس بن عبد المطلب، وطلحة بن شيبة، افتخروا فقال طلحة: أنا صاحب البيت بأيدي مفتاحه، وقال العباس: أنا صاحب السقاية والقائم عليها. وقال علي: ما أدري ما تقولون، لقد صليت إلى القبلة ستة أشهر قبل الناس وأنا صاحب الجهاد، فأنزل الله -عَزَّوَجَلَّ- هذه الآية:

---

(١) تفسير القرطبي (١٣٤/١٩)

(٢) تفسير الطبري (١٧١/١٤)، تفسير البغوي (٢٢/٤)، أسباب النزول للواحدي (ص ٢٧٩-٢٨٠)

(٣) سورة براءة: ١٩

﴿أَجَعَلْتُمْ سِقَايَةَ ٱلْحَآجِّ﴾. وأخرجها ابن أبي شيبة في المصنف[١] عن الشعبي مختصرًا.

وهذه الرواية ظاهرة البطلان ويُشْتَمُّ منها رائحة التشيع، وقد نقل الإمام ابن تيميه هذه الرواية في منهاج السنة النبوية[٢] وقال: "هذا اللفظ لا يعرف في شيء من كتب الحديث المعتمدة؛ بل ودلالات الكذب عليه ظاهرة، منها: أن طلحة بن شيبة لا وجود له، وإنما خادم الكعبة هو شيبة بن عثمان بن أبي طلحة، وهذا مما يبين لك أن الحديث لم يصح.

وقول علي: "صليت ستة أشهر قبل الناس"، فهذا ما يعلم بطلانه بالضرورة فإن بين إسلامه وإسلام زيد وأبي بكر وخديجة يومًا أو نحوه فكيف يصلي قبل الناس بستة أشهر؟" وقال ابن كثير في تاريخه: "لا يصح".[٣]

وأخرج ابن جرير الطبري بسند فيه جَابِرٍ الْجُعْفِيّ عن علي قال: "ما من رجل من قريش إلا وقد نزلت فيه آية من القرآن، فقال له رجل: وأنت أي شيء نزل فيك؟ قال: ﴿وَيَتْلُوهُ شَاهِدٌ مِّنْهُ﴾[٤].

وأورده البغوي في تفسيره[٥] والجعفي ضعيف، وكان رافضيًا من أتباع عبد الله بن سبأ.[٦]

وقد ضَعَّف هذا القول ابن كثير في تفسيره وقال: "هو ضعيف لا يثبت

---

(١) مصنف ابن أبي شيبة (٧/٥٠٤)

(٢) منهاج السنة النبوية لابن تيمية (٥/١٨-١٩)

(٣) البداية والنهاية لابن كثير (٧/٣٧١)

(٤) سورة هود: ١٧، وينظر تفسير الطبري (١٥/٢٧٣)

(٥) تفسير البغوي (٤/١٦٧)

(٦) الميزان (١/٩٣٧)، التاريخ الكبير للبخاري (١/٢١٠)

له قائل. وقد رجح الطبري في تأويل الآية: ويتلوه شاهد منه قول من قال: هو جبريل -عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ- وقيل: محمد -صَلَّىٰ ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- قال ابن كثير: وكلاهما قريب في المعنى لأن كل من جبريل ومحمد صلوات الله عليهمَ بلغ رسالة الله تعالى، فجبريل إلى محمد، ومحمد إلى الأمة". [١]

وأخرج الخطيب البغدادي في تاريخه عن أبي هريرة قال: من صام يوم ثماني عشرة من ذي الحجة كتب له صيام ستين شهرًا وهو يوم غَدِيرِ خُمٍّ [٢] لما أخذ النبي -صَلَّىٰ ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- بيد علي بن أبي طالب فقال: "ألست ولى المؤمنين؟ قالوا بلى يا رسول الله. قال: من كنت مولاه فعلي مولاه فقال عمر بن الخطاب: بخ بخ لك يا ابن أبي طالب أصبحت مولاي ومولى كل مسلم". فأنزل الله -عَزَّ وَجَلَّ-: ﴿ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ﴾ [٣] الآية. [٤]

ونقله ابن كثير في تاريخه وقال: "فيه نكارة من وجوه: منها قوله نزل فيه ﴿ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ﴾ وقد ورد مثله من طريق ابن هارون العبدي عن أبي سعيد الخدري ولا يصح أيضًا، إنما نزل ذلك يوم عرفة كما ثبت في الصحيحين[٥]، عن عمر بن الخطاب وقد روى عن جماعة من الصحابة غير من ذكرنا في قوله -عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ-: "من كنت مولاه" والأسانيد إليهم

---

(١) تفسير ابن كثير (٤/٢٤٦)

(٢) غدير خمّ: اسم موضع، وهو بين مكة والمدينة بالجحفة، عنده خطب النبيّ -صَلَّىٰ ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-. معجم البلدان (٢/٣٨٩)

(٣) سورة المائدة: ٣

(٤) تاريخ بغداد (٨/٢٩٠)

(٥) صحيح البخاري كتاب الإيمان (١/١٨) وكتاب التفسير سورة المائدة، ومسلم كتاب التفسير (٨/٢٣٨) ومسند أحمد (١/٢٨).

ضعيفة[1]. وقال ابن كثير في موضع آخر من تاريخه: وما روي عن ابن عباس أنه قال: ما نزل في أحد من الناس ما نزل في علي. وفى رواية عنه أنه قال: نزل فيه ثلاثمائة آية" فلا يصح ذلك عنه لا هذا ولا هذا[2].

ونقل ابن كثير في تفسيره أثرًا رواه ابن أبي حاتم من طريق عيسى ابن راشد، عن علي بن بزيمة عن عكرمة عن ابن عباس قال: ما في القرآن آية "يا أيها الذين آمنوا" إلا أن عليًا سيدها وشريفها وأميرها، وما من أصحاب النبي -صَلَّىٰ ٱللَّٰهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- أحد إلا قد عوتب في القرآن إلا علي بن أبي طالب، فإنه لم يعاتب في شيء منه". قال ابن كثير عقب إيراده لهذا الخبر ما نصه: "فهو أثر غريب ولفظه فيه نكارة، وفى إسناده نظر، قال البخاري: عيسى بن راشد هذا مجهول، وخبره منكر. قلت: وعلى بن بزيمة - وإن كان ثقة - إلا أنه شيعي غال، وخبره في مثل هذا المحل فيه تهمة فلا يقبل،

وقوله: "ولم يبق أحد من الصحابة إلا عوتب في القرآن إلا عليًا" إنما يشير به إلى الآية الآمرة بالصدقة بين يدي النجوى. فإنه قد ذكر غير واحد أنه لم يعمل بها أحد إلا علي، ونزل قوله: ﴿ءَأَشْفَقْتُمْ أَن تُقَدِّمُواْ بَيْنَ يَدَيْ نَجْوَىٰكُمْ صَدَقَٰتٍ فَإِذْ لَمْ تَفْعَلُواْ وَتَابَ ٱللَّهُ عَلَيْكُمْ﴾[3] وفى كون هذا عتابًا نظر، فإنه قد قيل إن الأمر كان ندبًا لا إيجابًا ثم قد نسخ ذلك عنهم قبل الفعل، فلم ير من أحد منهم خلافه.

وقوله عن على: "إنه لم يعاتب في شيء من القرآن" فيه نظر أيضًا، فإن

---

(١) البداية والنهاية لابن كثير (٣٦٣/٧)

(٢) المصدر السابق (٣٧٢/٧)

(٣) سورة المجادلة: ١٣

الآية التي في الأنفال التي فيها المعاتبة على أخذ الفداء عمت جميع من أشار بأخذه ولم يسلم منها إلا عمر بن الخطاب -رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ-[1] فعلم بهذا، وبما تقدم ضعف هذا الأثر والله أعلم" أهـ. [2]

ومن الروايات الضعيفة والموضوعة التي يشم منها رائحة التشيع ما رواه الواحدي في أسباب النزول عن أبي سعيد الخدري قال: نزلت هذه الآية ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلرَّسُولُ بَلِّغْ مَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ﴾[3]. يوم غدير خم في علي بن أبي طالب -رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ-! [4] وفي سنده علي بن عابس، وعطية العوفي وهما ضعيفان. أما ابن عابس، فضعفه النسائي والجوزجاني والأزدي، وغيرهم. وقال ابن حبان: فحش خطؤه فاستحق الترك. وعطية العوفي ضعفوه أيضًا.[5]

وروى الطبراني عن ابن عباس قال: نزلت في علي بن أبي طالب: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ سَيَجْعَلُ لَهُمُ ٱلرَّحْمَٰنُ وُدًّا﴾[6] وهذا الخبر أورده الهيثمي في الزوائد وقال: "فيه بشر بن عمارة وقد وثق، وضعفه جماعة، وبقية رجاله وثقوا لكن الضحاك قيل: لم يسمع من ابن عباس"[7]، فالراوية فيها ضعف وانقطاع، بشر بن عمارة ضعفه النسائي ومشاه غيره، وقال

---

(١) ثبت ذلك بروايات صحيحة رواها الإمام مسلم في صحيحه كتاب الجهاد باب " الإمداد بالملائكة في غزوة بدر" وأبو داود كتاب الجهاد رقم (٥٠٧٥) والترمذي وقال " حسن صحيح " وأحمد في المسند (١/٣١٢٣٠).

(٢) تفسير ابن كثير (٣/٤)

(٣) سورة المائدة: ٦٧

(٤) أسباب النزول للواحدي (ص ١٥٠)

(٥) راجع ميزان الاعتدال (٣/١٤٣) وتقريب التهذيب (٢/٣٩).

(٦) سورة مريم: ٩٦

(٧) مجمع الزوائد (٩/١٢٥)

البخاري: "يعرف وينكر" أي يأتي مرة بالمناكير، ومرة بالمشاهير[١]. ولعل هذا الخبر من مناكير بشر بن عمارة. وأما عدم سماع الضحاك من ابن عباس فقد جزم به كثير من العلماء.[٢]

وأخرج ابن مردويه من طريق محمد بن مروان السدي عن الكلبي عن أبي صالح عن جابر بن عبد الله عن النبي -صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- في قوله تعالى: ﴿فَإِمَّا نَذْهَبَنَّ بِكَ فَإِنَّا مِنْهُم مُّنتَقِمُونَ﴾[٣]، قال نزلت في علي بن أبي طالب أنه ينتقم من الناكثين والقاسطين بعدي"! أورده السيوطي في الدر المنثور[٤] وإسناده سلسلة الكذب كما تقدم بيانه.

---

(١) راجع الضعفاء الصغير للبخاري (ص ٢٢) ترجمة رقم (٤٠)، الضعفاء والمتروكين للنسائي (ص ٢٤) ترجمة رقم (٧٧)، ميزان الاعتدال (١/٣٢١)، تدريب الراوي (١/٤٤٠)

(٢) انظر الميزان (٢/٣٢٥).

(٣) سورة الزخرف: ٤١

(٤) الدر المنثور (٦/١٨)

نماذج روايات موضوعة في أسباب النزول

خبر موضوع في سبب نزول قوله تعالى: ﴿وَيُطْعِمُونَ ٱلطَّعَامَ عَلَىٰ حُبِّهِۦ مِسْكِينًا وَيَتِيمًا وَأَسِيرًا﴾ (١)

ذكر المفسرون روايات عند قوله تعالى: ﴿وَيُطْعِمُونَ ٱلطَّعَامَ عَلَىٰ حُبِّهِۦ مِسْكِينًا وَيَتِيمًا وَأَسِيرًا﴾ أنها نزلت في علي بن أبي طالب.. فذكروا حديثًا طويلًا، تظهر عليه علامات الوضع والاختلاق. وقد أخرجه ابن الجوزي في الموضوعات من طريق أبي عبد الله السمرقندي عن محمد بن كثير الكوفي، عن الأصبغ بن نباته مرفوعًا. قال ابن الجوزي: "هذا حديث لا يشك في وضعه"(٢)، وأقر العلماء ابن الجوزي على ذلك ولم يخالفوه كما هو مفصل في تنزيه الشريعة لابن عراق(٣)، وإسناد ابن الجوزي كلهم ضعفاء وكذابون فأبو عبد الله السمرقندي قال فيه ابن الجوزي في الموضوعات: "لا يوثق به"(٤)، ومحمد بن كثير أورده البخاري في التاريخ الكبير وقال: "منكر الحديث"(٥).

وقال ابن المديني: "كتبنا عنه عجائب، وخططت على حديثه"(٦). كذا في وقال ابن حبان في المجروحين: "لا يحتج به بحال"(٧)، وأما أصبغ بن

---

(١) سورة الإنسان: ٧

(٢) الموضوعات لابن الجوزي (١/٣٩٠ - ٣٩٢)

(٣) تنزيه الشريعة لابن عراق (١/٣٥٦)

(٤) الموضوعات لابن الجوزي (١/٣٩٢)

(٥) التاريخ الكبير (١/١/٢١٧)

(٦) ميزان الاعتدال (٤/١٧)، لسان الميزان (٥/٣٩٨)

(٧) المجروحين لابن حبان (٢/٢٨٧)

نباته. فكذبه أبو بكر بن عياش[1]. وقال ابن حبان في المجروحين: "هو ممن فتن بحب علي بن أبي طالب، أتى بالطامات في الروايات فاستحق من أجلها الترك"[2].

وتركه النسائي أيضًا كما في الضعفاء والمتروكين[3]، والخبر أورده ابن عراق في تنزيه الشريعة من حديث أصبغ بن نباته مرسلًا[4].

وللخبر طريق أخرى يزيدها ضعفًا على ضعف أورده السيوطي في اللآلئ وقال: قال الحكيم الترمذي في نوادر الأصول: ومن الحديث الذي تنكره القلوب حديث رواه ليث عن مجاهد عن ابن عباس في قوله تعالى: ﴿يُوفُونَ بِٱلنَّذۡرِ وَيَخَافُونَ يَوۡمٗا كَانَ شَرُّهُۥ مُسۡتَطِيرٗا ٧ وَيُطۡعِمُونَ ٱلطَّعَامَ عَلَىٰ حُبِّهِۦ مِسۡكِينٗا وَيَتِيمٗا وَأَسِيرًا﴾ ثم ذكر القصة في ستة وخمسين سطرا، ثم ختمها بقول الحكيم الترمذي: "هذا حديث مفتعل مزوق لا يروج إلا على أحمق، جاهل".[5]

وكذا نقله ابن حجر عن الحكيم الترمذي في تخريج الكشاف[6]، وأقره عليه في اللسان عند ترجمة قاسم بن بهرام فقال: "هو صاحب الحديث الطويل في نزول قوله تعالى ﴿يُوفُونَ بِٱلنَّذۡرِ﴾ الآية[7]. وقال ابن عدي: "كذاب"[8]، والخبر زاد الحافظ نسبته في تخريج الكشاف للثعلبي من رواية

---

(١) ميزان الاعتدال (١/٢٧١)، الضعفاء الكبير للعقيلي (١/١٣٠)

(٢) المجروحين لابن حبان (١/١٧٤)

(٣) الضعفاء والمتروكين للنسائي (ص ٢٢) ترجمة رقم (٦٤)

(٤) تنزيه الشريعة (١/٣٦٢)

(٥) اللآلئ المصنوعة للسيوطي (١/٣٧١)

(٦) تخريج أحاديث الكشاف (ص ١٨٠)

(٧) لسان الميزان (٤/٤٥٨)

(٨) لسان الميزان (٧/١١٨)

القاسم بن مهران عن ليث عن مجاهد عن ابن عباس، ومن رواية الكلبي عن أبي صالح عن ابن عباس[1]، وقال في اللسان عند ترجمة "أحمد بن حماد المروزي الجعاب" رأيت له في تفسير ﴿هَلْ أَتَىٰ﴾ عند الثعلبي خبرًا باطلًا لكن أورده من وجه آخر واهي من طريق محمد بن زكريا البصري وأبو العلا، **قال الأول**: حدثنا محبوب بن حميد البصري. **والثاني**: حدثنا ابن واقد قالا: حدثنا القاسم بن مهران عن ليث عن مجاهد، عن ابن عباس. وأورده أيضًا من طريق الكلبي عن أبي صالح عن ابن عباس فذكر حديثًا طويلًا ركيكًا ظاهر البطلان جدًا. أهـ [2]

والخبر أورده الشوكاني في الفوائد، وقال: "فيه الأصبغ بن نباته وهو لا يساوي شيئًا[3]، وعزاه الحافظ في الإصابة لأبي موسى في الذيل[4]، ونقل عن الذهبي قوله: "كأنه موضوع " قال ابن حجر: "وليس ما قال ببعيد".

وإذا كانت الرواية قد تبين وهنها من ناحية الإسناد، ففي المتن أيضًا إشكالات تنبه لها الإمام القرطبي في تفسيره فأتى على الرواية من قواعدها فنقدها من ناحية المتن فقال ما نصه: "والصحيح أن الآية نزلت في جميع الأبرار، ومن فعل فعلًا حسنًا، فهي عامة، وقد ذكر النقاش والثعلبي والقشيري وغير واحد من المفسرين في قصة علي وفاطمة وجاريتهما حديثًا لا يصح، ولا يثبت، رواه ليث عن مجاهد عن ابن عباس في قوله تعالى: ﴿يُوفُونَ بِٱلنَّذْرِ وَيَخَافُونَ يَوْمًا كَانَ شَرُّهُۥ مُسْتَطِيرًا ٧ وَيُطْعِمُونَ ٱلطَّعَامَ عَلَىٰ حُبِّهِۦ

(١) تخريج أحاديث الكشاف (ص ١٨٠)

(٢) لسان الميزان (١/١٦٤)

(٣) الفوائد للشوكاني (ص ٣٧٦)

(٤) الإصابة (٨/٧٥)

مِسْكِينًا وَيَتِيمًا وَأَسِيرًا ﴾ فذكر الرواية بطولها، ثم نقل بعدها كلام الحكيم الترمذي في نوادر الأصول: "فهذا حديث مزوق، قد تطرف فيه صاحبه حتى تشبه على المستمعين، فالجاهل بهذا الحديث يعض شفتيه تلهفًا ألا يكون بهذه الصفة، ولا يعلم أن صاحب هذا الفعل مذموم "، وقد قال الله تعالى في تنزيله: ﴿وَيَسْـَٔلُونَكَ مَاذَا يُنفِقُونَۖ قُلِ ٱلْعَفْوَ﴾(١). وهو الفضل الذي يفضل عن نفسك وعيالك، وجرت الأخبار عن رسول الله -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- متواترة بأن «خير الصدقة ما كان عن ظهر غنى»(٢). وعنه -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-: «ابْدَأْ بِنَفْسِكَ ثُمَّ بِمَنْ تَعُولُ» (٣).

وافترض الله على الأزواج نفقة أهاليهم وأولادهم. وقال رسول الله -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-: «كَفَى بِالْمَرْءِ إِثْمًا أَنْ يُضَيِّعَ مَنْ يَقُوتُ» (٤).

أفيحسب عاقل أن عليًا جهل هذا الأمر حتى أجهد صبيانًا صغارًا من أبنائه على جوع ثلاثة أيام ولياليهم حتى تضوروا من الجوع؟، وغارت العيون منهم، لخلاء أجوافهم، حتى أبكى رسول الله -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- ما بهم من الجهد! هب أنه آثر على نفسه هذا السائل، فهل كان يجوز له أن

---

(١) سورة البقرة: ٢١٩.

(٢) رواه النسائي في كتاب الزكاة (٦٢/٥) ورمز له السيوطي في الجامع (٩/٢) بالصحة وزاد نسبته لأبي داود وأحمد في المسند.

(٣) رواه مسلم بنحوه كتاب الزكاة، باب " الابتداء في النفقة بالنفس، ثم الأهل، ثم الأقارب " (٣٥/٣).

(٤) رواه أبو داود كتاب الزكاة رقم (١٦٩٢) ورمز له السيوطي في الجامع (٩٠/٢) بالصحة وزاد نسبته للبيهقي وأحمد والحاكم. قال البغوي: قوله: "من يقوت" يريد من يلزمه قوته، وفيه بيان أن ليس للرجل أن يتصدق بما لا يفضُل عن قوت أهله يلتمس به الثواب، فإنه ينقلب إثمًا. وانظر: معالم السنن (٨٢/٢)

يحمل أهله على ذلك؟! وهب أن أهله سمحت بذلك لعلي فهل جاز له أن يحمل أطفاله على جوع ثلاثة أيام بلياليهم؟! ما يروج مثل هذا إلا على حمقى جهال، أبى الله لقلوب منتبهة أن تظن بعلي مثل هذا، وليت شعري من حفظ هذه الأبيات كل ليلة عن علي وفاطمة.

وإجابة كل واحد منهما صاحبه، حتى أداه إلى هؤلاء الرواة؟ فهذا وأشباهه من أحاديث أهل السجون فيما أرى، بلغني أن قومًا يخلدون في السجن فيبقون بلا حيلة، فيكتبون أحاديث في السمر وأشباهه، مثل هذه الأحاديث مفتعلة، فإذا صارت إلى الجهابذة رموا بها وبزيفوها، وما من شيء إلا له آفة ومكيدة، وآفة الدين وكيده أكثر. أهـ [١]

وقال ابن كثير في تاريخه: "إسناده مظلم، وهذا الحديث منكر، ومن الأئمة من يجعله موضوعًا، ويسند ذلك إلى ركاكة ألفاظه، وأن هذه السورة مكية، والحسن والحسين إنما ولدوا بالمدينة. والله أعلم". أهـ [٢]

ونقد الحافظ ابن حجر الرواية سندًا ومتنًا فقال في تخريج الكشاف: "آثار الوضع لائحة عليه لفظًا ومعنى، فبناء سيدنا عليّ بالسيدة فاطمة كان بالمدينة في السنة الثانية، مع أن السورة مكية، كما رُوي عن ابن عباس والجمهور". أهـ [٣]

خبر واهي في سبب نزول قوله تعالى: ﴿وَمِنْهُم مَّنْ عَاهَدَ ٱللَّهَ...﴾:

إن المتأمل لكتب التفسير عند هذه الآية يلاحظ أن المفسرين قد أوردوا

---

(١) تفسير القرطبي (١٩/٨٥)

(٢) البداية والنهاية (٥/٢٨٦)

(٣) تخريج أحاديث الكشاف (ص ١٨٠)

خبرًا في سبب نزول هذه الآية يكاد يكون محل اتفاق بينهم، على الرغم من عدم صحته وما فيه من اتهام صحابي جليل بالنفاق وموته على ذلك!! وفى ذلك مجافاة للحق وبُعْدٌ عن الحقيقة والصواب.

هذا الخبر يدور حول قصة منسوبة إلى رجل يسمى ثعلبة بن حاطب[1]، وفيها أنه جاء إلى رسول الله -صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- فقال: ادع الله أن يرزقني مالا، فقال له: "قليل تؤدي شكره خير من كثير لا تطيقه" وألح على الرسول -صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- فدعا له بالغنى. فلما أغناه الله منع الزكاة وترك الصلاة فأنزل الله -عَزَّ وَجَلَّ-: ﴿وَمِنْهُم مَّنْ عَٰهَدَ ٱللَّهَ لَئِنْ ءَاتَىٰنَا مِن فَضْلِهِۦ﴾ إلى قوله ﴿وَبِمَا كَانُوا۟ يَكْذِبُونَ﴾[2].

وفيها أن ثعلبة لما علم بذلك جاء تائبًا يعرض صدقته على الرسول صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- فرفضها، فجاء إلى أبى بكر في خلافته، ثم عمر، ثم عثمان -رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُم- لكنهم رفضوا قبول صدقته وأخبروه أن الله لم يقبل توبته حتى مات في خلافة عثمان، وهذا الخبر فيه حطٌّ من منزلة رجل شهد له النبي -صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- بالجنة، حيث إن عداده في البدريين حكاه ابن حجر عن أصحاب المغازي والسير [3].

وقد ثبت أنه -صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- قال: «لا يدخل النار أحد شهد بدرًا والحديبية» [4].

---

(١) ثعلبة بن حاطب بن عمرو الأنصاري، ذكره موسى بن عقبة وابن إسحاق في البدريين وكذا الكلبي وزاد أنه قتل بأحد. راجع: الإصابة (١/٤٠٠).

(٢) سورة التوبة: ٧٥-٧٧

(٣) نقل ذلك ابن حجر في الإصابة (١/٤٠٠).

(٤) رواه مسلم بنحوه " كتاب فضائل الصحابة باب "من فضائل حاطب بن أبي بلتعة وأهل =

وحكى عن ربه أنه قال لأهل بدر: «اعملوا ما شئتم فقد غفرت لكم»(١).

فمن يكون بهذه المثابة كيف يعقبه الله نفاقًا في قلبه، وينزل ما نزل؟!

وقد حاول بعض علماءنا الأجلاء من القدامى والمعاصرين أن ينزهوا ساحة الصاحبي الجليل ثعلبة مما نسب إليه وألصق به. منهم ابن حجر العسقلاني الذي قال: وفى كون صاحب هذه القصة - إن صح الخبر ولا أظنه يصح - هو البدري، نظر والظاهر أنه غيره والله أعلم. أهـ (٢).

وذكر الشيخ الدكتور/ أبو شهبه في سيرته عندما أورد اسم ثعلبة بن حاطب فيمن بنى مسجد الضرار فقال: أو ابن أبي حاطب وكان من المنافقين، وهو الذي روى أنه منع الزكاة لما اغتنى وترك الجمعة والجماعة، فنزل فيه قوله تعالى: ﴿وَمِنْهُم مَّنْ عَٰهَدَ ٱللَّهَ﴾ الآيات من سورة التوبة. وهو غير ثعلبة بن حاطب الأنصاري من بنى أمية بن زيد. وهو من أهل بدر وذكر ابن الكلبي(٣) أنه مات بأحد، وقد نبه إلى ذلك الحافظ ابن حجر في الإصابة (٤).

بدر" (٣٦٥/٥).

(١) رواه البخاري كتاب المغازي (٣٥٥/٧) ومسلم كتاب فضائل الصحابة (٣٦٥/٥).

(٢) الإصابة (٤٠١/١) بتلخيص.

(٣) ابن الكلبي هو هشام بن محمد بن السائب الكلبي أبو المنذر الأخباري النسّابة. روى عن أبيه عن أبي صالح عن ابن عباس. قال أحمد بن حنبل: إنما كان صاحبَ سمر ونَسَب، ما ظننت أن أحدًا يحدث عنه. وقال الدارقطني وغيره: متروك. وقال ابن عساكر: رافضي ليس بثقة قال الذهبي: تركوه كأبيه، وكانا رافضيين مات سنة أربع ومائتين. ترجمته في: ميزان الاعتدال (٣٠٤/٤)، ديوان (ص ٣٥٤)، المغني (٧١١/٢). معرفة الرجال (٢١٩/١)، فهرست ابن النديم (ص١٤٠)، لسان (١٩٦/٦)

(٤) انظر الإصابة (٤٠٠/١) وراجع فتح الباري (٤١١/٥).

وساق أدلة على ذلك وقد وهم ابن اسحاق حيث عَّد الثاني ممن بني مسجد الضرار، ووهم ابن عبد البر في الاستيعاب[١]؛ حيث نسب إليه القصة السابقة. أهـ [٢].

والذي يظهر من كلام فضيلة الشيخ محمد أبي شهبة أن آية ﴿وَمِنۡهُم مَّنۡ عَٰهَدَ ٱللَّهَ﴾ نزلت في ثعلبة الذي كان ممن شارك في بناء مسجد الضرار، وأنه غير ثعلبة بن حاطب البدري وهي لفتة طيبة من الشيخ محمد أبى شهبه -رَحِمَهُ ٱللَّهُ- أراد بها أن يبرأ ساحة الصحابي الجليل ثعلبة الذي شهد بدرًا. ولكن هذه اللفتة لا يمكن أن نعوِّل عليها إلا إذا صح الخبر الذي ورد في سبب نزول الآية وهو لم يصح رغم انتشاره في كثير من التفاسير وجعله سببًا لنزول الآية. فنادرًا ما تجد تفسيرًا قد خلا من إيراد هذا الخبر على الرغم من وهنه وعدم صحته.

وحتى يكون ألقارئ على بينة من الأمر سنعرض آراء العلماء في هذه الرواية التي انتشرت في التفاسير، واشتهرت على ألسنة الناس، ورددها كثير من الوعاظ، ثم نبين الحق في هذا الموضوع.

قال ابن حزم في "المحلى"[٣]: "هذا باطل بلا شك لأن ثعلبة بدري معروف". وقال الذهبي: في تجريد أسماء الصحابة [٤]: "منكرًا بمرة". وقال الحافظ ابن حجر في "تخريج أحاديث الكشاف" [٥]: "هذا إسناده ضعيف جدًا". وضعَّفه

---

(١) انظر الاستيعاب (١/٢٠٠).

(٢) السيرة النبوية في ضوء القرآن والسنة (٢/٤١١).

(٣) المحلى (١١/٢٠٨) بتلخيص.

(٤) تجريد أسماء الصحابة للذهبي (١/٦٦).

(٥) تخريج أحاديث الكشاف (ص ٧٧).

الحافظ العراقي في "تخريج الإحياء"[١]. وكذا الهيثمي في "مجمع الزوائد"[٢].

وقال الإمام البيهقي: هذا حديث مشهور فيما بين أهل التفسير، وإنما يروى موصولًا بأسانيد ضعاف [٣].

كما أن هناك إشكالات كثيرة في الخبر تظهر منه نكارة هذا المتن ولذا يقول صاحب المنار: وفي الحديث إشكالات تتعلق بسبب نزول الآيات، وظاهر سياق القرآن أنه كان في سفر غزوة تبوك، وظاهره قبول توبة ثعلبة وظاهر الحديث ولاسيما بكائه أنها توبة صادقة، وكان العمل جاريًا على معاملة المنافقين بظواهرهم، وظاهر الآيات أنه يموت على نفاقه، ولا يتوب من بخله وإعراضه وأن النبي -صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- وخليفتيه عاملاه بذلك، لا بظاهر الشريعة لا نظير له في الإسلام! .أهـ [٤].

وزيادة في جلاء الأمر، وإحقاقًا للحق نقوم بتخريج وتحقيق الرواية حتى نستطيع أن نجزم بلا شك في وهن هذه الرواية. فالرواية: أخرجها الطبري[٥] وأوردها الهيثمي في الزوائد وعزاها للطبراني، وأورد السيوطي الخبر في الدر المنثور وعزاه للطبراني وابن منده وأبى نعيم في "معرفة الصحابة" وابن مردويه، والبيهقي في "الدلائل" وابن عساكر، وغيرهم كلهم من طريق معان بن رفاعة عن علي بن يزيد، عن القاسم بن عبد الرحمن، عن أبي أمامة

---

(١) المغنى عن حمل الأسفار وهو ما يعرف بـ "تخريج الإحياء" للحافظ العراقي (٣/٢٧٢).

(٢) مجمع الزوائد (٧/٣٢).

(٣) دلائل النبوة (٥/٢٩٢).

(٤) تفسير المنار (١٠/٤٨٤).

(٥) تفسير الطبري (١٠/١٣٠)

الباهلي[١]. وبالتحقيق نجد في هذا الطريق: علي بن يزيد أبا عبد الملك الألهاني الدمشقي: قال عنه البخاري: منكر الحديث[٢].

ونقل ابن القطان أن البخاري قال: "كل من قلت فيه منكر الحديث" فلا تحل الرواية عنه. وهذا القول مروي بإسناد صحيح عن البخاري. كما قال الحافظ ابن حجر[٣]. وقال النسائي: علي بن يزيد يروي عن القاسم متروك الحديث[٤]. قلت: وقد اشتهر عن النسائي أنه قال: لا يترك الرجل عندي حتى يجتمع الجميع على تركه[٥].

ويظهر هذا الاجتماع على ترك علي ابن يزيد بالرجوع إلى كتب الجرح والتعديل قال ابن أبي حاتم: سألت أبي عنه -أي عن بن يزيد- فقال: ضعيف الحديث، وأحاديثه منكرة. وقال الأزدي والدارقطني والبرقي: متروك الحديث.

وقال يحيى بن معين: علي بن يزيد عن القاسم عن أبي أُمامة: ضعاف. وقال يعقوب: علي بن يزيد واهي الحديث كثير المنكرات. وقال أبو نعيم الأصبهاني: منكر الحديث. وقال الساجي: اتفق أهل العلم على ضعفه. أهـ[٦].

---

(١) تفسير الدر المنثور (٣/٢٦٠) ودلائل النبوة للبيهقي (٥/٢٨٩) وأورده ابن كثير في تفسيره (٣/١٩٨) من رواية البغوي ولم يتعقبه بالنقد والتضعيف.

(٢) الضعفاء الصغير (ص ٨٢) ترجمة رقم (٢٥٥).

(٣) تدريب الراوي للسيوطي (١/٣٤٩) ولسان الميزان (١/٢٠) وميزان الاعتدال (١/٥)

(٤) الضعفاء والمتروكين (ص ٧٨) ترجمة رقم (٤٣٢).

(٥) انظر مقدمة الضعفاء والمتروكين (ص ٩) تحقيق محمود إبراهيم زايد، وتدريب الراوي (١/٣٨٩) وحكى هذا القول ابن الصلاح عن أحمد بن صالح المصري كما في الباعث الحثيث لابن كثير (ص ٨٩).

(٦) راجع: تهذيب التهذيب (٧/٣٩٦) والجرح والتعديل لابن أبي حاتم (٦/٢٠٩) وميزان =

وقد أورده ابن حبان في المجروحين وقال: علي بن يزيد "منكر الحديث جدًا"[١]، كما أن هناك علة أخرى في الإسناد وذلك أن من رواة هذا الخبر أيضًا معان بن رفاعة السلامى الشامي أورده الذهبي في الميزان وقال: "هو صاحب حديث ليس بمقتن"[٢].

وقال ابن حجر في التقريب: لين الحديث كثير الإرسال[٣]. وأورده ابن حبان في المجروحين وقال عنه: منكر الحديث، يروي مراسيل كثيرة عن أقوام مجاهيل لا يشبه حديثه حديث الأثبات، فلما صار الغالب في روايته ما ينكره القلب استحق ترك الاحتجاج به. أهـ [٤]

وقد ذكر السيوطي للرواية طريقًا أخرى في أسباب النزول[٥] عزاها لابن جرير، وابن مردويه من طريق العوفي عن ابن عباس. والعوفي كما في "التقريب"[٦] هو عطية بن سعد بن جنادة العوفي. وقد أورده ابن حجر في طبقات المدلسين[٧] في المرتبة الرابعة. وقال: ضعيف الحفظ مشهور بالتدليس القبيح. وأصحاب هذه المرتبة الرابعة قال فيهم ابن حجر: هم من اتفق على أنه لا يحتج بشيء من حديثهم إلا بما صرحوا فيه بالسماع لكثرة تدليسهم على

=

الاعتدال (٣/١٦١).

(١) المجروحين لابن حبان (٢/١١٠).

(٢) ميزان الاعتدال (٤/١٣٤).

(٣) تقريب التهذيب (٢/٢٥٨).

(٤) المجروحين لابن حبان (٣/٣٦).

(٥) أسباب النزول للسيوطي (ص ١٤٥) ورواه البيهقي من هذا الطريق في الدلائل (٥/٢٨٩).

(٦) تقريب التهذيب (٢/٢٤-٥٤١).

(٧) طبقات المدلسين (ص ٧٨).

الضعفاء والمجاهيل. أهـ [١].

والحديث لم يصرح فيه بالسماع حيث سنده من طريق محمد بن سعد قال: حدثني أبي قال: حدثني عمي قال: حدثني أبي عن أبيه عن ابن عباس... فقد عنعنه، والإسناد واه لأنه مسلسل بالعوفيين [٢].

وهناك طريق ثالث للرواية أخرجه الطبري من مرسلات الحسن، وليس في المرسلات أضعف من مرسلات الحسن قاله الإمام أحمد ونقله عنه الذهبي والسيوطي في تدريب الراوي [٣].

فضلًا على أن الذي رواه عن الحسن هو عمرو بن عبيد البصري المعتزلي. قال فيه النسائي: متروك الحديث، تركه يحيى القطان، والفلاس، وكذبه مطر الوراق وغيره، وقال ابن معين: لا يكتب في الحديث وهمًا لا تعمدًا. أهـ [٤].

ذلك هو ما وفقني الله إليه في تمحيص هذه الرواية وتحقيقها. ولا يقال: إن تلك الرواية وإن كانت ضعيفة فقد رُوِيَة من عدة طرق: والحديث الضعيف لو رُوي من عدة طرق يقوي بعضها بعضًا. فإن هذه القاعدة لها شروطها، فقد جاء في تدريب الراوي ما نصه: "إذا روي الحديث من وجوه ضعيفة لا يلزم أن يحصل من مجموعها حسن؛ بل ما كان ضعفه لضعف حفظ راويه الصدوق الأمين زال بمجيئه من وجه آخر وصار حسنًا، وكذا

---

(١) المرجع السابق (ص ٢٢).

(٢) راجع الإسناد في تفسير الطبري (١٠/١٣٠).

(٣) انظر ميزان الاعتدال (٣/٧٠) وتدريب الراوي (١/٢٠٤).

(٤) راجع ميزان الاعتدال (٣/٢٧٣)، الضعفاء الصغير للبخاري (ص ٨٥) رقم (٢٦٢)، الضعفاء والمتروكين (ص ٨٠) رقم (٤٤٥).

إذا كان ضعفها لإرسال زال بمجيئه من وجه آخر. وأما الضعيف لفسق الراوي أو كذبه فلا يؤثر فيه موافقة غيره له. أهـ. [1]

ونقل الحافظ ابن كثير في "الباعث الحثيث" عن ابن الصلاح قوله: "لا يلزم من ورود الحديث من طرق متعددة أن يكون حسنًا، لأن الضعف يتفاوت فمنه ما لا يزول بالمتابعات [2]، يعني لا يؤثر كونه تابعًا أو متبوعًا، كرواية الكذابين والمتروكين. ومنه ضعف يزول بالمتابعة، كما إذا كان راويه سيئ الحفظ أو روى الحديث مرسلًا، كما في المرسل الذي يرسله إمام حافظ. أهـ[3].

وقد علق الشيخ أحمد شاكر -رَحِمَهُ اللَّهُ- على ما نقله ابن كثير بقوله: "وبذلك يتبين خطأ كثير من العلماء المتأخرين في إطلاقهم أن الحديث الضعيف إذا جاء من طرق متعددة ضعيفة ارتقى إلى درجة الحسن والصحيح، فإنه إذا كان ضعف الحديث لفسق الراوي أو اتهامه بالكذب، ثم جاء من طرق أخرى من هذا النوع ازداد ضعفًا، لأن تفرد المتهمين بالكذب أو المجروحين في عدالتهم بحيث لا يرويه غيرهم، يرفع الثقة بحديثهم ويؤيد ضعف روايتهم وهذا واضح". أهـ [4].

وبذلك يتبين لنا أن هذه القاعدة لا تنطبق على هذه الرواية، فطرقها تزيدها ضعفًا على ضعفه لما فيها من المتهمين بالكذب أو المعروفين

---

(١) تدريب الراوي (١/١٧٦).

(٢) المتابعات والشواهد والاعتبارات أمور يتداولها أهل الحديث، يتعرفون بها حال الحديث ينظرون. هل تفرد به راويه أو لا، وهل هو معروف أو لا. أهـ، راجع: تدريب الراوي (١/٣٠٦)، الباعث الحثيث (ص ٤٩).

(٣) الباعث الحثيث لابن كثير (ص ٣٣)، وراجع أيضًا: مقدمة ابن الصلاح (ص ١٧).

(٤) انظر: حاشية الباعث الحثيث للشيخ أحمد شاكر (ص ٣٤).

بالضعف الشديد، أو المتروكين، مع عدم سلامة الحديث من الاضطراب والنكارة في المتن. كما أنه ليس فيها طريق واحد مرسلة أرسلها إمام حافظ.

والحق أن سبب نزول قوله تعالى: ﴿وَمِنْهُم مَّنْ عَٰهَدَ ٱللَّهَ لَئِنْ ءَاتَىٰنَا مِن فَضْلِهِۦ﴾ إلى قوله: ﴿وَبِمَا كَانُوا۟ يَكْذِبُونَ﴾[١] ما رواه الطبراني: بإسنادٍ رجاله رجال الصحيح كما قال الهيثمي في الزوائد[٢] عن ابن مسعود قال: اعتبروا المنافقين بثلاث: إذا حدث كذب، وإذا وعد اخلف، وإذا عاهد غدر فأنزل الله -عَزَّوَجَلَّ- تصديق ذلك في كتابه: ﴿وَمِنْهُم مَّنْ عَٰهَدَ ٱللَّهَ لَئِنْ ءَاتَىٰنَا مِن فَضْلِهِۦ﴾ إلى آخر الآية.

وهذه الرواية صحيحة كما بينا ذلك، ثم أنه قد جاء فيها ما يدل على السببية وهو حرف الفاء، فإن هذه العبارة نص في الدلالة على السببية، وفى ذلك يقول الشيخ الزرقاني في المناهل: "تختلف عبارات القوم في التعبير عن سبب النزول".[٣]

فتارة يصرح فيها بلفظ السبب فيقال: (سبب نزول الآية كذا) وهذه العبارة نص في السببية لا تحتمل غيرها. وتارة لا يصرح بلفظ السبب؛ ولكن يؤتى بفاء داخلة على مادة نزول الآية عقب سرد حادثة، وهذه العبارة مثل ذلك في الدلالة على السببية.

ومثاله: رواية جابر قال: "كانت اليهود تقول: من أتى امرأته من دبرها في قبلها جاء الولد أحول فأنزل الله: ﴿نِسَآؤُكُمْ حَرْثٌ لَّكُمْ فَأْتُوا۟ حَرْثَكُمْ أَنَّىٰ شِئْتُمْ﴾

(١) سورة التوبة آية (٧٥-٧٧).

(٢) مجمع الزوائد (١/١٠٨) والخبر رواه الطبري في تفسيره (١٤/٣٧٦) وصحح الشيخ شاكر إسناده.

(٣) مناهل العرفان (١/١١٤-١١٥).

﴿وَقَدِّمُواْ لِأَنفُسِكُمْۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَٱعْلَمُوٓاْ أَنَّكُم مُّلَٰقُوهُۗ وَبَشِّرِ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾[١] أهـ. [٢]

ومن ثم... يمكن القول: إن أولى الأقوال وأقربها إلى معنى الآية وبيانها ما نقله الإمام الطبري في تفسيره بقوله: "وقال قوم: كان العهد الذي عاهد هؤلاء المنافقون شيئًا نووه ولم يتكلموا به". أهـ [٣].

وهذا التفسير ينسجم مع قول الله تعالى بعد الآيات التي تتحدث عن أولئك المنافقين الذين أخلفوا الله ما وعدوه فقال تعالى: ﴿أَلَمْ يَعْلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُ سِرَّهُمْ وَنَجْوَىٰهُمْ وَأَنَّ ٱللَّهَ عَلَّٰمُ ٱلْغُيُوبِ﴾ [٤]. والله أعلم.

---

(١) سورة البقرة: ٢٢٣

(٢) رواه البخاري كتاب التفسير باب "نساءكم حرث لكم" (٣٧/٨) ورواه مسلم واللفظ له كتاب النكاح، باب: جواز جماع الرجل امرأته في قبلها من قدامها ومن ورائها من غير تعرض للدبر (٦٠٩/٣).

(٣) تفسير الطبري (٣٨٠/١٤).

(٤) سورة التوبة: ٧٨.

نماذج من القراءات الموضوعة في التفسير

ومن الموضوعات التي اشتملت عليها بعض كتب التفسير: كالزمخشري، والنسفي وغيرهما، القراءات الشاذة التي تنسب إلى الإمام أبي حنيفة، وهو بريء منها، ولكنها اختلقت عليه ونسبت إليه كذبًا وافتراءً. وقد بين ذلك الخطيب البغدادي في تاريخه عند ترجمة: محمد بن جعفر أبو بكر الخزاعي قال: "كان أبو بكر الخزاعي شديد العناية بعلم القراءات، ورأيت ذلك واستنكرته، حتى ذكر لي بعض من يعتني بعلوم القراءات أنه كان يخلط تخليطًا قبيحًا، ولم يكن على ما يرويه مأمونًا وحكى لي القاضي أبو العلا الواسطي عنه أنه وضع كتابًا في الحروف، ونسبه إلى أبي حنيفة، فأخذت خط الدارقطني وجماعة أهل العلم كانوا في ذلك الوقت، بأن ذلك الكتاب موضوع لا أصل له". أهـ [(١)]

ومما وضعه على أبى حنيفة:

- أنه قرأ {مَلَكَ يَوْمَ الدين} على مثال فعل، ونصب اليوم جعله مفعولًا. وهي قراءة شاذة لم يصح نسندها كما قال السيوطي في الإتقان[(٢)].
- ومما وضعه أبو بكر الخزاعي على أبي حنيفة في سورة يوسف: ﴿قَدْ شَعَفَهَا حُبًّا﴾ بالعين المهملة. وفى سورة يس: "فأعشيناهم" بالعين غير المعجمة[(٣)].
- ومن ذلك قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا يَخْشَى ٱللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ ٱلْعُلَمَـٰٓؤُاْ﴾[(٤)] برفع لفظ الجلالة، ونصب لفظ العلماء، وقد نسبت هذه القراءة إلى أبي حنيفة

---

(١) تاريخ بغداد (١٥٦/٢).

(٢) الإتقان في علوم القرآن (٧٩/١)

(٣) تاريخ بغداد (١٥٧/٢).

(٤) سورة فاطر: ٢٨.

وضعها الخزاعي، ونقلها عنه أبو القاسم الهذلي كما في الإتقان[١].

وإذا كانت القراءة موضوعة فلا حاجة في توجيه معناها كما فعل الزمخشري في تفسيره، فقد فسر الآية بأنه يجلهم ويعظمهم فهو تفسير بلازم[٢]. وحاول توجيه القراءة أيضًا القرطبي والجمل في الفتوحات الإلهية وزاد نسبتها لعمر بن عبد العزيز[٣]. وفي فتح القدير للشوكاني: "وقرأ عمر بن عبد العزيز برفع الاسم الشريف ونصب العلماء"!![٤]

والذي أراه أن هذا موضوع على عمر كما هو موضوع على أبي حنيفة. وتوجيه هذه القراءة ونحوها يعد تكلفًا غير مقبول ولذا أورد الإمام ابن الجزري القراءة في مقدمة كتابه "النشر في القراءات العشر" وقال: إنها لا أصل لها، وقد راج ذلك على أكثر المفسرين، ونسبها إليه، وتكلف توجيهها. وإن أبا حنيفة لبريء منها. أهـ.[٥]

ومن القراءات الشاذة وإسنادها ضعيف قراءة ابن السميفع وأبى السمال وغيرهما في {ننحيك ببدنك} بالحاء المهملة في ﴿نُنَجِّيكَ﴾ ﴿لِمَنۡ خَلۡفَكَ ءَايَةً﴾[٦] بفتح اللام أي من قوله ﴿خَلۡفَكَ﴾ بسكونها[٧].

---

(١) الإتقان في علوم القرآن (١/٧٨)

(٢) راجع محاسن التأويل للقاسمي (١٢/٥٢) وفتح القدير للشوكاني (٤/٣٤٨).

(٣) الفتوحات الإلهية للجمل (٣/٤٩٤)

(٤) فتح القدير للشوكاني (٤/٣٤٨).

(٥) النشر في القراءات العشر لابن الجزري (١/١٦) بتلخيص.

(٦) سورة يونس: ٩٢

(٧) البرهان في علوم القرآن (١/٤٢٥).

مسئولية المفسرين الذين دونوا الإسرائيليات والموضوعات واعتذار العلماء عنهم

إن المسئولية الأولى عن هذه الإسرائيليات والموضوعات التي امتلأت بها كتب التفسير تقع على عاتق الرواة والمدونين القدماء من المفسرين، سواء الذين رووا ودونوا لأول مرة في كتب لم تصل إلينا، أو الذين دونوها في الكتب التي وصلت إلينا نقلًا عن الكتب المتقدمة. وكلهم مفروض فيه القدرة على تمييز الغث من السمين، والصحيح من السقيم، والحق من الباطل، والصدق من الكذب، وعلى لمح ما في هذه الروايات من غلو ومبالغات لا يقبلها عقل، ولا يوافقها منطق أو واقع، ولا يؤيدها دليل يمكن الاعتماد عليه.

ولا شك أن هناك مفسرين وقفوا من بعض هذه الروايات موقف المفكر الناقد، غير أن الحق يقتضينا أن نقول: "إن هذا لم يكن شاملًا ولا عامًا، وإن الناقدين أنفسهم رووا كثيرًا منها في مناسبات كثيرة دون نقد أو إنكار. وعندما نطالع كتب التفسير المأثور كتفسير ابن جرير الطبري، وابن أبي حاتم، والثعلبي، وغيرهم نجد أن هذه التفاسير – على جلالة قدر مؤلفيها – فيها من الأحاديث الضعيفة والتالفة، والغرائب والمناكير، والإسرائيليات غير قليل؛ ولكنه مسوق بسنده فيخف خطره على أهل العلم بالرجال.

وقد وجَّه الشيخ الكوثري[1] –رَحِمَهُ ٱللَّهُ– صنيع المفسرين هذا توجيهًا حسنًا

---

(١) الشيخ محمد زاهد بن الحسن بن علي الكوثري، والكوثري نسبة إلى أحد أجداده "كوثر"، أو إلى قرية "الكواثرة" بضفة نهر "شبز" ببلاد القوقاز فقيه حنفي، جركسي الأصل، ولد في تركيا سنة: ١٢٩٦ هـ، أمين المشيخة في الدولة العثمانية، هاجر إلى مصر هربًا من اضطهاد أتاتورك، له مؤلفات كثيرة منها: "نقد كتاب الضعفاء للعقيلي"، "الإشفاق على أحكام الطلاق"، "محق التقول في مسألة التوسل" توفي بمصر سنة: ١٣٧١هـ. انظر ترجمته في: الأعلام =

فقال في كتابه "**المقالات**": "ترى كثيرًا من المفسرين دونوا ما يظنون به أن له نفعًا، لتبيين بعض النواحي من أنباء القرآن الحكيم من معارف عصرهم المتوارثة من اليهود وغيرهم تاركين أمر غرابتها لمن بعدهم من النقاد، حرصًا على إيصال تلك المعارف إلى من بعدهم، لاحتمال أن يكون فيها بعض فائدة في إيضاح بعض ما أجمل من الأنباء في الكتاب الكريم، لا لتكون تلك الروايات حقائق في نظر المسلمين، يراد اعتقاد صحتها، والأخذ بها على علاتها دون تمحيص فلا تثريب على من دون الاسرائيليات ما دام قصده هكذا.

وقد اعتذر العلامة سليمان بن عبد القوى الطُّوفِيّ[1] في أوائل كتابه "**الإكسير في أصول التفسير**" عن المفسرين في تدوينهم كل ما بلغهم من الإسرائيليات والأخبار الواهية، بأنهم لم يلزموا من بعدهم قبولها، وإنما دونوها خشية ضياع شيء يستطيعون جمعه، تاركين أمر نقدها وتمحيصها إلى من بعدهم، وضرب لذلك مثلًا بصنيع رواة الحديث حيث عنوا بادئ

=

للزركلي (١٢٩/٦)، مقدمة مقالات الكوثري (ص ٥ – ٧٧)

(١) هو: أبو الربيع سليمان بن عبد القوي بن عبد الكريم الطوفي الصرصري نسبة إلى قرية طوفا من أعمال صرصر في العراق. من علماء الحنابلة المشهورين، تلقى العلم عن مشاهير علماء عصره، في بلده وفي بغداد وغيرها، وعرف بقوة الحافظة وشدة الذكاء، تنقل بين بغداد ومصر والحرمين وفلسطين، وأسهم في علوم مختلفة كالأصول والتفسير واللغة والحديث، وقد اتهم بالرفض والانحراف فعزر وضرب وكان آخر عهده في مدينة الخليل حيث توفى فيها سنة ٧١٦هـ. من مصنفاته: البلبل في أصول الفقه، اختصر فيه كتاب روضة الناظر لابن قدامة، وشرح مختصر الروضة، والذريعة إلى معرفة أسرار الشريعة. راجع في ترجمته: الذيل على طبقات الحنابلة (٣٦٦/٢)، الدرر الكامنة (٢٩٥/٢)، شذرات الذهب (٣٩/٦)، الأعلام (١٢٧/٣)، الفتح المبين (١٢٠/٢)

ذي بدء بجمع الروايات كلها، تاركين أمر التمييز بين صحيحها وضعافها لمن بعدهم من النقاد. قال الكوثري معقبًا على هذا النقل "وهذا اعتذار وجيه". أهـ(١)

وقائلًا آخر يقول معتذرًا عنهم: "إن مثل المفسر فيما ينقله من الإسرائيليات كمَثَلِ رَجلٍ أمينٍ، أرادَ أن يُطلِعك على كتابٍ مُؤلَّفٍ بغير لسانِك، فترجَمَه إلى لغةٍ تفهمُها، ليُعرَف ما فيه إنْ صِدقًا، وإنْ كذبًا، والصِّدقُ أو الكذبُ حينئذٍ يُضاف إلى الكتابِ، لا إلى النَّاقلِ، فليس أمثال ابن مسعود، وابن عبَّاس وأبي هريرة، وابن عمرو، بالقاصرين عن تمييز الخبيثِ مِن الطَّيب، حتَّى يُقالَ أنَّ نقلَها إليهم يُشوِّش على أفكارِهم وعقائِدِهم!" (٢)

وذكر الحافظ ابن حجر في "**لسان الميزان**" عند ترجمة الامام الطبراني سليمان بن أحمد: "أن الحفاظ الأقدمين يعتمدون في روايتهم الأحاديث الموضوعة مع سكوتهم عنها على ذكر الأسانيد لاعتقادهم أنهم متى أوردوا الحديث بإسناده فقد برئوا من عهدته، وأسندوا أمره إلى النظر في إسناده."(٣)

ومع تقديرنا لرأي العلماء الأجلاء في توجيههم لصنيع القدامى من المفسرين والمحدثين الذين رووا ودونوا في كتبهم كل ما وصلت إليه أيديهم من روايات اعتمادًا على ذكر السند، إلا أن ذلك لا يعفيهم أبدًا من المسئولية. لاسيما وأن كثيرًا من تلك المرويات الإسرائيلية والموضوعة تحمل في طياتها ما يصادم عقيدتنا، ويباين شريعتنا ولا تحتاج إلى كثير نظر

---

(١) مقالات الكوثري (ص ٤٩:٥٠). ط/ المكتبة التوفيقية.

(٢) الحديث والمحدثون للشيخ محمد أبو زهو (ص١٨٧)

(٣) لسان الميزان (٣/٧٥).

وإمعان فكر للتبين والتثبت من ذلك، فكان الأحرى بهم أن يضربوا الذكر عنها ولا يعتمدوا على ذكر السند، فمثل هذه الروايات لا يكتفي فيها بمجرد السند؛ بل كان عليهم –وقد رووها– أن يفندوها ويبينوا ما فيها من كذب وضلال وإفك وبهتان، لاسيما وأن منهم العالم بالضعفاء والمتروكين من الرجال كالإمام ابن أبي حاتم الذي صنف كتابه الفذ "الجرح والتعديل" في علم الرجال. وإذا قدرنا حسن قصدهم، وقبلنا اعتذار العلماء عنهم باعتبار أن ذكر الإسناد كان عندهم من جملة البيان – فما عذر الذين جاءوا من بعدهم ممن نقلوا عنهم جيلًا بعد جيل تلك الأخبار والروايات العجيبة التي شغلت الحيز الكبير من كتب التفسير دون نقد وتمحيص، فضلًا عن حذف أسانيدها، وكأنها روايات لقيطة لا أب لها، فلا يستطيع العالم بالرجال أن يقف على حقيقتها من خلال الإسناد، فأدت إلى تشويش الأذهان، وبلبلة الأفكار، حيث توهم من يقرؤها أنها بيان للقرآن وتوضيح لأهدافه، مع أنها صارفة للذهن عما اقتضته حكمة التنزيل إيراده.

وقد قال الإمام السخاوى عند الكلام في الحديث الموضوع: "لا يبرأ من العهدة في هذه الأعصار بالاقتصار على إيراد إسناده بذلك لعدم الأمن من المحذور به وإن صفة أكثر المحدثين في الأعصار الماضية، ومن سنة مائتين وهلم جرا، فإنهم إذا ساقوا الحديث بإسناده، اعتقدوا أنهم برئوا من عهدته." (١)

ويقول الإمام محمد عبده: "فَنَحْنُ نَعْذُرُ الْمُفَسِّرِينَ الَّذِينَ حَشَوْا كُتُبَ التَّفْسِيرِ بِالْقِصَصِ الَّتِي لَا يُوثَقُ بِهَا لِحُسْنِ قَصْدِهِمْ، وَلَكِنَّنَا لَا نُعَوِّلُ عَلَى ذَلِكَ؛ بَلْ نَنْهَى عَنْهُ، وَنَقِفُ عِنْدَ نُصُوصِ الْقُرْآنِ لَا نَتَعَدَّاهَا، وَإِنَّمَا نُوَضِّحُهَا بِمَا

---

(١) فتح المغيث للسخاوى (١/٢٥٤).

يُوَافِقُهَا إِذَا صَحَّتْ رِوَايَتُهُ". [1]

ولقد أحسن الحافظ ابن كثير صنعًا حيث تعرض في تفسيره لكثير مما في تلك التفاسير بالنقد والبيان فجزاه الله خيرًا. وانظر نماذج من ذلك في المواطن التالية من تفسيره:

- عند قوله تعالى في سورة البقرة: ﴿وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَٰٓئِكَةِ ٱسْجُدُواْ لِأٓدَمَ﴾.
- عند ذكر قصة هاروت وماروت: ﴿وَمَآ أُنزِلَ عَلَى ٱلْمَلَكَيْنِ بِبَابِلَ هَٰرُوتَ وَمَٰرُوتَ﴾.
- عند تفسير قوله تعالى في سورة النساء: ﴿وَمَا قَتَلُوهُ وَمَا صَلَبُوهُ﴾.
- عند تفسير أول سورة الإسراء: ﴿سُبْحَٰنَ ٱلَّذِىٓ أَسْرَىٰ بِعَبْدِهِۦ﴾.
- عند تفسير قوله تعالى في سورة مريم: ﴿فَكُلِى وَٱشْرَبِى﴾.
- عند تفسير قوله تعالى في سورة الأنبياء: ﴿مَآ ءَامَنَتْ قَبْلَهُم مِّن قَرْيَةٍ أَهْلَكْنَٰهَآ﴾.
- عند تفسير قوله تعالى في سورة المطففين: ﴿وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا سِجِّينٌ﴾.

وقد ذكر ابن جرير في ذلك حديثًا غريبًا منكرًا لا يصح، وقال عند تفسير قوله تعالى: ﴿إِرَمَ ذَاتِ ٱلْعِمَادِ﴾ وقد ذكر ابن أبي حاتم قصة إرم ذات العماد هاهنا مطولة جدًا! فهذه الحكاية ليس يصح إسنادها، ولو صح إلى ذلك الأعرابي فقد يكون اختلق ذلك، أو أنه أصابه نوع من الهوس والخبال، فاعتقد أن ذلك له حقيقة في الخارج، وليس كذلك وهذا مما يقطع بعدم صحته، وقال أيضًا في تفسير هذه السورة عند قوله تعالى: ﴿إِنَّ رَبَّكَ لَبِٱلْمِرْصَادِ﴾ وقد ذكر ابن أبي حاتم هاهنا حديثًا غريبًا جدًا وفى إسناده نظر

---

(١) تفسير المنار (٢٨٨/١).

وفى صحته. [1]

وقال عند تفسير قوله تعالى في سورة الليل: ﴿وَأَمَّا مَنۢ بَخِلَ وَٱسۡتَغۡنَىٰ﴾ بعد أن روي حديثًا طويلًا عن ابن أبي حاتم: "هكذا رواه ابن أبي حاتم! وهو حديث غريب جدًا"[2]، وقال في آخر سورة الماعون "وروي ابن أبي حاتم هاهنا حديثًا عجيبًا في سنده ومتنه"، وقال في آخر سورة الكوثر: "وقد روي ابن أبي حاتم هاهنا حديثًا منكرًا"[3].

وهذا غيض من فيض مما نبه إليه الحافظ ابن كثير -رَحِمَهُ ٱللَّهُ- مما يدعونا إلى القول بأن قيمة ما يرويه ابن جرير وابن أبي حاتم وغيرهم من أصحاب التفاسير المسندة قيمة سنده. ويا ليت لنا من ينقد ما في كتب التفاسير من روايات واهية وأخبار إسرائيلية، على طريقة ابن كثير ومنهجه السديد.. إذًا لكان قد أسدى إلى طلاب العلم والمشتغلين بالتفسير خاصة فضلًا لا ينسى، وجميلًا لا يجحد، وعملًا متقبلًا، إن شاء الله تعالى.

---

(١) تفسير الطبري (٤/٥٠٨)

(٢) المصدر السابق (٤/٥١٩-٥٢٠)

(٣) المصدر السابق (٤/٥٥٨)

بيان ما يجب أن يلتزم به من يفسر كتاب الله تعالى بالنسبة للإسرائيليات والموضوعات

ينبغي على من يتصدى لتفسير كتاب الله تعالى أن يلتزم بأمور تتعلق بتلك المرويات الإسرائيلية والموضوعة وهذه الأمور نجملها فيما يلي:

١. على المفسر أن يكون يقظًا إلى أبعد حدود اليقظة، وناقدًا إلى غاية ما يصل إليه النقد من دقة وروية حتى يستطيع أن يستخلص من هذا الهشيم المركوم من الإسرائيليات ما يناسب روح القرآن الكريم، ويتفق مع النقل الصحيح والعقل السليم.

٢. لا يجوز للمفسر بحال من الأحوال أن يرتكب النقل عن أهل الكتاب إذا كان في سنة نبينا -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- بيان لمجمل القرآن، أو تعيين لمبهمه، فمثلًا حيث وجد حديث صحيح عن رسول -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- يعين أن الذبيح هو إسماعيل فلا يجوز الذهاب إلى ما رُوي عن مصادر يهودية أو إسلامية دسها اليهود من أنه إسحاق -عَلَيْهِ السَّلَامُ-.

٣. يجب على المفسر أن يُراعي أن الضروري يتقدر بقدر الحاجة، فلا يذكر في تفسيره شيئًا من الإسرائيليات الموثوق بها إلا بقدر ما يقتضيه بيان الإجمال، وما يكفي أن يكون حجة على من خالف وعاند من أهل الكتاب.

٤. إذا اختلف المتقدمون في شيء من هذا القبيل، وكثرت أقوالهم ونقولهم، فلا مانع من نقل المفسِّر لهذه الأقوال كلها على أن ينبه على الصحيح منها، ويبطل الباطل، وليس له أن يحكي الخلاف ويُطلقه دون تنبيه على الصحيح من الأقوال وغير الصحيح منها، لأن مثل هذا العمل يُعَد ناقصًا لا فائدة فيه ما دام قد خلط الصحيح بالعليل، ووضع أمام القارئ

من الأقوال المختلفة ما يسبب له الحيرة والاضطراب.

وخير للمفسر أن يمسك عما لا طائل تحته مما يعد صارفًا عن القرآن الكريم وشاغلًا عن التدبر في حكمه وأحكامه، وهذا –لا شك– أحكم وأسلم[1].

٥. يجب على المفسر –إن كان قليل البضاعة والمعرفة بصحيح الحديث وضعيفه– أن يقف على ما قاله العلماء الأئمة فيما يتعلق بتفسير كتاب الله –عَزَّوَجَلَّ– وبيان فضائل آياته وسوره –ولو أن المفسرين جميعهم كانوا من حفاظ الحديث ونقاده المميزين لغثه من سمينه، وصحيحه من سقيمه. لما وقع في كتب التفاسير كل هذا الدخيل، من الإسرائيليات، والأحاديث الضعيفة والموضوعة، ولما عانى المسلمون ما يعانون اليوم من الآثار السيئة، التي ترتبت على وجود هذه الإسرائيليات والموضوعات في كتب التفسير.

(١) الإسرائيليات في التفسير والحديث للدكتور الذهبي (ص ٢٢٧) وما بعدها بتلخيص، التفسير والمفسرون للدكتور الذهبي (١/١٣٢).

أسئلة تدريبية

س١ من خلال دراستك لمادة الدخيل هناك نماذج من الأحاديث الموضوعة في التفسير تناول اثنين منها بالتفصيل والبيان.

س٢ من نماذج الأحاديث الموضوعة في التفسير قصة الغرانيق فماذا يُقصد بها مع بيان بطلانها.

س٣ من القصص التي ورد حولها روايات باطلة قصة أم المؤمنين زينب بنت جحش -رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا- بيِّن ما ورد في شان تلك القصة مع بيان زيفها وردها وبطلانها.

س٤ الأحاديث الموضوعة في فضائل القرآن الكريم.

س٥ تحدث باختصار عن الأحاديث الموضوعة في فضائل على -رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ- وكذا الروايات الضعيفة والموضوعة التي رويت عنه -رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ- في التفسير.

س٦ اذكر بعض نماذج الروايات الموضوعة في أسباب النزول.

س٧ مثل بنماذج من القراءات الموضوعة في التفسير.

س٨ تحمل المفسرون الذين دونوا الإسرائيليات والموضوعات مسئولية فيما أوردوه في تفاسيرهم فكيف اعتذر العلماء عنهم؟

س٩ فصل القول في بيان ما يجب أن يلتزم به من يفسر كتاب الله تعالى بالنسبة للإسرائيليات والموضوعات.

فهرس الموضوعات

الموضـــوع	الصفحة